

# الموسى



مجلة علمية تخصصية نصف سنوية تصدر عن مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي

## في هذا العدد:

تمهيدنا: النص المهدي - قراءات معاصرة

مشروعية التقليد في زمن الغيبة الكبرى - إجابات علمية لشبهات المنكرين - الشيخ جاسم الوائلي

أسس الاعتقاد بوجود الإمام المهدي وإمامته وآليات مقاومة إنكاره - مرتضى علي الحلبي

المهدي المنتظر حقيقة ثابتة شاء المرجفون أم أبوا - الشيخ خالد البغدادي

جدلية إظهار ولادة الإمام الحجة وإعلانها - د. عبيد عبد الستار

تأسيس الغياب المهدي وظهوره في ضوء الخطاب القرآني - م. د. محمد جعفر العارضي

أقوال بعض الفرق في الغيبة والرد عليها - أحمد عبد الله حميد العليايوي

أسلوب الاستفهام في دعاء الندبة - فائزة عبد الزهرة جامل السكيني

قراءة في كتاب الغيبة للنعماني - محمد عبد المهدي سلمان الحلوي

المذهب التناسخي يعود بلباس الرجعة الروحية (الجزء الثاني) - الشيخ حميد الوائلي

تحديات الغزو الثقافي لمجتمع (المنتظرين) في زمان الغيبة الكبرى

أ.م.د. وسام حسين جاسم العبيدي

أسباب غيبة الإمام المهدي - الشيخ علي الفياض

آليات الحجاج اللغوية في توقيعات الإمام المهدي - الروابط الحجاجية مثلاً

د. عبد الإله عبد الوهاب العرداوي





مجلة علمية تخصصية نصف سنوية  
تصدر عن مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي

**المشرف العام:**

السيد محمد القبانجي

**رئيس التحرير:**

الشيخ حميد عبد الجليل الوائلي

**مدير التحرير:**

الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

**التصميم:**

الأستاذ حيدر محمد الطريفي

**الإخراج الفني والتنضيد الإلكتروني:**

الأستاذ حسن محمد الطريفي

**عدد النسخ:**

٥٠٠ نسخة

**الناشر:**

مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي

جميع الحقوق محفوظة للناشر

# الهيئة الاستشارية

الشيخ نزار آل سنبل

السيد أحمد الاشكوري

الشيخ علي آل محسن

السيد ضياء الخباز



# الموعود

مجلة علمية تخصصية نصف سنوية

تصدر عن مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي

## قواعد النشر في مجلة الموعود

١. تنشر المجلة الأبحاث العلمية الرصينة المختصة بعقيدة الموعود.
٢. الأفضل أن تكون البحوث مطبوعة، على أن لا تقل كلمات البحث عن (٤٠٠٠) كلمة أو (١٥) صفحة (A4).
٣. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على عنوان واسم الباحث/الباحثين وجهة العمل والعنوان ورقم الهاتف والبريد الإلكتروني إن وجد.
٤. يُشار إلى المصادر جميعها بأرقام الهوامش التي تُنشر في أواخر البحث، وتراعى الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة.
٥. أن ترفق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث يتعاون مع المجلة للمرة الأولى.
٦. أن لا يكون البحث قد نُشر سابقاً.
٧. لا تُعبر الأفكار المنشورة في المجلة بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار.
٨. يخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنية.
٩. تخضع البحوث لتقويم علمي لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء نُشرت أم لم تُنشر.
١٠. يُمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نُشر فيه بحثه، ومكافأة مالية مجزية.
١١. تُرسل البحوث للمجلة، أو تُسلم مباشرة إلى مقر المجلة على العنوان التالي:  
العراق، النجف الأشرف، شارع السور، قرب جبل الحويش.  
رقم الهاتف:  
٠٠٩٦٤٧٨١٦٧٨٧٢٢٦

[www.m-mahdi.com/almauood](http://www.m-mahdi.com/almauood)

[almauood@m-mahdi.com](mailto:almauood@m-mahdi.com)





**ALMAUOOD**

[www.m-mahdi.com/almauood](http://www.m-mahdi.com/almauood)

[almauood@m-mahdi.com](mailto:almauood@m-mahdi.com)

## تمهيدنا

# النص المهدي - قراءات معاصرة

رئيس التحرير

وجود النص الديني بشكل عام والمهدي على وجه الخصوص من المسلمّات، فإنكار البعض - بحجج مهما كثرت - لا يغيّر هذه المسلمة. الكلام في فهم هذا النص وضبطه لمعرفة قصد المتكلم، فما هي الآليات التي نصل من خلالها إلى ضبط هذا الفهم؟ بحيث يمكن للمتلقّي عندما يقرأ النص أن يقول: (لو ظهر صاحب النص وبيّن ما يقصده لكان هو ما فهمته أنا).

من هنا نشأت عدّة دراسات ووضعت مناهج في نظرية المعرفة لقراءة النص.

وحدثنا بشكل خاص عن النص المهدي وإن كان من جهة المنهج والضوابط لا يختلف عن النص الديني بل عن كثير من النصوص العقلائية. هذا فيما إذا تجاوزنا مسألة طريق وصول النص وآليات إثبات صدوره. وقد ذُكرت لقراءة النص أشكال مختلفة، منها:

القراءة القرشية الحشوية: والمعبر عنها في بعض الكتابات بالظاهرية والتي تنشأ من السطحية في فهم النص دون الرجوع إلى ضوابطه، ويتلى بها كثير من الناس وبعض المثقفين بحجة عدم الحاجة إلى الآليات التخصصية باعتبار



أن واقع النص - المهدي بالخصوص - قد جعل في متناول اليد لئلا يلزم نقض الغرض.

**القراءة القبليّة:** الناشئة عن امتلاء عقل القارئ بآراء وقبليات مُسبقة وبطبيعة الحال لا ترجع هذه القبليات إلى قواعد وضوابط تخصصية، بل ترجع إمّا لعقيدة فاسدة أو فكرة مشوّشة أو تبعية لفهم معين أو حسن ظن بطرف ما وهكذا.

**القراءة التأويلية الذوقية:** والغالب أنها تنشأ من تعالي أصحابها بدعوى امتلاكهم الفهم الصحيح والقدرة الكافية التي تؤهلهم لفهم المراد من النص بعيداً عن الضوابط والآليات المعدة لقراءته.

**القراءة التطبيقية الإسقاطية على الواقع:** وتكثر مشاهدتها في النص المهدي من خلال تطبيق الأسماء والعلامات والمفاهيم على الواقع الخارجي دون أي ضابطة تُذكر، مع أن النص له قابلية أوسع مما طبّق عليه، بل قد لا ينطبق على ما تم تطبيقه عليه.

**القراءة الاجتزائية وتقطيع النصوص:** وهذه قد تكون للاستفادة من موارد النص في إثبات المدعى، وهي حالة صحيحة ما دامت تخضع للضوابط المعدّة لقراءة النص، حالها حال العلوم الأخرى وقراءة نصوصها، فإنه قد تلجئ القارئ عدّة ظروف تدفعه إلى تقطيع النص، وقد مرّت النصوص الدينية في عصر الغيبة الصغرى وأوائل عصر الغيبة الكبرى بعملية تقطيع، بيد أنها لم تفقدها قيمتها المعرفية والاستدلالية، نعم لا يخفى أن عملية التقطيع تُفقد النص - في بعض الأحيان - عدداً من القرائن يمكن أن يعتمد عليها في الوصول إلى المطلوب.





على أنه قد لا يؤخذ محل الشاهد بما له من دلالة على المدعى إنما يُبتر النص ويقطع لأجل جرّه لإثبات دعوى مزيفة قد تم البناء عليها مسبقاً، فتدخل القراءة الاجتزائية في القراءة الإسقاطية؛ لأن اجتزاء النص لأجل إسقاطه على دعوى معينة - دون بقية مفرداته التي قد لا تخدم من قام بعملية التطبيق - قد توصف بعملية إسقاط اجتزائي.

القراءة النفعية: وهي قراءة تجارية مدفوعة الثمن، فإن قارئ النص لا يؤمن بما يقوله أو يكتبه، ولكن دُفع له ثمن هذه القراءة لأجل غاية معينة، وهي قراءة قديمة تحدّث عنها القرآن الكريم قائلاً: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ (البقرة: ٤١ / المائدة: ٤٤)، ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة: ٧٩).

القراءة الجدلية: ليس الهدف منها الظفر بواقع معنى النص وإيصال مقاصد قائله إلى الناس، وإنما لأجل غايات ومقاصد مختلفة وأهداف عديدة ذُكرت في صناعة الجدل من علم المنطق.

القراءة المؤدجلة: قراءة تحمل - تجاه النص - عقيدة خاصة يُبتلى بها جملة من أصحاب المذاهب والأديان عند قراءتهم لنصوص دينٍ أو مذهبٍ آخر، وكما تُعهد لدى بعض أتباع المذاهب والأديان ممن يقرؤون النصوص الدينية في إطار ضوابط ومعايير، إلا أنها غير تجردية، وكأنها قراءة قَبَلية، فظاهرها أنها قراءة تخصّصية أُخضع نصها إلى ضوابط مقبولة، ولكنه أنتج نتائج لا تلامس واقع النص والمقصود منه، وتدخل في إطار التقسيم القرآني الذي تحدّث عنه بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ



وَأَخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَبْعٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ  
وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴿آل عمران: ٧﴾.

القراءة الجماهيرية الحماسية: تحصل استشاراً لحدثٍ معيّن يُخضع فيه القارئُ  
النصَّ إلى آلياتٍ آنية يقصد من ورائها استثمار الجمهور، فيلبس النص ثوباً  
غير ثوبه، وإن كان ليس دائماً يلبس النص غير ثوبه بل قد يكون حماسياً لكن  
ضمن المعنى الواقعي للنص، وقد تدخل في القراءة الاجتزائية.

القراءة التخصّصية التجردية: وهي التي ينبغي أن نكون عليها في قراءتنا  
لأي نص من النصوص، ولها ضوابط وآليات ومناهج مختلفة، إلا أنها رغم  
اختلافها توصل القارئ إلى سلامة في قراءة النص وإحاطة بالمعنى المراد، وفي  
إطار هذه القراءة التخصّصية لا بد أن نشير جملة من الأسئلة عند قراءة النص  
المهدوي.

ما هي الضوابط العقلانية أو الشرعية في قراءة النص المهدوي فيما إذا كان  
النص قطعياً أو صريحاً؟ وما هي الضوابط فيما إذا كان النص ظاهراً سواءً كان  
يعبر عن المعنى الحقيقي أو المعنى المجازي والكنائي؟

ما هي مساحة التأويل في قراءة النص المهدوي ومساحة التأثير بالخارج  
والرجوع إليه في تحديد مفاد النص المهدوي؟

وهل نتحاكم إلى سيرة العقلاء وحجية الظواهر في القراءة التأويلية للنصوص  
المهدوية، أو أننا لا بد أن نقرأها بمعزل عن هذه المؤثرات فضلاً عن المؤثرات  
القبليّة؟

هل يخضع النص المهدوي إلى ضوابط المتابعات الرجالية وجهة الصدور أو  
أنه باعتبار حديثه عن المستقبل يؤخذ كنصٍّ مسلّم به لا يحتاج إلا إلى قراءته

المضمونية؟ وما هي ضوابط القراءة المضمونية للنص المهدوي؟

هل توجد عندنا قراءتان للنص المهدوي: قراءة بداعي الإثراء الفكري دون تحميل النتائج التي يصل إليها القارئ للناس، وقراءة أخرى تخصّصية تُعتبر نتائجها موجهة للناس للأخذ بها؟ فهل تشبه النصوص المهدوية النصوص العقائدية أو الفقهية، أو أنها تختلف عنهما وتدخل في النصوص التاريخية؟ أو هي قسم جديد بحد ذاته ولا تشبه شيئاً من الأقسام المتقدمة؟

ثم أنه هل توجد حاكمية لجهة معينة على النص المهدوي - كما في حاكمية الفقيه على النص الفقهي - أو أنه نص مطلق؟

هل يتأثر النص المهدوي بالزرعة المادية أو الغيبية أو يختلف الحال فيه بلحاظ الموارد؟

هل نضع النص المهدوي للبعد الجهتي فيتأثر بالتقية أو أنه حديث عن المستقبل فلم تراغ فيه التقية؟

هذه مجموعة من الأسئلة التي لا بد أن توضع أمام قارئ النص المهدوي عندما يريد الكتابة في هذه القضية المهمة والحساسة.

نماذج في قراءة النص المهدوي:

الروايات الواردة في القضية المهدوية مختلفة، فبعضها تتحدث عن إمامة الإمام الثاني عشر عليه السلام ونسبه الشريف وولادته، وبعضها تتحدث عن غيبته وما يحصل فيها من أحداث وما ينبغي للمؤمنين فيها، وبعضها تتحدث عن علامات ظهوره، فيما تتحدث نماذج أخرى عما يحصل عند ظهوره، ويأتي السؤال هنا عن كيفية فهم هذه النصوص المهدوية، وما هي الآلية التي يمكن أن تُضبط بها قراءة هذه النصوص المهدوية.



من جهة أننا نجزم بأن النص المهدوي يريد أشخاصاً بعينهم وذواتاً بعينها ومدناً بعينها كما في مكة المكرمة والكوفة ومسجد السهلة وخروج الإمام المهدي عليه السلام وأنه هو ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام وهكذا عدد من المفاهيم الواردة في النص المهدوي.

فيما هناك نصوص أخرى قد يفهم أن المقصود منها الكناية والمجاز ووراء الحقيقة التي يشير إليها اللفظ كسيف الإمام عليه السلام أو كون الدنيا بمنزلة راحة اليد عند الإمام عليه السلام أو مد الأسعاع والأبصار للشيععة حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد، أو أن المؤمن في زمان القائم وهو بالشرق ليرى أخاه الذي في المغرب، أو أنه في زمان الظهور يكون ضوء البلاد ونورها مقتبس من نور الإمام عليه السلام بحيث لا يحتاج معه إلى شمس ولا قمر، أو أنه في زمان ظهوره لا يكون على وجه الأرض مؤذ ولا شر ولا سم ولا فساد أصلاً.

أو أنه يورث الأخ أخاه في الأظلة ولم يورث الأخ من الولادة، وكحقيقة الدجال ويأجوج ومأجوج ومُلك الإمام عليه السلام وأنه يُعمّر عمر الخليل عشرين ومئة سنة، أو تسعة عشر سنة وأشهر، أو مدة لبث أهل الكهف أو أنه يتمتع فيها طويلاً، أو غير ذلك.

وجملة من الحقائق التي تتحدث عنها روايات الرجعة كمخاطبة المؤمنين من أهل القبور: «يا هذا إنه قد ظهر صاحبك فإن تشأ أن تلحق به فالحق وإن تشأ أن تقم في كرامة ربك فأقم»، وكحقيقة دابة الأرض ورجوع الأنبياء عليهم السلام لنصرة النبي صلى الله عليه وآله ومقتل إبليس وحزبه ورجعة يزيد وحزبه وقتل الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه لهم، ورجعة بعض المنافقين وهكذا. تعلق جملة من الروايات بأن ذلك يحصل لأن الدعوة ساهوية ليست بأرضية،

وأنه في زمانه لا يجد المؤمن موضعاً يصرف فيه ديناره ودرهمه لاستغناء الناس بفضل الله وفضل وليه.

هذه الجهات المتكثرة وغيرها تلزمنا بالرجوع إلى الآليات المعتمدة في قراءة النص المهدوي، وهي بشكل عام لا تختلف كثيراً عن آليات قراءة النصوص الأخرى إلا في بعض الجوانب والتي ينبغي الإشارة إليها عند وجودها لكي يتم الالتفات إليها وأنها تتم قراءتها خارج آليات القراءة العامة للنص.





**ALMAUOOD**

[www.m-mahdi.com/almauood](http://www.m-mahdi.com/almauood)

[almauood@m-mahdi.com](mailto:almauood@m-mahdi.com)

## مشروعية التقليد في زمن الغيبة الكبرى<sup>(١)</sup> إجابات علمية لشبهات المنكرين

الشيخ جاسم الوائلي

لقد تداول بين المؤمنين (أعزَّهم الله) منذ مدَّة عدد من المنشورات مشتملةً على نصوص زعم ناقلها أنَّها تدلُّ على حرمة الاجتهاد والتقليد. وكانت تلك النصوص ما بين رواياتٍ عن أهل البيت عليهم السلام، وكلماتٍ لبعض أعلام الطائفة الحقَّة.

ويمكن تصنيف تلك النصوص إلى خمسة أصناف:

- ١ - ما دلَّ على حرمة العمل بالاجتهاد، والرأي، والقياس، والاستحسان.
- ٢ - ما دلَّ على حرمة التقليد.
- ٣ - ما دلَّ على أنَّ الفقيه إذا أخطأ فقد كفر، وحكَّم بحكم الجاهليَّة.
- ٤ - ما دلَّ على أنَّ الفقهاء ومقلِّديهم أعداء للدين وللإمام القائم عليه السلام.
- ٥ - ما دلَّ على حرمة العمل بالظنِّ.

وفيما يلي نستعرض النصوص بحسب هذا التصنيف، مع بيان كيفية الاستدلال بها على مُدَّعاهم، ثمَّ نجيب عليها تفصيلاً، ومن الله التوفيق. **الصنف الأوَّل:** ما دلَّ على حرمة العمل بالاجتهاد، والرأي، والقياس،

والاستحسان:

١. بحث مستل من كتاب (مرجعية الفقهاء في زمن الغيبة) للكاتب والذي هو تحت الطبع.



احتجّ منكرو التقليد على حرمة المذكورات بروايات عن الأئمة عليهم السلام،  
وبكلمات بعض أعلام الطائفة، فالكلام يقع في محطتين:

١ - في احتجاجهم بالروايات.

٢ - في احتجاجهم بكلمات بعض الأعلام.

المحطة الأولى: في الاحتجاج بالروايات:

وقد احتجوا بعدة روايات:

الرواية الأولى: ما رواه أبو بصير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ترد علينا  
أشياء ليس نعرفها في كتاب الله ولا سنته، فننظر فيها؟ قال: «لا، أما إنك إن  
أصبت لم تُوجر، وإن أخطأت كذبت على الله»<sup>(١)</sup>.

فأبو بصير يسأل عن القضايا التي لا يجدون لأحكامها ذكراً في الكتاب  
العزیز ولا في السنة المطهرة وأنه هل يجوز لهم أن يرجعوا إلى ما يؤدّي إليه  
نظرهم في تلك القضايا، أو لا يجوز؟

والمقصود من النظر هو النظر العقلي، وهو مرادف في المعنى للرأي، لأن  
المقصود من الرأي هي الرؤية العقلية، فكما أن النظر البصري ترادفه الرؤية  
البصرية كذلك النظر العقلي ترادفه الرؤية العقلية، فتكون الرواية من الروايات  
الناهية عن العمل بالرأي.

ومنكرو التقليد يستدلون بهذه الرواية على حرمة تقليد الفقهاء من خلال  
إثبات حرمة فتاواهم، بدعوى أن الفقهاء يفتون بحسب آرائهم، والإفتاء  
بحسب الآراء محرّم كما دلّت عليه هذه الرواية، وحيث إن تقليد العوام للفقهاء  
هو عبارة عن العمل بفتاواهم المحرّمة، فيكون تقليدهم فيها محرّماً أيضاً، لأن  
العمل بالمحرّم محرّم، وهذا أمر بديهي.

١. وسائل الشيعة (ج ٢٧ / ص ٤٠ / أبواب صفات القاضي / الباب ٦ / ح ٦).



هذا أفضل ما يمكن لهم أن يُقَرَّبوا به الاستدلال بهذه الرواية، وما كان بنفس مضمونها بالشكل الذي يرومونه.

وجوابه: أن الاحتجاج علينا بهذه الرواية وغيرها من روايات هذا الصنف لهو من أعجب العجائب، ذلك لأنَّ العمل بالرأي هو من معالم مذاهب المخالفين لأهل البيت عليهم السلام، بينما حرمة العمل به هو من معالم أتباعهم عليهم السلام، وحرمة ممَّا أجمع عليها فقهاء الإمامية في جميع العصور تبعاً لأئمتهم عليهم السلام، حتَّى باتت حرمة العمل به من ضروريَّات فقه المذهب.

والأعجب من ذلك جهل هؤلاء بأنَّ على رأس المجمعين على حرمة هم فقهاء الطائفة أنفسهم، فإنَّهم هم الذين نقلوا لنا تلك الروايات التي حرَّمت العمل بالرأي، وهم الذين نقلوا الإجماع على حرمة من لدن الصدر الأوَّل للإسلام إلى يوم الناس هذا، فكيف بعد هذا يُخَطَّر إلى ذهن عاقل أن يعمل الفقهاء بما أجمعوا على حرمة تبعاً لما نقلوه بأنفسهم عن أئمتهم عليهم السلام؟! إنَّه لأمرٌ عجيب حقاً.

ومن هنا يتَّضح لك: أنَّ المستدلِّين بهذه الرواية وشبهها على حرمة التقليد لا يخلو حالهم من أحد احتمالات ثلاثة:

فإمَّا أن يكونوا من جهلة الشيعة الذين لا يفقهون من الروايات شيئاً، وإلَّا كيف فاتهم أن الرواية تتحدَّث عمَّا هو من معالم المذهب البارزة وضروريَّاته وواضحاته، وأنها تنهى عمَّا هو من معالم المخالفين؟!!

وإمَّا أن يكونوا دخلاء على المذهب لا يعرفون كثيراً من معالمه وقضاياه، وإلَّا كيف جهلوا هذا الأمر الذي هو من ضروريَّاته؟!!

وإمَّا أن يكونوا عارفين بذلك، ولكنَّهم يبتغون من وراء ذلك تشتيت أتباع أهل البيت عليهم السلام وتفريق جمعهم، وإضعافهم، من خلال إسقاط مرجعية الفقهاء، لتكون الأمة بعد ذلك لقمة سائغة أمام الحركات المنحرفة التي



لا يستطيع الوقوف بوجهها إلا العلماء الفقهاء، وقد انطلت هذه الخدعة على كثير من العوام، لاسيما مرضى القلوب الذين لهم مواقف مسبقة من الفقهاء عامّة، ومن المراجع منهم خاصّة، خصوصاً بعد النجاح الباهر لفتوى الدفاع المقدّس.

**والعجيب في الأمر:** أنّ الرواية نفسها قد فرض فيها السائل أنّ النظر كان في مقابل الكتاب والسنة، لأنّ من الواضح أنّ ما لا يجدونه في الكتاب والسنة لا يمكن أن يكون منهما، وهذا ما لا يخفى على عاقل، وبالتالي يكون المقصود من الرواية: أنّ الفقيه إذا لم يجد الحكم في الكتاب ولا في السنة لا يجوز له أن يحكم بحسب رأيه هو، بل يجب عليه العمل بالوظيفة الشرعيّة التي رسمتها الشريعة له في مثل تلك الحالات.

مثاله: ما لو سئل الفقيه عن حكم التدخين مثلاً - وهو من المسائل الحادثة في زمن الغيبة - فعليه الرجوع إلى عمومات الكتاب وأخبار المعصومين عليهم السلام لينظر هل يوجد فيها ما يشمل التدخين، أو لا يوجد؟

فإن لم يجد ما يدلُّ على الحرمة رجع إلى القواعد التي رسمتها له الشريعة وأوجبت عليه العمل بها في مثل هذه الحالة، كقاعدة الحليّة المشرّعة لكلِّ ما يُشكُّ في حليّته وحرّمته، كما في حديث إمامنا الصادق عليه السلام: «كلُّ شيءٍ هو لك حلال حتّى تعلم أنّه حرام بعينه...»<sup>(١)</sup>، وحيث لا علم للفقيه - مهما بحث وفحص - بحرمة التدخين بعينه في الكتاب ولا في السنة فيفتي أنّذاك بجوازه بحسب قاعدة الحليّة المستفادة من هذا الحديث الشريف، لا بحسب رأيه هو. وبالتالي فليست فتوى الفقيه شيئاً جاء به من بنات أفكاره وبحسب نظره وآرائه ومشتهياته كما يُصوِّره منكره التقليد لعوام الشيعة.

١. وسائل الشيعة (ج ١٧ / ص ٨٩ / أبواب ما يُكتسب به / الباب ٤ / ح ٤).

مثال آخر: ما لو سُئِلَ الفقيه عن شيءٍ مشتبهٍ بين الطاهر والنجس، فإنَّه يرجع إلى قاعدة الطهارة التي شرَّعها المعصوم عليه السلام لكلِّ ما يُشكُّ في طهارته ونجاسته، كما في حديث آخر للصادق عليه السلام: «كُلُّ شيءٍ نظيفٌ حتَّى تعلم أنَّه قذر...»<sup>(١)</sup>، فإنَّ الفقيه حينما يُفتي بطهارة شيءٍ مشكوك الطهارة إنَّما يُفتي استناداً إلى هذه القاعدة المعصوميَّة، لا إلى رأيه ونظره هو.

ومَّا ذكرنا يتَّضح لك: أنَّ الاستدلال بهذه الرواية وشبهها هو استدلال من لا علم له بمذهب الإماميَّة الذين أجمعوا تبعاً لروايات أئمَّتهم عليهم السلام على حرمة العمل بالرَّأي.

كما يتَّضح لك: أنَّ استدلالهم بها هو استدلال من لا يفقه من روايات أهل البيت عليهم السلام شيئاً، وليس له أدنى اطلاع على كُتب الاستدلال لفقهاءنا أصلاً. والنتيجة: هناك فرق كبير بين من يرجع إلى عقله الناقص وفكره القاصر وآرائه الشخصيَّة لتشريع حكم من عند نفسه - كما يصنع مخالفونا في كثير من فتاواهم المستندة إلى الرَّأي، أو القياس، أو الاستحسان -، وبين من يرجع إلى ما استقاه من الكتاب والسُّنَّة وسجَّله في مصنَّفاتهِ وكُتبه، ليستنبط به ومنه ما تضمَّنته نصوص الكتاب والسُّنَّة من أحكام شرعيَّة، فأين نهج فقهاءنا الذي استقوه من الكتاب والسُّنَّة من نهج المخالفين المتبعين لنهج غاصبي الخلافة؟! الرواية الثانية: ما رواه مسعدة بن صدقة، قال: وقال أبو جعفر عليه السلام: «من أفتى الناس برأيه فقد دان الله بما لا يعلم، ومن دان الله بما لا يعلم فقد ضادَّ الله حيث أحلَّ وحرَّم فيما لا يعلم»<sup>(٢)</sup>.

وهذه الرواية صريحة في حرمة الإفتاء بالرَّأي، فهي كالرواية الأولى من حيث المضمون، وكلتاها من جملة الروايات الواردة في النهي عن طريقة

١. وسائل الشيعة (ج ٣) ص ٤٦٧ / أبواب النجاسات / الباب ٣٧ / ح (٤).

٢. وسائل الشيعة (ج ٢٧) ص ٤١ / أبواب صفات القاضي / الباب ٦ / ح (١٢).



المخالفين لنهج أهل البيت عليهم السلام، كالأحناف، والمالكيّة، وشبههم ممن يعتمدون في تحديد الوظائف الشرعيّة على قواعد وطُرُق باطلة، كالقياس، والاستحسان، وما يُسمّونه من بدعهم بسدّ الذرائع، والمصالح المرسلة، واجتهاد الرّأي، وهي طُرُق تواتر عن الأئمّة عليهم السلام تحريمها، وأجمع فقهاؤنا على حرمتها تبعاً للأئمّة عليهم السلام، فكيف بعد هذا يُتهمون بأنهم يعملون بالرّأي؟! إنّه للعجب العجّاب.

وهذا يدلُّ دلالة قاطعة على أنّ المستدلّين بهذه الرواية وأشباهاها في تحريم تقليد فقهاءنا لا يفهمون شيئاً من هذه الروايات، ولا معرفة لهم بشيء من طريقة الفقهاء في عملية الاستنباط، وهم الذين أفنوا أعمارهم الشريفة وبذلوا كلّ ما لديهم من جهد علميٍّ وراحة جسدٍ وبالٍ وتحمّلوا المخاطر في ضلّ حكومات جائرة وحكّام ظلمة يقتلون على الظنّة، كلّ ذلك في سبيل استخراج كنوز الكتاب الكريم، وتحصيل جواهر روايات المعصومين عليهم السلام، هداية الأئمّة على ضوء هداية الثقلين: كتاب الله، وعترته رسوله صلى الله عليه وآله.

وبالإجابة على الاستدلال بهذه الرواية وسابقتها على مدّعاهم تستطيع أن تُجيب على استدلالهم ببقية الروايات الدّالة على حرمة الإفتاء بالرّأي بأنّ المقصود منها هو حرمة ما جرى عليه المخالفون لنهج أهل البيت عليهم السلام، من العمل بمثل القياس، والرّأي، والاستحسان، وغير ذلك من القواعد الباطلة. وأمّا فقهاء الشيعة فقد منّ الله تعالى عليهم باثني عشر إماماً بعد النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، وقد استطاعت أحاديثهم عليهم السلام أن تُغطّي مختلف مناحي الحياة وموارد الابتلاء، ولم يتركوا شيعتهم بلا دليل يرجعون إليه في زمن الغيبة الصغرى، ولا الكبرى، ومن اعتقد أنّهم عليهم السلام تركونا بلا دليل فقد اتّمهم - حاشاهم - بالتقصير في واجبه الإلهي تجاه عباد الله، وهم الذين نصبهم الله هداية الناس أجمعين، لاسيّما شيعتهم الموالين لهم إلى يوم القيامة، فقد بيّنوا

لفقهاء الشيعة جملة كبيرة من القواعد والأصول ليرجعوا إليها في المسائل التي لا يجدون حكمها في الكتاب الكريم، ولا في الروايات الشريفة.

وإلى هذا المعنى يشير ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام: «إِنَّمَا عَلَيْنَا أَنْ نُلْقِيَ إِلَيْكُمُ الْأُصُولَ، وَعَلَيْكُمْ أَنْ تُفَرِّعُوا»<sup>(١)</sup>، وما روي عن الرضا عليه السلام: «عَلَيْنَا إِقْنَاءُ الْأُصُولِ، وَعَلَيْكُمْ التَّفْرِيعُ»<sup>(٢)</sup>، فَإِنَّ وَظِيفَةَ فَقَهَائِنَا هِيَ التَّفْرِيعُ مِنْ تِلْكَ الْأُصُولِ لِلْمَوَارِدِ الَّتِي لَمْ يَرِدْ فِيهَا نَصٌّ خَاصٌّ، كَمَا مَثَّلْنَا فِيهَا سَبْقَ بِمَسْأَلَةِ التَّدْخِينِ.

الرواية الثالثة: ما نسبته منكرو التقليد في منشورهم إلى أمير المؤمنين عليه السلام من أنه قال: «نَحْنُ إِنَّمَا نَنْفِي الْقَوْلَ بِالْإِجْتِهَادِ لِأَنَّ الْحَقَّ عِنْدَنَا فِيمَا قَدَّمْنَا ذَكَرَهُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي نَصَبَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَالِدَلَالِئِ الَّتِي أَقَامَهَا لَنَا كَالْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَالْإِمَامِ الْحُجَّةِ، وَلَنْ يَخْلُو الْخَلْقُ مِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا، وَمَا خَالَفَهَا فَهُوَ بَاطِلٌ».

قال منكرو التقليد: ثم ذكر عليه السلام كلاماً طويلاً في الردّ على من قال بالاجتهاد<sup>(٣)</sup>.

هكذا نقلوا الرواية كدليل على بطلان الاجتهاد، وبالتالي بطلان تقليد العوامّ للمجتهدين.

والجواب: أن هذه الرواية هي مقطع من رواية بتروها من الطرفين لتحقيق غايتهم، كفعل إخوانهم من الوهابية ونظرائهم من النواصب.

وإنما يجوز تقطيع الرواية فيما إذا لم يؤثّر تقطيعها على معناها تأثيراً سلبياً، وإلا كان ذلك تدليساً، أو غفلةً على أحسن التقادير.

١. وسائل الشيعة (ج ٢٧) ص ٦١ / أبواب صفات القاضي / الباب ٦ / ح (٥١).

٢. وسائل الشيعة (ج ٢٧) ص ٦٢ / أبواب صفات القاضي / الباب ٦ / ح (٥٢).

٣. وسائل الشيعة (ج ٢٧) ص ٥٢ / أبواب صفات القاضي / الباب ٦ / ح (٣٨).



أمّا أنّها مبتورةٌ من الأوّل فلأنّ هذا المقطع هو جزء صغير من رواية طويلة جدًّا نقلها صاحب الوسائل في ستّ صفحات تقريباً، وهذه الرواية الطويلة اقتطعها صاحب الوسائل من رواية أطول منها بكثير وكثير من رسالة (المحكم والمتشابه) للسيد المرتضى عليه السلام، والسيد نقلها بدوره من تفسير النعماني محمد بن إبراهيم المعروف بأبي زينب تلميذ الشيخ الكليني عليه السلام، وهو بدوره نقل كلاماً عن أمير المؤمنين عليه السلام، لكنّه خلطه بكلامه، ولم يميّزه عن كلام الإمام عليه السلام على طريقة القدماء، كالشيخ الصدوق في بعض كتبه، فتوهّم صاحب الوسائل أنّ الكلام بطوله لأمير المؤمنين عليه السلام، وليس هو كذلك.

وكان الكلام في أوّل قسم منه يتحدّث عن بعض علوم القرآن، وفي قسم آخر عن عقائدنا في مقابل عقائد المخالفين، وفي قسم ثالث عن فقهنّا في مقابل فقهم، وصاحب الوسائل نقل من القسم الثالث فقط، فيكون الكلام من أوّله إلى آخره يتحدّث عن طريقة أهل البيت عليهم السلام من تلك الجهات في مقابل طريقة المذاهب المنحرفة، ولكن المنكرين للتقليد اقتطعوا ما يُحقّق غرضهم، فتعالوا النظر فيما نقله صاحب الوسائل، لننظر من أين اقتطعوا ذلك المقطع. وحيث إنّ ما نقله صاحب الوسائل رواية طويلة فسنتصر على النظر في أوّلها، ثمّ وسطها، ثمّ آخرها.

١ - أمّا أوّلها فقوله: «وأمّا الرّدُّ على من قال بالرأي والقياس والاستحسان

والاجتهاد...» إلخ<sup>(١)</sup>.

ومن هنا بدأ صاحب الوسائل في نقل الحديث، وهو مبدوء بواو العطف، لأنّه معطوف على كلام قبله ممّا نقله النعماني في تفسيره، ولم ينقله صاحب الوسائل، لعدم حاجته إليه في المعنى الذي أورد الرواية لأجله. وها أنت ترى أنّ الاجتهاد الوارد هنا مقرونٌ إلى بعض طُرُق المخالفين في

١. وسائل الشيعة (ج ٢٧ / ص ٥٢).



تعيين الوظائف الشرعية عندهم، وهي الرأي، والقياس، والاستحسان، ما يعني أنّ الاجتهاد المقصود في هذا الكلام هو الاجتهاد الذي عند المخالفين، والذي يختلف عن الاجتهاد بالمعنى الذي عندنا اختلافاً جوهرياً، وإنما نمت روايات أهل البيت عليهم السلام عن طُرُق المخالفين لأنهم لما انحرفوا عن ورثة الكتاب والسنة أعوزتهم الأدلة على كثير من الأحكام الشرعية، فلجأوا إلى تلك الطُرُق الباطلة، والتي منها الاجتهاد بالمعنى الذي عندهم، ومنه ما سُمِّيَ بالاجتهاد في مقابل النص، ومنه ما يُسَمَّى باجتهاد الرأى، وكلاهما منهيٌّ عنه في رواياتنا، وأجمع فقهاؤنا على بطلانها تبعاً لأنتمنا عليهم السلام.

وأما الاجتهاد بالمعنى الذي عندنا نحن الإمامية فهو عبارة عن بذل الفقيه جهده من أجل الوصول إلى حكم الله تعالى من الكتاب، وروايات العترة الطاهرة، لا بالرأى، أو القياس، أو الاستحسان، أو غيرها من القواعد الباطلة.

٢ - وأما وسطها فقولُه: «وأما الردُّ على من قال بالاجتهاد فإنهم يزعمون

أنَّ كلَّ مجتهد مصيبٌ...» إلخ<sup>(١)</sup>.

وهذا أيضاً مختصٌّ بالمخالفين لأهل البيت عليهم السلام، لأنَّ من المعلوم حتَّى للنواصب أن الإمامية لا يقولون بأنَّ كلَّ مجتهد مصيب، بل يقولون: إنَّ الفقيه عليه أن يبذل قصارى جهده في سبيل تحصيل الحكم الشرعيّ من الكتاب العزيز، وروايات المعصومين عليهم السلام، فإنَّ أصاب فيها، وإنَّ أخطأ كان معذوراً، ولذلك فهم يُصرِّحون بأنَّ المجتهد يُخطئ ويصيب، ولا يقولون بأنَّ المجتهد مصيب على كلِّ حالٍ، ولذا سُمِّيَ الإماميةُ بالخطئة، في مقابل من ذكرتهم الرواية، والذين يُسمَّون بالمصوبة، وهم غير الإمامية.

٣ - وأما آخرها فهو المقطع الذي دلَّسوا به على أيتام آل محمد عليهم السلام، وهو

قولُه: «ونحن إنَّما ننفي القول بالاجتهاد لأنَّ الحقَّ عندنا فيما قدَّمنا ذكره من

١. وسائل الشيعة (ج ٢٧ / ص ٥٦).



الأمر التي نصبها الله تعالى والدلائل التي أقامها لنا، كالكتاب، والسنة، والإمام الحجّة، ولن يخلو الخلق من هذه الوجوه التي ذكرناها، وما خالفها فهو باطل»<sup>(١)</sup>.

وهذا صريح فيما ذكرنا من أنّ المقصود من الاجتهاد في هذه الرواية هو المعمول به عند المخالفين الذين يعملون بمثل الرأي، والقياس، والاستحسان، في مقابل العمل بالكتاب، وروايات المعصومين عليهم السلام، بدليل قوله: «لأنّ الحقّ عندنا فيما قدّمنا ذكره من الأمور»، يعني: أنّ الحقّ منحصر فيما قدّم ذكره من الأمور، وهي الكتاب، والسنة، والإمام الحجّة، وليس الحقّ في الرأى وأشباهه، ثمّ وصف تلك الأمور التي هي المرجع لأخذ الأحكام بقوله: «التي نصبها الله تعالى، والدلائل التي أقامها لنا»، ثمّ بيّن بقوله: «كالكتاب، والسنة، والإمام الحجّة»، وهذه الثلاثة هي التي يرجع إليها فقهاء الإمامية، في مقابل ما يرجع إليه المخالفون من القياس، وشبهه.

والفقيه إذا بذل قصارى جهده في البحث عن الأحكام في الآيات والروايات فسيجد أنّهما تغطيان جميع مناحي الحياة، وإلى هذا أشار قوله: «ولن يخلو الخلق من هذه الوجوه التي ذكرناها»، يعني: الكتاب، والسنة، والإمام الحجّة عليهم السلام، فلا يجوز الرجوع إلى غيرها، كالرأى، أو القياس، أو الاستحسان، أو غيرها من طرق المخالفين التي منها الاجتهاد بالمعنى الذي عندهم.

هذا مضافاً إلى أنّ قوله: «والإمام الحجّة» يُقصد به أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهم حجّة على المسلمين عامّة، وعلى الشيعة خاصّة، وهذا يدلّ على أنّ هذا الكلام لابن أبي زينب النعماني رحمته الله، وليس لأمير المؤمنين عليه السلام، لأنّ عنوان الإمام الحجّة ينطبق عليه، وبالتالي يكون عليه السلام من الدلائل التي أقامها الله تعالى لنا.

١. وسائل الشيعة (ج ٢٧ / ص ٥٨).



والمكثرون للتقليد اقتصروا على المقطع الأخير وبتروه عمًا قبله وعمًا بعده، لكي يُوهموا المتلقي أنه ينهي عن الاجتهاد حتى بالمعنى الذي هو عند الإمامية (أعزهم الله تعالى)، ولأجل التمويه على البتر من أول الرواية حذفوا واو العطف من قوله: «ونحن»، وجعلوا بداية المنقول هكذا: «نحن» بلا واو، لكي لا يلتفت أيتام آل محمد ﷺ الذين لا خبرة لهم في مجال دراية الحديث إلى البتر المذكور.

وأما بترها من آخرها فقد وقفوا عند عبارة: (ثم ذكر عليه السلام كلاماً طويلاً في الرد على من قال بالاجتهاد).

ولو رجعنا إلى الوسائل لوجدنا العبارة كالتالي: (ثم ذكر عليه السلام كلاماً طويلاً في الرد على من قال بالاجتهاد في القبلة، وحاصله الرجوع فيها إلى العلامات الشرعية).

وها أنت ترى أن المستدل وقف عند عبارة (بالاجتهاد) لكي يُوهم العوام بأن الإمام عليه السلام كان يتحدث عن الاجتهاد بالمعنى الذي عندنا، مع أن الكلام في هذه العبارة عن الاجتهاد في مسألة القبلة، وترك العلامات التي نصبها المشرع ليرجع إليها المسلمون في تحديد جهتها، لكن منكري التقليد أرادوا - كما يصنع الوهابية - أن يجعلوا العبارة الأخيرة من النصوص التي تنهى عن العمل بالاجتهاد، فحذفوا عبارة: (في القبلة) وما بعدها، لكي تبدو للناظر أنها نص في النهي عن الاجتهاد بجميع معانيه، حتى بالمعنى الذي عند الإمامية.

ولو قالوا: إذا ثبت النهي عن الاجتهاد في مسألة تحديد القبلة فيثبت النهي عنه في جميع المسائل الفقهيّة.





## فجوابه من وجهين:

١ - أن هذا من أوضح مصاديق القياس التي نهت عنه الروايات، فإنَّ النهي عن الاجتهاد في مسألة لا يستلزم النهي عنه في كلِّ المسائل، لاحتمال وجود سبب مانع من الرجوع إلى الاجتهاد في تلك المسألة كما سيَّضح من الوجه الثاني.

٢ - أنَّ النهي عن الاجتهاد في القبلة مختصُّ بحالة وجود العلامات التي نصبها الشريعة لمعرفة جهتها، كالنجم الشمالي المسمَّى بالجددي الوارد ذكره كعلامة في رواية محمد بن مسلم، عن أحدهما، قال: سألته عن القبلة، فقال: «ضع الجدي في قفاك وصل»<sup>(١)</sup>.

ومحمد بن مسلم من أهل العراق، فتكون العلامة المذكورة علامةً لأهل العراق، أو لا أقلَّ تكون علامةً لأهل الكوفة التي منها محمد بن مسلم. وأمَّا لو فقد المكلف جميع العلامات لسبب أو آخر - كما لو تاه في صحراء في ليلٍ غائم لا يعرف فيه شمالاً من جنوب وشرقاً من غرب - فقد وردت روايات أخرى عنهم عليهم السلام صريحة في جواز الاجتهاد في القبلة، بل في وجوبه. منها: رواية سماعه، قال: سألته - يعني الإمام الصادق عليه السلام - عن الصلاة بالليل والنهار إذا لم يرَ الشمس، ولا القمر، ولا النجوم، قال: «اجتهد رأيك، وتعمد القبلة جُهدك»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: رواية سليمان بن خالد، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الرجل يكون في قفرٍ من الأرض في يوم غيمٍ، فيُصليّ لغير القبلة، ثمَّ يصحى فيعلم أنه صلَّى لغير القبلة، كيف يصنع؟ قال: «إن كان في وقتٍ فليُعدَّ صلاته، وإن كان مضى

١. وسائل الشيعة (ج ٤) ص ٣٠٦ / أبواب القبلة / الباب ٥ / ح ١.

٢. وسائل الشيعة (ج ٤) ص ٣٠٨ / أبواب القبلة / الباب ٥ / ح ٢.



الوقت فحسبه اجتهاده»<sup>(١)</sup>، يعني: يُجزيه اجتهاده في معرفة جهة القبلة حتّى لو تبين أنّه كان مخطئاً في اجتهاده.

وغير ذلك من الروايات الدالّة على جواز الاجتهاد في تحديد القبلة في صورة فقد علاماتها الشرعيّة، بل وتدلّ على أجزاء اجتهاده حتّى لو تبين خطؤه.

والنتيجة من كلّ هذا: أنّ منكري التقليد ارتكبوا التدليس مرّتين؛ مرّة في بتر الكلام من أوله، ومرّة في بتره من آخره، وهدفهم من ذلك أن يبدو الكلام وكأنّه وارد في النهي عن الاجتهاد بجميع معانيه حتّى بالمعنى الذي هو عند الإماميّة، وهو بذل الجهد لأجل استنباط الحكم الفقهي من مصادره الشرعيّة، أعني: الكتاب، وروايات المعصومين عليهم السلام.

المقطع المذكور ليس من كلام الإمام علي عليه السلام:

هذا كلّه لو ثبت أنّ المقطع المذكور للإمام علي عليه السلام بالفعل، وليس من كلام النعماني رحمته الله، أو السيّد المرتضى رحمته الله، كما توهم صاحب الوسائل رحمته الله، لكنّه ليس كذلك.

والوجه في ذلك: أنّ المقطع المذكور متطابق تام التوافق مع لغة العلماء، ولا يخفى على أهل الحديث الفرق بين لغتهم ولغة المعصومين عليهم السلام، وإنّما يحصل الاشتباه حينما يخلط الراوي كلاماً قليلاً منه مع كلام المعصوم عليه السلام، كما حصل ذلك مع الصدوق رحمته الله في مواضع من كتاب (من لا يحضره الفقيه).

وتحقّق هذا الأمر يحتاج إلى تخصّص من جهة، وكلامٍ طويل من جهة أخرى، وكلّ منهما يحتاج إلى بحثٍ مستقلٍّ لا يتناسب مع بحثنا هذا. ولكن لو تنزّلنا وفرضنا أنّه من كلام أمير المؤمنين عليه السلام فقد عرفت الجواب،

١. المصدر السابق (ح ٦).



وأنَّ الكلام في هذا المقطع كان بصدد النهي عن الاجتهاد بالمعنى الذي عند المخالفين، لا عن مطلق الاجتهاد.

وإنَّ شئتَ قلتَ: إنَّ الاجتهاد في المسائل الشرعيَّة على ثلاثة أنواع:

النوع الأوَّل: الاجتهاد في مقابل النصِّ، كاجتهادات عمر بن الخطَّاب العديدة في مقابل نصِّ الكتاب أو السنَّة، كما في تحريمه لمتعة النساء، ومتعة الحجِّ.

النوع الثاني: الاجتهاد في الرأْي، بمعنى أن يرجع الفقيه إلى رأيه الشخصي في تحديد الوظيفة الشرعيَّة، من دون استنادٍ إلى مصادر التشريع الإسلامي، كما مرَّ عليك في بعض الروايات المتقدِّمة.

النوع الثالث: الاجتهاد في الوصول إلى مراد الشريعة من خلال قواعد وضوابط ثبتت صحَّتها بالدليل، ليستعين بها الفقيه في عمليَّة استنباط الحكم من مصادر التشريع الإسلامي، أعني الكتاب العزيز، وروايات المعصومين عليهم السلام، والإجماع، والقطع العقلي.

والاجتهاد المنهي عنه في روايتنا ما كان من قبيل الأوَّل والثاني، دون الثالث، لأنَّه من دون الاجتهاد بالمعنى الثالث لا يمكن لأحد أن يستخرج الأحكام الشرعيَّة من مصادر التشريع.

بل حتَّى المنكرون لمشروعيَّة الاجتهاد - أعني بعض الأخباريين - هم يمارسون الاجتهاد بالمعنى الثالث على مستوى العمل رغم إنكارهم له على مستوى القول، نظير موقف المخالفين لنا في مشروعيَّة التقيَّة حينما يُنكرونها ويُجرِّمونها على مستوى القول، ولكنَّهم يمارسونها مع الظلمة من حُكَّام المسلمين على مستوى العمل، ولا يوجد أخباريٌّ واحدٌ إلَّا وهو يعمل بمثل (قاعدة الطهارة) و(قاعدة التجاوز) و(قاعدة الفراغ) و(قاعدة اليد) و(قاعدة سوق المسلمين) وغيرها من القواعد الفقهيَّة التي يستدلُّ بها الفقيه في تحديد الوظيفة الشرعيَّة لنفسه ولتقليده.



وما من أخباريِّ إلا وهو يراعي ما يقتضيه مثل قانون (الإطلاق والتقييد) و(العموم والخصوص) و(الناسخ والمنسوخ) و(المجمل والمبني) و(حجّية ظواهر السنّة) و(حجّية خبر الثقة) و(حجّية الإجماع الكاشف عن حكم المعصوم عليه السلام)، وجريان الأصول التي شرّعها الأئمّة عليهم السلام للمكلّفين في حالات الشكّ، من قبيل (أصالة الاستصحاب) و(أصالة البراءة) و(أصالة الاحتياط)، وغير ذلك من القواعد اللفظيّة، أو الأصوليّة التي تتوقّف عليها عملية الاستنباط في جميع مسائل الفقه الاجتهاديّة.

وليس الاجتهاد إلا عبارة عن استعانة الفقهاء بهذه القواعد وشبهها في مجال تحديد الوظائف الشرعيّة لأنفسهم ولتقليداتهم، وذلك بعد أن أثبتوا في مرحلة سابقة وفي عدّة علوم - كعلم الكلام، وعلم أصول الفقه - شرعيّة تلك القواعد، بل وأثبتوا عدم جواز نسبة أيّ حكم - حتّى مثل استحباب تقليم الأظفار - إلى الله تعالى، أو إلى رسوله ﷺ، أو إلى واحد من الأئمّة عليهم السلام من دون مراعاة لتلك القواعد والضوابط.

كما أثبتوا بالأدلة الواضحة بطلان قواعد أخرى وحرّموا العمل بها تبعاً للأئمّة عليهم السلام، كالقياس، والرأي، والاستحسان، والاجتهاد بالمعنيين الأوّلين السابقين، وكقاعدي سدّ الذرائع، والمصالح المرسلة، وغير ذلك من القواعد التي اعتمدها المخالفون لأهل البيت عليهم السلام.

هذا تمام الكلام في الرواية الثالثة.

**وخلاصته:** أنّها ليست رواية عن المعصومين عليهم السلام، وأنّ نسبتها إلى أمير المؤمنين عليه السلام توهمٌ من صاحب الوسائل، وهو معذور في ذلك، كما أنّه لم يرتكب التدليس كما فعل منكرو التقليد عندما بتروها من أولها وآخرها.



وعلى تقدير أنّها من كلام أمير المؤمنين عليه السلام فهي بصدد النهي عن نحوين من الاجتهاد:

١ - الاجتهاد بالمعنى الذي هو عند المخالفين لأهل البيت عليهم السلام، لا بالمعنى الذي عندنا نحن الإمامية.

٢ - الاجتهاد في تحديد القبلة في حال وجود العلامات المجعولة من الشّرع لتحديدها، دون الاجتهاد في حال فقد تلك العلامات، فإنّه جائز، بل واجب.

الرواية الرابعة: ما نسبه منكرو التقليد في منشورهم إلى إمامنا الصادق عليه السلام، حيث جاء ما نصّه: قال الصادق عليه السلام - وهو يعني الإمام المهدي عليه السلام بما

قاله - : «أعداء الدّين مقلّدة الفقهاء أهل الاجتهاد ولم يروونه يحكم بخلاف ما ذهب إليه أئمّتهم...»، ثمّ يواصل الكلام بعد ذلك إلى أن يقول: «إذا خرج

فليس له عدوٌّ مبين إلاّ الفقهاء خاصّة، وهو والسيف أخوان».

هكذا نقلوا في منشوراتهم التي ورّعوها على الناس على ما فيه من تلاعب من جهة، وأخطاء من جهة أخرى.

وقد ذكروا لهذا الحديث المزعوم مصدرين: كتاب (إلزام الناصب)، وكتاب (ينابيع المودّة)، كما ذكروا في بعض مواقعهم المشبوهة على الإنترنت مصادر أخرى من بينها كتاب (بشارة الإسلام).

وهذا الكلام المنسوب إلى إمامنا الصادق عليه السلام يشتمل على مقطعين:

أولهما: «أعداء الدّين مقلّدة الفقهاء أهل الاجتهاد ولم يروونه يحكم بخلاف ما ذهب إليه أئمّتهم».

ثانيهما: «إذا خرج فليس له عدوٌّ مبين إلاّ الفقهاء خاصّة، وهو والسيف أخوان».

والجواب عليه من ثلاثة وجوه:

١ - أن الحديث بمقطعيه مكذوبٌ على الإمام الصادق عليه السلام، فإنَّ كلا المقطعين لابن عربي الصوفي المعروف ذكرهما في كتاب (الفتوحات).  
أمَّا الأوَّل فقد ذكره ضمن كلام له طويل جاء في أوَّلِه: (اعلم - أيَّدنا الله - أنَّ الله خليفة يخرج وقد امتلأت الأرض جوراً وظلماً).  
إلى أن قال بعد كلام له طويل فيما يقوم به الإمام المهدي عليه السلام: (يرفع المذاهب من الأرض، فلا يبقى إلاَّ الدين الخالص).  
ثمَّ ذكر المقطع الأوَّل قائلاً: (أعداؤه مقلِّدَةُ العلماء أهل الاجتهاد، لما يرونه من الحكم بخلاف ما ذهبت إليه أئمَّتهم).  
ثمَّ قال: (فيدخلون كرهاً تحت حكمه خوفاً من سيفه ووسطوته ورغبةً فيما لديه، يفرح به عامَّةُ المسلمين أكثرُ من خواصِّهم، يباعه العارفون بالله من أهل الحقائق عن شهودٍ وكشفٍ بتعريفٍ إلهي...) إلى آخر كلامه<sup>(١)</sup>.  
وأمَّا المقطع الثاني فقد ذكره أيضاً ضمن كلام طويل انتقد فيه فقهاء المذاهب الأخرى، ومدح الصوفيَّة والعرفاء ممَّن كانوا على مسلكه، وقال: (وإذا خرج هذا الإمام المهدي فليس له عدوٌّ مبيِّنٌ إلاَّ الفقهاء خاصَّةً...).  
إلى أن قال: (ولولا أنَّ السيف بيد المهدي لأفتى الفقهاء بقتله، ولكن الله يُظهره بالسيف والكرم، فيطمعون ويخافون، فيقبلون حكمه من غير إيمانٍ، بل يضمرون خلافه كما يفعل الحنفيُّون والشافعيُّون فيما اختلفوا فيه...).  
إلى أن قال في وصفهم: (فمثل هؤلاء لولا قهر الإمام المهدي بالسيف ما سمعوا له، ولا أطاعوه بطواهرهم، كما أنَّهم لا يطيعونه بقلوبهم، بل يعتقدون فيه أنه إذا حكم فيهم بغير مذهبهم أنه على ضلالةٍ في ذلك الحكم، لأنَّهم

١. الفتوحات المكيَّة (ج ٦ / ص ٤٠ / الباب ٣٦٦ / طبعة ١ / ١٤٢٤هـ / دار صادر).

يعتقدون أن زمان أهل الاجتهاد قد انقطع، وما بقي مجتهد في العالم، وأن الله لا يوجد بعد أئمتهم أحداً له درجة الاجتهاد... إلى آخر كلامه<sup>(١)</sup>.

والحاصل: أن الكلام بمقطعية لابن عربي، وليس لإمامنا الصادق عليه السلام.

٢ - قد أتضح لك من كلامه الأخير الذي لم ينقله منكرو التقليد للتدليس على المؤمنين أن المقصود بالمتقدمين لأهل الاجتهاد هم عوام أهل السنة المقلدون لأحد الأربعة: (مالك، وأبي حنيفة، والشافعي، وابن حنبل) الذين هم أهل الاجتهاد الذين يعتقد مقلدوهم بأن الاجتهاد قد ختم بهم، وأن الله تعالى لن يخلق مجتهداً بعدهم.

٣ - أن من المقطوع به والبديهي أن الأحكام التي يأتي بها الإمام المهدي عليه السلام ستكون على طبق أحكام آباءه عليه السلام المودوع أكثرها في كتبنا الحديثية، وهي أحكام مخالفة لأحكام المخالفين التي هي اجتهادات أئمتهم الأربعة، ولذا حينما يأتي بأحكام آباءه عليه السلام سوف يعاديه أتباع تلك المذاهب، لأنهم يرون أن أحكامهم مخالفة لأحكام أئمتهم الأربعة، كما علل بذلك ابن عربي في قوله: (لما يرونه من الحكم بخلاف ما ذهب إليه أئمتهم).

والنتيجة: قد أتضح أن الحديث المذكور هو من كلام ابن عربي في حق المخالفين، وقد نسهب منكرو التقليد إلى إمامنا الصادق عليه السلام افتراءً عليه، وتدليساً على المؤمنين، فليتبوأ الكاذب مقعده من النار، وكذلك من علم به منهم وسكت عنه ولم يردعهم، بل ساعده في نشر هذه الأكذوبة ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ (البروج: ٢٠).

الرواية الخامسة: ما نقله منكرو التقليد في منشوراتهم عن كتاب (إلزام الناصب) من أنه: ذكر الصادق عليه السلام يوماً أهل الفتوى وهو مغضب: «إذا خرج القائم يتقم من أهل الفتوى بما لا يعلمون، فتعسأ لهم ولأتباعهم».

١. المصدر السابق (ص ٤٩).





وفي الطبعة التي عندي هكذا: «وينتقم من أهل الفتوى في الدين لما لا يعلمون، فتعساً لهم ولأتباعهم»<sup>(١)</sup>.

وجوابه في نقاط:

١ - أن هذه الرواية قطعة من خطبة البيان المنسوبة إلى الإمام عليّ عليه السلام، وليست من كلام الإمام الصادق عليه السلام، كما أنّها خالية من فقرة: (ذكر أهل الفتوى يوماً وهو مغضب)، فيكونون قد كذبوا على الإمام الصادق عليه السلام في هذه الرواية أيضاً، كما كذبوا عليه في الرواية السابقة، ومن يكذب على الإمام متعمداً مرةً يمكن أن يكذب عليه ألف مرةً.

٢ - أن سند الخطبة ضعيفٌ جداً، لانحصاره بسند واحد رواه كلُّهم من المخالفين لأهل البيت عليهم السلام، ولم يروها أعلامنا من أمثال الكليني، والصدوق، والمفيد، والمرتضى، والطوسي، ولا غيرهم ممن تأخر عنهم، كالشيخ محمد تقي المجلسي، بل صرح ولده العلامة محمد باقر المجلسي في كتابه (مرآة العقول) بكذبها، وكذب أمثالها، وجعلها من روايات الغلاة وأشباههم<sup>(٢)</sup>، ولذا فقد حكم بضعف سندها جملة من الأعلام المحققين قديماً وحديثاً، فكيف يجوز بعد هذا كله لمن يدّعي التشيع أن ينسب إلى إمامه رواية ساقطة عن الاعتبار بالمرّة؟!!

وما الفرق بين من يكذب على المعصوم عليه السلام متعمداً وبين من يسند إليه حديثاً لم يكن سنده في غاية الضعف فحسب، بل توجد في نفس الخطبة قرائن - كما يأتي بيان بعضها - تدلُّ على عدم صدورها عنه عليه السلام، ولا عن واحد من أولاده عليهم السلام.

١. إزام الناصب (ج ٢ / ص ٢٣٥).

٢. مرآة العقول (ج ١ / ص ٦١٩).

٣ - أن في كثيرٍ من فقرات الخطبة ركافة واضحة يجُلُّ عن مثلها أمير البلاغة والبيان، والذي ما سنَّ الفصاحة لقريش إلا هو.

٤ - أن كثيراً من مضامينها باطلة في مذهب أهل البيت عليهم السلام.

ولو قال قائل: ألم يرد بعض مضامينها في رواياتنا؟

فجوابه: أن بعض المنحرفين حينما يريدون أن يدسُّوا أموراً باطلة في روايات المعصومين عليهم السلام فإنهم يعمدون إلى روايات صحيحة فيدسُّون فيها ما يريدون دسّه، كما كان يصنع المغيرة بن سعيد وأبو الخطّاب (لعنة الله عليهما)، حيث كان الأوّل يدسُّ في أحاديث إمامنا الباقر عليه السلام، والثاني يدسُّ في أحاديث الإمام الصادق عليه السلام.

ولو قال قائل: إذا كان الأمر كذلك فلماذا ينقل علماءنا هذه الروايات عن المخالفين في كتبنا؟

فجوابه واضح: فإن نقل أمثالها عنهم إنّما هو من باب إلزامهم بما ينقلون، كما صنع الشيخ الحائري في كتابه (إلزام الناصب)، ليفحم بما نقلوه من أنكر منهم وجود المهدي عليه السلام من النواصب وغيرهم، ولذا سمّي كتابه (إلزام الناصب)، وهو ما نصنعه نحن اليوم حينما نحتجّ عليهم بمثل كتاب البخاري، وكتاب مسلم، وأمثالهما، ونستدلُّ عليهم بما نقله روايتهم، كأبي هريرة، وأضرابه ممّن عرفوا عندنا بالكذب، وذلك من باب إلزامهم بما نقلوه في كتبهم.

٥ - ذكر المؤلف أن للخطبة نُسَخاً مختلفة<sup>(١)</sup>، ونقل ثلاث نُسَخ منها، والمقطع المذكور ورد في واحدة منها فقط، ولا مثبت أنّها هي الصادرة عن أمير المؤمنين عليه السلام، بل يحتمل أنّها موضوعة من قبل بعض الرواة الذين هم من المخالفين، لاسيّما وأنّ

١. إلزام الناصب (ج ٢ / ص ١٧٨)، النسخة الأولى تبدأ من (ص ١٧٩) إلى (ص ٢١٣)، والثانية من (ص ٢١٣) إلى (ص ٢٣٢)، والثالثة نقلها عن كتاب (الدُّرُّ الْمُنْتَظَمُ فِي السِّرِّ الْأَعْظَمِ) لمحمد ابن طلحة أحد علماء الشافعية، وتبدأ من (ص ٢٣٢) إلى (ص ٢٤١).

بعضهم من الصوفيّة الذين لا يخفى على المتابع عداؤهم للفقهاء، وهذا الإشكال يرد أيضاً على رواية ابن عربي - الرواية الرابعة المتقدّمة -، فإنّه كان من أشدّ الناس عداوةً للفقهاء، ولئن قصد فقهاء مذاهبهم فلا شأن لنا بهم، لأنّ فقهاءنا (أمناء الرُّسل) و(ورثة الأنبياء) كما ورد في الأحاديث السابقة.

٦ - لو غضضنا النظر عن كلّ ما تقدّم فقد اتّفقت روايات أئمّتنا عليهم السلام وفتاوى فقهاءنا على حرمة الإفتاء بغير علم، حتّى بات هذا الحكم من ضروريّات الدّين لا يختلف فيه اثنان من المسلمين، وغاية ما تدلّ عليه هذه الرواية هو أنّ المهدي عليه السلام سيستقم ممّن يُفتون بغير علم، لا من جميع أهل الفتوى بمن فيهم الذين يفتون بعلم، لأنّ الخطبة قيّدت الانتقام بذلك في جملة: «بما لا يعلمون».

ولا أدري ما علاقة هذا بمراجعتنا الذين بلغوا من العلم في الأحكام الشرعيّة أعلى رتبة فيه، وهي رتبة الاجتهاد والفاهاة؟!

٧ - لو لاحظنا تكملة المقطع لوجدنا فيها مقاطع تتحدّث عن أهل الفتوى من المخالفين، كبعض الصحابة وأمثالهم من الذين خالفوا عليّاً عليه السلام.

ومن تلك المقاطع قوله: «أكان الدّين ناقصاً فتمّمّوه، أم كان به عوجٌ فقوّّموه...» إلى أن قال: «فكم من وليّ جحدوه، وكم وصيّ ضيّعوه، وحقّ أنكروه، ومؤمنٍ شرّدوه، وكم من حديث باطلٍ عن الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته نقلوه، وكم من قبيحٍ منّا جوّزوه، وخبرٍ عن رأيهم تأوّلوه...» إلى أن قال: «ألا إنّ في قائمتنا أهل البيت كفاية للمستبصرين، وعبرة للمعتبرين، ومحنة للمتكبّرين، لقوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ (إبراهيم: ٤٤)، هو ظهور قائمتنا المغيّب، لأنّه عذابٌ على الكافرين، وشفاء ورحمة للمؤمنين...» إلخ.

فانظر أيّها الشيعيُّ بعين فطرتك العلويّة وعقيدتك الصادقيّة هل تجد هذا



منطبقاً على شيعة أهل البيت عليهم السلام وعلى رأسهم الفقهاء الذين أفنوا حياتهم في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وحافظوا على تراثهم، ونقلوه لأتباعهم في كل زمانٍ ومكانٍ، واستنبطوا مقاصدهم، وبيّنوا للناس أحكامهم؟! والخلاصة: أنّ خطبة البيان ضعيفة سنداً، ومنتناً، ودلالةً، فهي ساقطة عن الاعتبار جدّاً، وغاية ما تدلُّ عليه الفقرة المقتطعة منها هو حرمة الإفتاء بغير علم، وهو ممّا اتَّفقت عليه النصوص والفتاوى من كلا الفريقين، ولم يأت منكر والتقليد بشيءٍ جديدٍ، ولا ربط له بحرمة تقليد مراجعنا من قريب ولا من بعيد.

الرواية السادسة: ما روي عن أبي شيبه الخراساني، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن أصحاب المقائيس طلبوا العلم بالمقائيس، فلم تزدهم المقائيس من الحق إلاّ بعداً، وإن دين الله لا يُصاب بالمقائيس»<sup>(١)</sup>.

إن الرواية تدلُّ على أنّ الدين - ومنه الأحكام الشرعيّة - لا يمكن التوصل إليه بالقياس، وأنّ من طلبه بالقياس فسوف يزداد عن الحقّ بعداً. وهناك روايات أخرى دلّت على حرمة العمل بالقياس، وسوف نكتفي بهذه الرواية، لدلالة جميع الروايات على معنى واحد، وهو النهي عن العمل بالقياس في المسائل الدينيّة، ومنها الأحكام الشرعيّة.

وقد استدللّ منكر والتقليد بهذه الروايات على عدم مشروعيّة تقليد فقهاءنا، بزعم أنّهم يعملون بالقياس في استنباط كثير من الأحكام الشرعيّة، ولازمه أنّ تقليد العوامّ للفقهاء في تلك الأحكام محرّمٌ وباطل.

وجوابه: أنّ علماء المسلمين كافّةً - بل حتّى الخوارج والنواصب - يعلمون أنّ من أجدبيات مذهب الإماميّة وضروريّاته تحريمهم للعمل بالقياس، فكيف بعد هذا يفترّون - وبكلّ جرأةٍ - ويدّعون أنّ فقهاء الإماميّة يعملون بالقياس؟!!

١. وسائل الشيعة (ج ٢٧ / ص ٤٣ / أبواب صفات القاضي / الباب ٦ / ح ١٨).



وهذا إن دلَّ على شيءٍ فإنَّما يدلُّ على أنَّ الذين يقفون وراء الدعوة إلى ترك تقليد الفقهاء هم أناسٌ أجنبيُّون عن الإسلام والمسلمين، أو لا أقلَّ هم أجنبيُّون عن مذهب الإمامية، وإلاَّ كيف يقع المروِّجون لهم من بسطاء الشيعة في هكذا خطأ فضيع لا تقوم لهم بعده قائمة؟! إنَّ هذه الدعوى أشبه بما لو ادَّعي أنَّ الإمامية الاثني عشرية لا يعتقدون بإمامة الصادق عليه السلام مثلاً.

والمضحك المبكي أنَّهم نقلوا عباراتٍ لأعلام الطائفة صريحةً في حرمة العمل بالقياس كما سوف يأتي إن شاء الله تعالى. والحاصل: أنَّ العمل بالقياس ممَّا أجمع فقهاء الطائفة على حرمة تبعاً لأئمة الهدى عليهم السلام، فكيف بعد هذا يتَّهمونهم بالعمل به؟! شبهة وجواب:

ربَّما قرأ بعض في كُتُبنا أو سمع أنَّ فقهاءنا يعملون ببعض أنواع القياس، فتخيَّل أنَّهم يعملون بما نهت الروايات عنه.

وجواب هذه الشبهة: أنَّ القياس يأتي على عدَّة معانٍ، والذي نهت عنه الروايات هو القياس بأحد معانيه لا بجميعها، وهي عديدة نذكر بعضها: (فمنها): القياس المُستنبط العلة.

(ومنها): قياس الأولوية.

(ومنها): قياس المساواة.

(ومنها): القياس على كتاب الله تعالى.

والمنهي عنه في الروايات هو الأوَّل دون البقية.

توضيح ذلك:

أمَّا القياس المستنبط العلة فهو: أن يرد نصٌّ من الشرع لبيان حكمٍ في مورد معيَّن، ويحاول الفقيه أن يستفيد منه في مورد آخر لم يرد فيه نصٌّ، وحجَّتُه



في ذلك وجود شبه بين المورد المنصوص عليه والمورد الخالي من النص، ويسمّون المنصوص عليه: (الأصل)، وغير المنصوص عليه: (الفرع)، ثمّ ينقل الفقيه الحكم من الأصل إلى الفرع لأجل الشبه الذي بينهما.

ولتقريب الفكرة نُمثّل بمثال تعليمي لا واقعي، رعايةً لعموم القارئ، فنقول: قد نصّ الكتاب الكريم على أنّ عدّة المتوفّي زوجها أربعة أشهرٍ وعشرة أيام، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ (البقرة: ٢٣٤)، فلو أراد الفقيه التعرف على عدّة المفقود زوجها مثلاً بعد أن يُطلّقها الحاكم فإن لم يجد نصّاً لبيان عدّتها فربّما قاسها على المتوفّي زوجها وأفتى بأنّ عدّتها عدّة وفاة، لا عدّة طلاق، والتي هي ثلاثة قروء، أو ثلاثة أشهرٍ.

واستفادة هذا الحكم من القياس ممّا أجمع فقهاؤنا على حرّمته تبعاً لما تواتر عن أئمّتنا عليهم السلام، ولو جاءت به السُنّة كان مقبولاً، لأنّ السُنّة حجّةٌ.

ومنه يتّضح: أنّ اتّهام فقهاؤنا بذلك هو أقوى دليل على أنّ المسوّقين لهذه التهمة إمّا أن يكونوا من الجهلة، وإمّا أن لا يكونوا من الشيعة أصلاً.

وأما قياس الأولويّة فهو: أن يرد نصٌّ من الشرع لبيان حكم في موردٍ معيّن، وكانت علّة الحكم مقطوعاً بها، فإذا وجد الفقيه تلك العلّة في موردٍ آخر وبدرجةٍ أقوى وأشدّ فيحكم بنفس ذلك الحكم بلا إشكال.

ومن هنا سُمّي بقياس الأولويّة، لأنّ الحكم إذا كان ثابتاً في المورد الأوّل لعلّةٍ معيّنة فبالأولى أن يثبت في مورد تكون تلك العلّة فيه أقوى.

ومثاله التعليمي: لو لم يرد نصٌّ يُحرّم شتم الوالدين مثلاً فيمكن للفقيه الاستفادة الحرمة من مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ (الإسراء: ٢٣)،

الذي يدلّ على حرمة قول كلمة: (أفّ) للوالدين، والتي هي مجرد إبرازٍ للتضجّر منهما، فما بالك لو شتمهما؟



ولذا يحتجُّ المستدلُّ ويقول: إذا كانت الآية تدلُّ على حرمة كلمة: (أُفُّ) في حقِّ الوالدين فهي تدلُّ على حرمة شتمهما بالأولوية القطعية، حتَّى لو لم يرد نصُّ خاصٌّ في تحريم شتمهما.

ومن هذا يتَّضح لك: أنَّ قياس الأولوية لا يتحقَّق إلا بعد تحقُّق شرطين قد أشرنا إليهما:

١ - أن يقطع الفقيه بعلة الحكم في المورد المنصوص عليه، كما هو الحال في الآية الشريفة، فإنَّ كلَّ عاقل يقطع بأنَّ علة تحريم كلمة (أُفُّ) هي إيذاء الوالدين، والله تعالى حرَّم إيذاءهما حتَّى بهذا المقدار القليل.

٢ - أن يقطع الفقيه أيضاً بأنَّ هذه العلة الموجودة في هذه الكلمة موجودة في كلمات أخرى مؤذية للوالدين بشكل أكبر وأشدَّ، كإطلاق الكلمات البذيئة في حقِّهما وتعييرهما بصفة ما، كالفقر، أو الجهل، أو غير ذلك من الكلام الجارح لقلبيهما، فإذا قطع الفقيه من هاتين الجهتين خرج بهذه النتيجة: إذا كان يحرم على الولد أن يقول لوالديه: (أُفُّ) فقطعاً وبكلِّ تأكيد يحرم عليه أن يقول لهما ما هو أشدُّ عليهما من هذه الكلمة، وأكثر إيذاءً لهما منها.

ومن دون تحقُّق هذين القطعين للفقيه لا يجوز له أن ينقل حكم المورد المنصوص عليه إلى المورد الذي لا نصُّ فيه، حتَّى لو حصل له ظنٌّ بذلك، لأنَّه سيكون آنذاك من مصاديق القياس المستنبط العلة المنهي عنه.

وبهذا يتَّضح الفرق بين القياس المستنبط العلة وقياس الأولوية، فالمستنبط العلة يعتمد على الظنِّ، وهو ممَّا لا دليل على حجَّيته، بل قام الدليل كتاباً وسنة متواترة على بطلانه، وأمَّا قياس الأولوية فيعتمد على القطع واليقين الذي هو حجة الحُجَج.

وأما قياس المساواة فهو: أن يرد نصُّ من الشرع لبيان حكمٍ في مورد معيَّن، ويحاول الفقيه أن يستفيد منه في مورد آخر لم يرد فيه نصُّ، وحجَّته في ذلك

عدم وجود آية خصوصية للمورد المنصوص عليه، بل يجد بينهما مساواة تامّة من ناحية ذلك الحكم.

ومن أمثله: ما لو حكم الشرع بوجوب تطهير الثوب من البول مثلاً، فإنّ العرف المخاطب بهذا الحكم يفهم عدم وجود آية خصوصية للثوب في الحكم المذكور، فيتعدّون بالحكم إلى مثل العباءة، والسروال، والعمامة، والشّال، والخمار، والجورب، وما شابه ذلك ممّا يرتديه الإنسان، ممّا صُنِعَ من الأقمشة. بل ويتعدّون بالحكم المذكور إلى مثل السّجّادة، والستائر، والأغطية، وغيرها، حتّى لو لم يرد نصّ في هذه المذكورات.

ولكن يُشترط في جواز العمل بهذا القياس: أن يقطع الفقيه بعدم وجود خصوصية لمورد النصّ، فلو احتمل وجود الخصوصية لمورده لم يجز له تعدية الحكم إلى الموارد غير المنصوص عليها.

وهنا تأتي مقالة الأصوليين المعروفة: (إذا جاء الاحتمال بطل الاستدلال)، لأنّ شرط حجّية هذا القياس حصول القطع بشمول الحكم لغير مورد النصّ. وهناك تعبيرات أخرى للفقهاء عن هذا القياس صارت مصطلحات في علم الفقه، كمصطلح (تنقيح المناط) و(طرح - أو نزع - الخصوصية) و(وحدة الملاك) و(الحمل على المثاليّة)، أو غيرها.

والمقصود من الأخير: أنّ العرف يفهم من كلام الشرع أنّ الثوب ذُكِرَ على سبيل المثال لا الحصر، ولأجل ذلك تراه يتعدّى إلى العباءة، والجورب، وغيرها من المذكورات.

وأمثله في الفقه كثيرة، كما هو الحال في موارد وجوب التيمّم فيما إذا قيده الشرع بحالة فقدان الماء، فإنّ العرف يفهم منه: أنّ شرط الانتقال إلى وظيفة التيمّم هو وجود مانع من استعمال الماء حتّى لو لم يكن الماء مفقوداً، كما لو كان استعماله يضرّ بالمكّلف، أو يوقعه في الحرج، وقد حكمت الشريعة بارتفاع



الأحكام التي تتسبب في ضرر المكلف، أو الحرج، كما في قوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: ٧٨).  
وأما القياس على كتاب الله: فهو أن يأتي الخبر عن المعصوم عليه السلام وكان رواه من الثقة لكن مضمونه مشكل، كما لو كان فيه شبهة المخالفة للكتاب الكريم، فيقع الفقيه في حيرة، فمن جهة ينبغي عليه أن يأخذه لأجل صحة سنده، ومن جهة ينبغي له التثبت والتريث في العمل به لوجود شبهة مخالفته لكتاب الله، ولأجل هذا وأمثاله توجهت عدّة أسئلة إلى الأئمة عليهم السلام من أصحابهم، وأنه ماذا نضع في مثل هذا الحال؟

فجاءت تعليقاتهم عليهم السلام تنصُّ على أن ما جاء مخالفاً لقول الله تعالى فلم يقولوه<sup>(٢)</sup>، وفي رواية أخرى أنه زخرف<sup>(٣)</sup>، أي باطل، وما شابه هذا المضمون<sup>(٤)</sup>.  
ومما جاء في هذا المجال هو لزوم قياس الخبر على الكتاب الكريم وأحاديث المعصومين عليهم السلام المقطوع بصدورها عنهم، وهو ما رواه الحسن بن جهم عن الرضا عليه السلام أنه قال: قلت للرضا عليه السلام: تجميعنا الأحاديث عنكم مختلفة، قال: «ما جاءك عنا فقسه على كتاب الله ﷻ وأحاديثنا، فإن كان يشبهها فهو منا، وإن لم يشبهها فليس منا...» إلى آخر الرواية<sup>(٥)</sup>.

وهذه الرواية وأمثالها يُعبّر عنها في علم الأصول بروايات العرض على الكتاب والسنة القطعية، ومفادها: أن الخبر الذي لا يشبه مضمونه مضامين الكتاب العزيز والسنة القطعية ليس بحجة، وما كان يشبهها فهو حجة. ومن الآثار المهمة لهذه القاعدة الرضوية: أن الخبر الضعيف سنداً إذا كان

١. وسائل الشيعة (ج ٢٥ / ص ٤٢٨ / كتاب إحياء الموات / الباب ١٢ / ح ٣).

٢. الكافي (ج ١ / ص ٦٩ / باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب / ح ٥).

٣. المصدر السابق (الحديثان ٣ و ٤).

٤. المصدر السابق (الحديثان ١ و ٢).

٥. بحار الأنوار (ج ٢ / ص ٢٢٤).



متطابقاً مع مضامين الكتاب والسنة القطعية فلا ينبغي طرحه، لاحتمال صدوره من المعصومين عليهم السلام ولم يصل إلينا إلا من الطريق الضعيف، وقد يُستفاد منه في بعض الموارد، وفي المقابل يجب طرح الحديث المخالف في مضمونه للكتاب والسنة حتى لو كان سنده صحيحاً.

ومن الواضح أن العمل بهذا القياس ليس محرماً، بل جائز، بل واجب. والخاصة: أن القياس على أنواع، والمنهي عنه هو القياس المستنبط العلة، لأنه يعتمد الظن، وقد نهى الشرع عن اتباع الظن إلا ما خرج بالدليل، والقياس المستنبط العلة لم يخرج بدليل، بل تواتر عن أهل البيت عليهم السلام النهي عن اتباعه.

وأما بقية الأقيسة - قياس الأولوية، وقياس المساواة، وقياس الخبر على الكتاب والسنة القطعية - فهي خارجة عن باب الظن من الأساس، لأنها تعتمد على القطع، فهي قطوع وليست ظنوناً، ولم يرد من الشرع نهى عنها، فتكون حجة بلا إشكال، بل الأخير منها قد ورد الأمر به كما عرفت.

ولئن سمعت بفتوى من الشيعة يعمل بالقياس فالمقصود هو القياس بأحد المعاني الجائزة، أعني الثلاثة الأخيرة.

ولو بلغهم أن فقيهاً عمل بالقياس المنهي عنه حملوا عليه حملة واحدة زيادة في الحرص على اجتنابه، وحملاً للآخرين على تحري الدقة من هذه الناحية.

ولهذا الذي ذكرناه أخيراً أفتى فقهاؤنا بجواز الانتقاص من المؤمن إذا صدرت منه مقالة باطلة يخاف على المؤمنين منها، كالانتقاص بقلّة التدبر، أو بقصر النظر، أو ما شابه ذلك من العبائر التي تستلزم الانتقاص من المقول فيه، وما ذلك إلا للحرص على أحكام الشرع من الاستدلالات المنهية عنها، من باب التراحم بين حفظ الشرع، وحفظ حرمة ذلك المستدل بها.

ثم بعد هذا كله يأتي الغريب عن أجواء فقهاءنا ومدرستهم - إمّا لأنه

ليس من الفقهاء، وإمّا لأنّه من أتباع مذهب آخر - فينسب إليهم العمل بالقياس الباطل، فإن لم يكن ملتفتاً إلى ما ذكرناه فهو جاهل، وإن كان ملتفتاً فهو كاذب ومدّلس يريد تضليل عوامّ الشيعة وفصلهم عن مراجعهم، كما يسعى لذلك أكثر من طرف في هذه الأيام، لاسيّما بعد هزيمة (داعش) بفضل فتوى المرجعيّة بوجوب الدفاع الكفائي، وإفشالها لمخططات الأعداء. هذا كلّ في القياس، وقد عرفنا أنّ المنهّي عنه لا يعمل به الإماميّة، وما يعملون به ليس منهياً عنه.

وأما الاستحسان فهو عبارة أخرى عن العمل بالرأي، وليس شيئاً آخر يختلف عنه، فالفقيه حينما يُفتي بحكم غير مستند إلى دليل نقليّ ولا عقليّ فقد يستند إلى ما يراه مناسباً من وجهة نظره هو، أي إنّهُ يُفتي بما يراه حسناً بحسب نظره، فقولك: (فلان استحسّن كذا) يعني: أنّه وجده حسناً من وجهة نظره. ومن ضروريّات مذهب الإماميّة حرمة العمل بالاستحسان، كحرمة العمل بالقياس المستنبط العلة، ولا يتسامحون فيه فيما لو وقع من أحدٍ منهم ولو عن غفلة، لئلا يحصل منه تهاونٌ من هذه الجهة.

وبهذا نختم الكلام على المحطّة الأولى التي خصّصناها للردّ على احتجاج منكري التقليد بالروايات الدالّة على حرمة العمل بالاجتهاد، والرأي، والقياس، والاستحسان، ويقع الكلام الآن في المحطّة الثانية.

### المحطّة الثانية: في الاحتجاج بكلمات بعض الأعلام:

لقد نسب منكرو التقليد في منشورهم إلى جملة من أعلامنا القدماء أنّهم يقولون بحرمة القياس، والاستحسان، والرأي، والاجتهاد، والتقليد. وجوابه: في نقاط ثلاث:

١ - أمّا تحريم العمل بالقياس والاستحسان والرأي فقد ذكرنا سابقاً أنّه ممّا أجمع عليه الإماميّة قاطبةً تبعاً لأئمّة الهدى عليهم السلام، حتّى صار تحريمها من



معالم مذهبنا، ولا يوجد فقيه منّا يقول بمشروعيّة شيءٍ من الثلاثة، كي يحتجّ منكره التقليد علينا بتحريم الأعلام لها.

٢ - وأمّا مقصود الأعلام من الاجتهاد الذي حرّمه فهو الاجتهاد بالمعنى الذي حرّمته الروايات، وهو مغاير تماماً للاجتهاد الذي يقول الإماميّة بمشروعيّته، كما أوضحناه في المحطّة الأولى بشكل تفصيلي، فما حرّمته الروايات نحن نقول بتحريمه أيضاً تبعاً لأئمّتنا عليهم السلام، وما نقول بمشروعيّته لم نحرّمه الروايات مطلقاً.

٣ - وأمّا التقليد فله معنيان:

أحدهما: ما هو المقصود منه في الروايات التي حرّمته.

ثانيهما: ما هو المقصود في بحثنا هذا، والذي يقول الإماميّة بمشروعيّته.

والتقليد الذي يُحرّمه الأعلام هو ما كان بالمعنى الذي حرّمته الروايات، وأمّا التقليد بالمعنى الذي نقول بمشروعيّته فلم يُحرّمه، بل صرّحوا بمشروعيّته، فما نسبته إليهم منكره التقليد من التحريم إمّا أن يكون عن جهل مطبق، أو عن جرأة على الله تعالى عظيمة، كما سيّضح ذلك بعد نقل كلمات الأعلام الذين نسبوا إليهم القول بحرمة التقليد، والجواب عليها.

والأعلام المنسوب إليهم تحريمه خمسة، ونحن نقل هنا كلام ثلاثة منهم، وهم المفيد، والطوسي، والمحقّق الحلّي (قدّس الله أسراهم)<sup>(١)</sup>.

كلمة الشيخ المفيد:

قال الشيخ المفيد عليه السلام - حسب منشور منكري التقليد -: قال الصادق عليه السلام: «إياكم والتقليد، فإنّه من قلّد في دينه هلك، إنّ الله تعالى يقول: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، فلا والله

١. أمّا كلام السيد الخوئي والحر العاملي فقد ذكرهما الكاتب في كتابه تحت الطبع بعنوان (مرجعية الفقهاء في زمن الغيبة).



ما صلُّوا لهم وما صاموا، ولكنَّهم أحلُّوا لهم حراماً وحرَّموا عليهم حلالاً، فقلِّدوهم في ذلك، فعبدوهم وهم لا يشعرون».

وقال **عليه السلام**: «من أجاب ناطقاً فقد عبده، فإنَّ كان الناطق عن الله تعالى فقد عبد الله، وإنَّ كان الناطق عن الشيطان فقد عبد الشيطان».

وقال الناشر: ثمَّ علَّق الشيخ المفيد قائلاً: فصلُّ: ولو كان التقليد صحيحاً والنظرُ باطلاً لم يكن التقليد لطائفةٍ أولى من التقليد لأخرى، وكان كلُّ ضالِّ بالتقليد معذوراً، وكلُّ مقلِّدٍ لمُبدعٍ غيرِ موزورٍ، وهذا ما لا يقوله أحد، فعلمَ بما ذكرناه أنَّ النظر هو الحقُّ، والمناظرة بالحقِّ صحيحةٌ<sup>(١)</sup>.

هذا ما نقله منكر و التقليد في منشوراتهم عن الشيخ المفيد **عليه السلام**.

وجوابه: في أربع نقاط:

١ - أنَّ الشيخ المفيد **عليه السلام** ذكر هذا الكلام في كتابه (تصحيح اعتقادات الإمامية) الذي ألفه للردِّ على الشيخ الصدوق **عليه السلام** في بعض ما ذهب إليه في كتابه (اعتقادات في دين الإمامية)، ومن ذلك تحريمه الجدل في الله تعالى، فردَّ عليه المفيد بأنَّ المنهَى عنه هو الجدل بالباطل فقط، وأمَّا الجدل بالحقِّ فهو مأمور به، واستدلَّ على ذلك بعدة نصوص، منها الحديثان اللذان اقتصر على نقلهما منكر و التقليد، ولا علاقة للكتابين ولا لكلام الشيخين بباب الأحكام الفرعية أصلاً!

٢ - أنَّ الناشر قال: (ثمَّ علَّق الشيخ المفيد قائلاً: فصل...)، وهذا دليل على جهله، لأنَّ كلمة (فصل) تُستعمل في الكُتُب - لاسيما القديمة منها - للفصل بين كلام وآخر مختلفٍ عنه، والمفيد **عليه السلام** بعد أن تمسَّك بالدليل النقلي ختم المبحث بدليل عقليٍّ، وفصله عن النصوص ليكون دليلاً مستقلاً برأسه. وقد بيَّن في هذا الدليل: أنَّ التقليد لو جاز لطائفةٍ لجاز لطائفةٍ أخرى، فلو

١. تصحيح اعتقادات الإمامية (ص ٧٢ و٧٣).



حرّمنا على المسلم - مثلاً - الجدل في الله تعالى وجوّزنا له تقليد آباءه في دين الإسلام للزم أن نُجوّز للملحد أن يُقلّد آباءه في الإلحاد أيضاً، وحيث إنّ هذا قبيح عقلاً فيلزم أن يكون الاعتقاد من خلال الفكر والاستدلال، لا من خلال التقليد.

هذا هو مقصوده من التقليد المحرّم، وهو ما كان في أصول الاعتقاد، وأين هذا من التقليد في الأحكام الفرعية؟!

٣ - أن المفيد عليه السلام قال بعد ذلك: (فعلّم بما ذكرناه أن النظر هو الحق، والمناظرة بالحقّ صحيحة)، ثمّ عطف عليه قوله: (وأن الأخبار التي رواها أبو جعفر عليه السلام وجوهها (وفي نسخة: جوابها) ما ذكرناه، وليس الأمر في معانيها على ما تخيّلها فيها)<sup>(١)</sup>.

يعني: أن ما ذكره هو من جواز الجدل بالحقّ هو الصحيح، وأنّ الأخبار التي نقلها الصدوق عليه السلام قد تخيّل أنّها تدلّ على حرمة الجدل في الله مطلقاً حتّى لو كان جدالاً بالحقّ، والحال أنّها ناظرة إلى الجدل بالباطل فقط.

هذا ما أراد بيانه الشيخ المفيد، ولكن الناشر حذف هذه الجملة من المقطع بجهلٍ أو تدليس منه، حيث إنّها تُؤكّد أنّ الكلام من أوّله إلى آخره كان في باب الاعتقادات، ولا تعرّض فيه لباب التقليد في الأحكام الفقهية أصلاً!

٤ - أن الشيخ المفيد عليه السلام هو ممّن يقول بمشروعية التقليد في الفروع قطعاً، فإنّه من مشاهير المفتين في تاريخ المسلمين، وله في ذلك عدّة مؤلّفات، منها كتابه الشهير المسمّى بـ(المقنعة) وهو رسالته العملية، وله رسائل عديدة في أجوبة الاستفتاءات لمقلّديه.

كلام الشيخ الطوسي:

قال الشيخ الطوسي عليه السلام - حسب نقل الناشر -: (التقليد إنّ أُريد به قبول



قول الغير من غير حجّة وهو حقيقة التقليد فذلك قبيح في العقول، لأنّ فيه إقداماً على ما لا يأمنُ كونَ ما يعتقدُه عند التقليد جهلاً، لتعريضه من الدليل، والإقدام على ذلك قبيحٌ في العقول، ولأنّهُ ليس في العقول تقليدُ الموحدِ أولى من تقليد الملحد إذا رفعنا النظر والبحث عن أوهامنا، ولا يجوز أن يتساوى الحقُّ والباطل<sup>(١)</sup>.

وجوابه: من وجوه ثلاثة:

١ - أنّ الشيخ رحمته الله قال ذلك في كتابه (الاقتصاد) وهو قسمان: أوّلها: في الأصول الاعتقاديّة، وثانيهما: في العبادات الشرعيّة، والمقطع المذكور منقول من القسم الأوّل، فهو ناظر إلى التقليد في العقائد، حيث إنّه بعد حصره العلم بالله تعالى بطريق الاستدلال ذكر إشكالاً هذانصّه: (فإن قيل: أين أتم عن تقليد الآباء والمتقدّمين؟)، وأجاب عليه بما نصّه: (قلنا: التقليد إن أُريد به قبول قول الغير من غير حجّة وهو حقيقة التقليد فذلك قبيح في العقول...) إلى آخر عبارته التي نقلها منكر والتقليد، والتي هي واردة في باب العقائد، كما هو صريح الاستدلال في قوله: (ولأنّه ليس في العقول تقليدُ الموحدِ أولى من تقليد الملحد).

ولو تأملتم قليلاً فهو عين الدليل العقلي الذي ذكره أستاذه الشيخ المفيد أنفأً، ولكنّه صاغه بصياغة أخرى حاصلها: أنّه لو جوّزنا لشخصٍ أن يُقلّد أهله الموحّدين في عقيدة التوحيد لوجب أن نُجوّز لشخصٍ آخر أن يُقلّد أهله الملحدين في الإلحاد، وهو قبيح عقلاً.

٢ - أنّ الطوسي رحمته الله من مشاهير المفتين عند جميع المسلمين، وله كُتُب فتواييّة عديدة ألّفها لرجوع المؤمنين إليها، ومن بينها الكتاب المذكور في قسمه الثاني، وكتاب (المبسوط)، وكتاب (النهاية)، وغيرها.

١. الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد (ص ١٠ و ١١).



٣ - أن الطوسي رحمته الله يُصرِّح بمشروعية التقليد في كتابه (العُدَّة)، حيث قال: (والذي نذهب إليه أنه يجوز للعامِّي الذي لا يقدر على البحث والتفتيش تقليد العالم).

ثم استدلَّ على الجواز بما نصُّه: (يدلُّ على ذلك: أنّي وجدتُ عامَّة الطائفة من عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى زماننا هذا يرجعون إلى علمائها، ويستفتونهم في الأحكام والعبادات، ويفتونهم العلماء فيها، ويُسوِّغون لهم العمل بما يفتونهم به، وما سمعنا أحداً منهم قال مُستفتٍ: لا يجوز لك الاستفتاء، ولا العمل به، بل ينبغي أن تنظر كما نظرتُ، وتعلم كما علّمتُ، ولا أنكّر عليه العمل بما يفتونهم، وقد كان الخلق العظيم عاصروا الأئمة عليهم السلام، ولم يُحكَّ عن واحدٍ من الأئمة النكير على أحد من هؤلاء، ولا إيجاب القول بخلافه، بل كانوا يُصوّبونهم في ذلك، فمن خالفه في ذلك كان مخالفاً لما هو المعلوم خلافه)<sup>(١)</sup>.  
وها أنت ترى كيف جعل رحمته الله المخالف للجواز مخالفاً لما هو المعلوم من جواز التقليد، وكلامه ظاهر في أنه يستند في الجواز إلى الإجماع العملي بين الإمامية على جوازه.

### كلام المحقِّق الحلِّي:

قال المحقِّق الحلِّي رحمته الله: (التقليد قبول قول الغير من غير حجّة، فيكون جزمًا في غير موضعه، وهو قبيح عقلاً)<sup>(٢)</sup>.

وجوابه: من وجهين:

١ - أن المحقِّق رحمته الله إنّما ذكر ذلك في القسم المخصَّص لأصول العقائد من كتابه (المعارج)، حيث قال في موضع منه: (المسألة الثانية: لا يجوز تقليد العلماء في أصول العقائد)<sup>(٣)</sup>، ثم استدلَّ على عدم الجواز بعدة وجوه، منها

١. العُدَّة في أصول الفقه (ص ٧٢٩ و ٧٣٠).

٢. معارج الأصول (ص ٢٧٨).

٣. المصدر السابق (ص ٢٧٧).





قوله: (الثاني: أن التقليد: قبول قول الغير من غير حُجَّةٍ، فيكون جزءاً في غير موضعه، وهو قبيح عقلاً)<sup>(١)</sup>.

وهذه هي العبارة التي دلّس بها منكرو التقليد على المؤمنين، حيث لم ينقلوا عبارته الأخرى التي ذكرها في موضع آخر من نفس الكتاب، وهي صريحة في جواز التقليد في الفروع، حيث قال ما نصّه: (المسألة الأولى: يجوز للعامّي العمل بفتوى العالم في الأحكام الشرعيّة).

ثمّ استدلّ عليه السلام على الجواز - بعد أن نقل قول المخالفين كالمعتزلة - وقال ما نصّه: (لنا: اتّفاق علماء الأعصار على الإذن للعوامّ في العمل بفتوى العلماء من غير نكير).

وكان هذا دليلاً الأوّل، ثمّ استدلّ بدليل ثانٍ وقال: (الثاني: لو وجب على العامّي النظر في أدلّة الفقه لكان ذلك إمّا قبل وقوع الحادثة أو عندها، والقسمان باطلان، أمّا قبلها فممنفيّ بالإجماع، ولأنّه يؤدّي إلى استيعاب وقته بالنظر في ذلك، فيؤدّي إلى الضّرر بأمر المعاش المضطرّ إليه، وأمّا بعد نزول الحادثة فذلك متعذّر، لاستحالة اتّصاف كلّ عامّي عند نزول الحادثة بصفة المجتهدين)<sup>(٢)</sup>.

ولا يخفى على من يتأمّل في دليله الثاني أنّه يدلّ على وجوب التقليد على العوامّ، لا مجرد جوازه.

٢ - أنّ المحقّق الحليّ هو من أكابر المفتين بين علماء المسلمين، وله جملة رسائل في أجوبة الاستفتاءات، ناهيك عن رسالته العمليّة الشهيرة باسم (شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام) التي ألفها ليعمل بها العوامّ، ولهذا

١. المصدر السابق (ص ٢٧٨).

٢. المصدر السابق (ص ٢٧٥).



الكتاب شهرة واسعة حتى عند علماء المخالفين، فكيف يقول بعد كل هذا بتحرير التقليد؟!

والنتيجة: قد أتضح من كل ذلك أن ما نُسب إلى هؤلاء الأعلام من تحريمهم للتقليد كذبٌ فاضح، أو جهل مطبق.

الصنف الثاني: ما دلَّ على حرمة التقليد:

وقد استدلُّوا بروايات زعموا دلالتها على حرمة التقليد، فلا بدَّ من استعراضها، ثمَّ الجواب على استدلالهم بها.

الرواية الأولى: قالوا: (كتب الحُرُّ العاملي صاحب وسائل الشيعة باباً كاملاً تحت عنوان (باب: عدم جواز تقليد غير المعصوم عليه السلام...) ذكر فيه عدداً كبيراً من الروايات التي جاءت تنهى عن تقليد غير المعصوم).

ثمَّ نقلوا هذه الرواية وقالوا ما نصُّه: عن محمد بن خالد، عن أخيه، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إِيَّاكَ والرئاسة، فما طلبها أحدٌ إلاَّ هلك»، فقلت: قد هلكنا إذاً، ليس أحدٌ منا إلاَّ وهو يُحِبُّ أن يُذَكَرَ، ويُقَصَّدُ، ويُؤَخَذَ عنه، فقال: «ليس حيث تذهب، إنَّما ذلك أن تنصب رجلاً دون الحجَّة، فتصدِّقه في كلِّ ما قال، وتدعو الناس إلى قوله»<sup>(١)</sup>.

والجواب من وجهين:

١ - أنَّهم لو أكملوا عنوان الباب المذكور لانكشف تدليسهم، وهذا تمام العنوان: (باب: عدم جواز تقليد غير المعصوم عليه السلام فيما يقول برأيه، وفيما لا يعمل فيه بنصِّ عنهم عليه السلام)<sup>(٢)</sup>.

فإنَّ عرفت ما حذفوه عرفت ما أخفوه، فقد أخفوا عبارة: (فيما يقول برأيه، وفيما لا يعمل فيه بنصِّ عنهم عليه السلام).

١. وسائل الشيعة (ج ٢٧) / ص ١٢٩ / أبواب صفات القاضي / الباب ١٠ / ح (١٥).

٢. وسائل الشيعة (ج ٢٧) / ص ١٢٤ / أبواب صفات القاضي / الباب (١٠).



وهذا يعني: عدم جواز تقليد شخص غير معصوم في فتاوى يستند فيها إلى رأيه هو، لا إلى الكتاب ولا إلى أحاديث المعصومين عليهم السلام، وكذلك يُقلده فيما يترك فيه نصّ المعصوم عليه السلام ولا يعمل به.

ولا أدري ما علاقة هذا العنوان بفقهاءنا الذين أجمعوا على حرمة العمل بالرأي تبعاً لأئمة أهل البيت عليهم السلام كما أوضحناه سابقاً؟!  
وأين هذا من قوم أجمعوا على وجوب العمل بنصوص المعصومين عليهم السلام وحرمة مخالفتها؟!!

ونحن عوامّ الشيعة أيضاً نرفض تقليد كلّ من يعمل برأيه تاركاً العمل بالكتاب وأحاديث أهل العصمة عليهم السلام، كما نرفض تقليد كلّ من يترك العمل بنصّ المعصوم عليه السلام.

٢ - أنّ الرواية لا علاقة لها بفقهاء الشيعة ومقلّديهم لا من قريب ولا من بعيد، اللهمّ إلا إذا تركنا عقولنا جانباً وقرأناها بعقول منكري التقليد التي تقرأ الروايات بعقول منكوسة.

توضيح ذلك: أنّ الإمام عليه السلام قال: «أنّ نصب رجلاً دون الحجّة فتصدّقه في كلّ ما قال، وتدعو الناس إلى قوله»، فذكر عليه السلام ثلاثة عناصر:

العنصر الأوّل: أنّ نصب المكلف من عند نفسه رجلاً ويتّخذ مرجعاً في كلّ ما يقول، ولا يتّخذ من نصبه الله تعالى، أو رسوله صلى الله عليه وآله، أو الإمام عليه السلام.  
ومن البديهيّات والواضحات أنّ هذا المعنى مرفوض عند المقلّدين من عوامّ الشيعة، فكيف طبّقوا الحديث عليهم؟!!

العنصر الثاني: أنّ المنصوب في الرواية من كان دون الحجّة، أي ليس هو معصوماً، ولا منصوباً من قبل الله تعالى أو المعصوم عليه السلام.

وهذا لا ينطبق على عوامّ الشيعة في رجوعهم إلى الفقهاء، لأنّ الرجوع إليهم ممّا قام الدليل الشرعي عليه كما ثبت بالدليل الشرعي، ومن الواضح أنّ كلّ

من قام الدليل على جواز تقليده فقله حُجَّة، وكان أتباع المقلد له داخلياً في باب الأخذ ممن هو حُجَّة، وأين هذا من مدلول الرواية الشريفة؟!  
**العنصر الثالث:** أن المتفرع على كون الرجل المنسوب حُجَّة هو تصديقه في كل ما يقول، وهذا يعني أن يكون المقصود: نصب رجل بمثابة الإمام، كأبي حنيفة وأشباهه، بحيث يُصدِّقه أتباعه في كل ما يقول ويُفتي به.  
 ومن المعلوم أن حالنا - نحن العوام - مع فقهاءنا ليس كذلك، لأن الفقيه تارة يكون في مقام الرواية عن المعصوم عليه السلام، وفي هذه الحال إنما نأخذ عنه باعتباره راوياً ثقةً ينقل لنا الحكم عن إمامنا عليه السلام، كما كان يصنع زرارة بن أعين، ومحمد بن مسلم، وأبو بصير، وأمثالهم من رواتنا الثقات.  
 وتارة يكون في مقام الفتوى وبيان ما فهمه من أحاديثهم عليهم السلام، وفي هذه الحال إنما نأخذ عنه باعتباره ممن أمرنا الأئمة عليهم السلام بالرجوع إليه في الفتاوى، فيكون رجوعنا إليه في باب الفتاوى امتثالاً لما أمرنا به أئمتنا عليهم السلام.  
 مثال الحاليتين: ما لوروى زرارة حديثاً عن الإمام الباقر عليه السلام فإننا مأمورون من قبل الأئمة عليهم السلام بتصديقه، ووجوب أخذ الحديث عنه، لأن ما نقله إلينا إنما هو كلامهم عليهم السلام، وليس كلامه هو، إذ ليس هو إلا مجرد ناقل.  
 ولو كان الحديث الذي نقله عن المعصوم عليه السلام يشتمل على حكم شرعي لا تتمكن من استنباطه من الحديث، فعند ذلك نسأل زرارة عن مقصود الإمام الباقر عليه السلام، فإن أوضحه لنا وجب علينا الأخذ بفهمه، لكونه من الفقهاء الذين أرجع أهل البيت عليهم السلام المؤمنين لأخذ الفتاوى عنه وعن أمثاله.  
**والنتيجة:** أن هذه الرواية ناظرة إلى مسلك المخالفين ومن سلك سبيلهم من جهلة الشيعة، كمن نسمع عنهم في هذه الأيام ممن يهرولون وراء العناوين البراقة، ومن دون أن يرجعوا إلى أهل الخبرة في ذلك.



الرواية الثانية: ما رواه أبو بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، فقال: «أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم ما أجابوا، ولكن أحلوا لهم حراماً، وحرّموا عليهم حلالاً، فعبدوهم من حيث لا يشعرون»<sup>(١)</sup>.

ولم يذكر منكر والتقليد كقيّة الاستدلال بهذه الرواية على حرمة تقليدنا للفقهاء، ونحن نساعدهم في ذلك، فنقول:

إنّ الاستدلال بالرواية على حرمة التقليد يتمّ بتاميةً مقدّمتين: المقدّمة الأولى: أنّ ظاهر الرواية أنّ أبا بصير سأل من الإمام عليه السلام: كيف يتّخذ أهل الكتاب علماءهم - الأجرار والرهبان - أرباباً من دون الله، مع أنّهم يعتقدون بأنّ العلماء مخلوقون لله تعالى؟

فأجابه الإمام عليه السلام: ليس المقصود أنّهم يعبدونهم من دون الله كما يصنع عبدة الأوثان وأشباههم، بل المقصود أنّهم أطاعوهم في فتاواهم المخالفة لأحكام الله تعالى، فإنّهم قد أحلوا لهم الحرام، وحرّموا عليهم الحلال، فأخذوا بتلك الفتاوى المخالفة لأحكامه ﷻ، والقرآن عبّر عن هذه المتابعة فيما يخالف أحكامه تعالى باتّخاذهم أرباباً من دون الله.

والمفهوم من ذلك: أنّ متابعة عوامّ أهل الكتاب لعلمائهم هي بمثابة اتّخاذهم أرباباً من دون الله، وفي هذا دلالة على أنّ هذه المتابعة محرّمة حرمةً شديدةً ومغلّظةً، لأنّها بمنزلة الشرك بالله سبحانه.

المقدّمة الثانية: أنّ الفقيه يُخطئ ويصيب في فتاواه، وهذا يعني أنّه في حال الخطأ يكون قد أفتى بخلاف حكم الله، فلو أخذ العوامّ بجميع فتاواه فذلك يعني أنّهم قد أخذوا بتلك الفتاوى المخالفة لأحكام الله، ويكونون كأهل

١. الكافي (ج ١ / ص ٥٣ / باب التقليد / ح ١ و ٣) كلّ حديث بطريق.



الكتاب الذين يأخذون من علمائهم ما يخالف حكم الله تعالى، ما يعني أن تقليد العوام للفقهاء في جميع فتاواهم محرّم، وبمنزلة الشرك بالله ﷻ.

والجواب على هذا الاستدلال من وجهين:

١ - أن الرواية ظاهرة في أن الأخبار والرهبان كانوا يتعمّدون مخالفة أحكام الله ﷻ، والقرآن الكريم والتاريخ الصحيح يشهدان بذلك أيضاً، وهل هناك مخالفة متعمّدة أكبر من إنكارهم نبوة نبيّنا ﷺ، مع علمهم اليقيني بأنّه هو النبيّ الذي يجدونه مذكوراً في التوراة والإنجيل؟

وأين هذا من مراجعنا الذين نشترط فيهم العدالة التي هي وبشرح مبسّط (صفة راسخة في النفس تدعو إلى الاستقامة في جادة الشريعة، وعدم الميل عنها يمنية أو يسرة)، ومن كانت هذه صفته كيف يتعمّد مخالفة أحكام الله تعالى؟!!

٢ - قد روي عن الإمام الصادق عليه السلام حديثٌ شارحٌ لهذه الرواية، وهو يدلُّ دلالة صريحة على أن عوامّ أهل الكتاب كانوا يُقلّدون علماءهم وهم يعلمون بفسقهم، ويعلمون بأنّهم لا يتورّعون عن الكذب، فقد نُقل في الوسائل عن الطبرسي في كتاب (الاحتجاج)، عن أبي محمد العسكري عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٩]، قال عليه السلام: «هذه لقوم من اليهود...».

إلى أن قال: وقال رجل للصادق عليه السلام: إذا كان هؤلاء العوامّ من اليهود لا يعرفون الكتاب إلّا بما يسمعون من علمائهم فكيف ذمّهم بتقليدهم والقبول من علمائهم، وهل عوامّ اليهود إلّا كعوامّنا يُقلّدون علمائهم؟

إلى أن قال<sup>(١)</sup>: فقال عليه السلام: «بين عوامّنا وعوامّ اليهود فرقٌ من جهة، وتسويةٌ من جهة. أمّا من حيث الاستواء فإنّ الله ذمّ عوامّنا بتقليد علمائهم كما ذمّ عوامّهم. وأمّا من حيث افرقوا فإنّ عوامّ اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم

١. عبارة: (إلى أن قال) في الموضعين من صاحب الوسائل اختصاراً للرواية، وليست منّا.



بالكذب الصُّراح، وأكل الحرام والرُّشاء، وتغيير الأحكام، واضطُّروا بقلوبهم إلى أنَّ من فعل ذلك فهو فاسق لا يجوز أن يُصدَّق على الله، ولا على الوسائط بين الخلق وبين الله، فلذلك ذمَّهم. وكذلك عوامُّنا إذا عرفوا من علمائهم الفسق الظاهر، والعصبيَّة الشَّديدة، والتكالب على الدنيا وحرامها، فمن قَلد مثل هؤلاء فهو مثل اليهود الذين ذمَّهم الله بالتقليد لِفَسَقَةِ علمائهم، فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه فللعوامِّ أن يُقلِّدوه، وذلك لا يكون إلاَّ بعض فقهاء الشيعة لا كلَّهم، فإنَّ من ركب من القبائح والفواحش مراكب علماء العامَّة فلا تقبلوا منهم عنَّا شيئاً ولا كرامة، وإنَّما كثر التخليط فيما يُتحمَّل عنَّا أهل البيت لذلك، لأنَّ الفَسَقَةَ يتحمَّلون عنَّا فيُحرِّفونه بأسره لجهلهم، ويضعون الأشياء على غير وجهها، لقلة معرفتهم، وآخرون يتعمَّدون الكذب علينا»<sup>(١)</sup>.

إنَّ هذا الحديث الطويل حجَّة دامغة على كلِّ من يقبل روايات الوسائل، ولا يناقش في أسانيدھا.

وخلاصته: أنَّ التقليد المحرَّم هو تقليد العلماء المعروفين بالكذب، والفسق، والتكالب على الدنيا، سواء كانوا من اليهود، أم النصارى، أم المسلمين، وأمَّا تقليد العلماء الصائنين لأنفسهم، الحافظين لدينهم، المخالفين لأهوائهم، المطيعين لأمر مولاهم، فهو خارج عن الآية المباركة.

ومن هذا الحديث يتَّضح أنَّ رواية (الكافي) تختصُّ بتقليد من يخالف أحكام الله تعالى عن علم وعمد، كعلماء السوء، ووُعَّاظ السلاطين الذين يكثر أمثالهم في أحبار اليهود، ورهبان النصارى، وفقهاء العامَّة، والفُسَّاق من فقهاء الشيعة، كما صرَّح به الحديث المذكور في قوله: «وذلك لا يكون إلاَّ بعض

١. وسائل الشيعة (ج ٢٧ / ص ١٣١ / أبواب صفات القاضي / الباب ١٠ / ح ٢٠).



فقهاء الشيعة لا كلهم»، بخلاف فقهاءنا الورعين الأتقياء، فإنهم خارجون عن حديث (الكافي).

الصنف الثالث: ما دلّ على أنّ الفقيه إذا أخطأ في حكمه فقد كفر، أو حكم بحكم الجاهليّة:

ويشتمل هذا الصنف على روايتين:

الرواية الأولى: قال أبو جعفر عليه السلام: «من حكم في درهمين فأخطأ كفر»<sup>(١)</sup>.

الرواية الثانية: قال الصادق عليه السلام: «الحكم حُكْمَان: حكم الله، وحكم الجاهليّة، فمن أخطأ حكم الله حكم بحكم الجاهليّة»<sup>(٢)</sup>.

والجواب من ثلاثة وجوه:

١ - أنّ الروايتين واردتان في باب القضاء، ولا ملازمة بينه وبين باب الإفتاء، وربّما يلتزم فقيه بحرمة القضاء إلا عند القطع بمطابقة حكمه لحكم الله تعالى، ولا يتصدّى للحكم فيما إذا لم يحصل له يقين بحكم الله تعالى، وهذا لا يستلزم حرمة الإفتاء بالشكل الذي أمر به أهل البيت عليهم السلام، كما عرفت في البحوث السابقة.

٢ - قد تواتر أنّ النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والحسن عليه السلام قد نصبوا قضاءً، ومن المعلوم أنّ القضاة يُخطئون ويُصيبون في أحكامهم، ولم ينقل تاريخ المسلمين ولا روايات الفقه عند الفريقين أنّ المعصوم حكم بكفر قاضٍ أخطأ في حكمه بغير تعمّد منه، فما يجيب به منكرو التقليد على هذا فهو جوابنا عليهم فيما لو أخطأ قاضٍ من قضاة الشيعة اليوم في حكمه لا عن تعمّد.

٣ - أنّ استدلالهم بهاتين الروايتين هو استدلال بالإطلاق، ومن المعلوم أنّه لا يجوز الأخذ بالإطلاق إلا بعد اليأس من العثور على ما يقيده، ولو رجعنا

١. وسائل الشيعة (ج ٢٧) / ص ٣٢ / أبواب صفات القاضي / الباب ٥ / ح ٥.

٢. المصدر السابق (ح ٦).





إلى روايات الباب لوجدناها تُقيّد الروايتين بما إذا كان الحكم حكماً بغير ما أنزل الله تعالى، فالحكم بغير ما أنزل الله هو الكفر، وهو حكم الجاهليّة.

فمنها: ما روي عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «الحكم حكمان: حكم الله، وحكم الجاهليّة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، واشهدوا على زيد بن ثابت لقد حكم في الفرائض بحكم الجاهليّة»<sup>(١)</sup>.

وهي واضحة في أن زيد بن ثابت ترك حكم الله في باب المواريث عن عمد وحكم بغيره، فكان حكمه حكم الجاهليّة.

وأين هذا من منهج فقهاءنا في الفقه ومنه كتاب المواريث؟ فإنهم لا يفتنون فيه بشيء ما لم يكن وارداً في كتاب الله، أو روايات المعصومين عليهم السلام.

ومنها: ما رواه أبو بصير، عن أبي جعفر عليه السلام، وابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «من حكم في درهمين بغير ما أنزل الله تعالى ممن له سوط أو عصا فهو كافر بما أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وآله وسلم»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: ما رواه أبو بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من حكم في درهمين بغير ما أنزل الله فهو كافر بالله العظيم»<sup>(٣)</sup>.

ومنها: ما رواه عبد الله بن مسكان، رفعه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من حكم في درهمين بحكم جورٍ، ثم جبر عليه كان من أهل هذه الآية: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]»، فقلت: وكيف يجبر عليه؟ فقال: «يكون له سوط وسجنٌ، فيحكم عليه، فإذا رضي بحكومته، وإلاّ ضربه بسوطه، وحبسه في سجنه»<sup>(٤)</sup>.

١. الكافي (ج ٧ / ص ٤٠٧ / باب أصناف القضاة / ح ٢).

٢. الكافي (ج ٧ / ص ٤٠٧ / باب من حكم بغير ما أنزل الله / ح ١).

٣. الكافي (ج ٧ / ص ٤٠٨ / باب من حكم بغير ما أنزل الله / ح ٢).

٤. المصدر السابق (ح ٣).



ومن الواضح لكل عاقل أنّ هذه الروايات الثلاث واردة في قضاة الجور والمعرضين عن أحكام الإسلام، فهي أجنبيّة عن فقهائنا بالمرّة. وبعد كلّ هذه المقيّدات يدير المستدلُّ ظهره عنها بعمدٍ، أو جهلٍ، ويأخذ بإطلاق الروايتين المتقدّمتين.

**الصنف الرابع: ما دلّ على أنّ مقلّدي الفقهاء أعداء للدين وللقيام ﷺ:**

نقلنا في روايات الصنف الأوّل ما نسبوه إلى إمامنا الصادق عليه السلام من أنّه ذكر الإمام المهدي عليه السلام وقال: «أعداء الدين مقلّدة الفقهاء أهل الاجتهاد ولم يرونه يحكم بخلاف ما ذهب إليه أئمّتهم...» إلخ.

ولأجل اشتغال الرواية على ذكر الفقهاء بعبارة (أهل الاجتهاد) فقد أدرجناها في الصنف الأوّل الذي خصّصناه للروايات التي استدلوها بها على حرمة الاجتهاد، ولأجل اشتغالها على ذكر المقلّدين بعبارة (مقلّدة الفقهاء) فهي تندرج في روايات هذا الصنف أيضاً.

وقد أجبنا على هذه الرواية هناك مفصّلاً بعدّة أجوبة، وكان أهمّها أنّها مكذوبةٌ على إمامنا الصادق عليه السلام، وأثبتنا هناك وبالأرقام أنّها من كلام ابن عربي الصوفي المعروف، وليس من كلام إمامنا الصادق عليه السلام<sup>(١)</sup>.

**الصنف الخامس: ما دلّ على حرمة العمل بالظنّ:**

طلما سمعنا وما زلنا نسمع أنّ الأحكام التي يُفتي بها الفقهاء ما هي إلّا أحكام ظنيّة، وأنّ أحكام المعصومين عليهم السلام ليست كذلك، بل هي قطعيّة.

وهذا الكلام ناشيءٌ من الجهل بشريعة الإسلام وأحكامه بصورة عامّة، وبما هو مقصود النصوص الناهية عن العمل بالظنّ بصورة خاصّة.

مضافاً إلى الجهل بمعنى ظنيّة الأحكام وقطعيّتها، كما سيّضح هذا كلّه فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

١. الفتوحات المكيّة (ج ٦ / ص ٤٠ / الباب ٣٦٦).

ومَّا استدلُّوا به لهذا الصَّنْفِ ما نقلوه عن المفضَّل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من شكَّ أو ظنَّ فأقام على أحدهما فقد حبط عمله، إنَّ حجَّةَ الله هي الحجَّةُ الواضحة»<sup>(١)</sup>.

ونحن بدورنا نتبرَّع لهم بما هو أقوى من الرواية المذكورة، أعني الآيات الكريمة الناهية عن اتِّباع الظنِّ، كقوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِمِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾<sup>(١٨)</sup> (النجم: ٢٨)، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنْ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنْ الله عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾<sup>(٣٦)</sup> (يونس: ٣٦)، وقوله عليه السلام: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ الله إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾<sup>(١٧)</sup> (الأنعام: ١١٦)، وقوله (عزَّ من قائل): ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾<sup>(٣٦)</sup> (الإسراء: ٣٦).

ونحن نُجيب أولاً على الاستدلال برواية المفضَّل، ثمَّ على الاستدلال بالآيات الكريمة.

والجواب على الرواية من أربعة وجوه:

١ - أنَّها مرسلة، فقد نقلها صاحب الوسائل عن الكافي، والكليني رواها عن المفضَّل من دون سند، قال عليه السلام: (وفي وصيَّة المفضَّل، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...) الحديث<sup>(٢)</sup>.

وهذا يعني أنَّ صدور الرواية من الإمام عليه السلام مشكوكٌ فيه، وعلى أفضل التقادير يكون مضموناً، والظنُّ ليس حجَّة عندهم، فلا يصحُّ الاستدلال بها على بطلان فتاوى الفقهاء الظنِّيَّة.

٢ - لو تنزَّلنا وفرضنا القطع بصدورها فهو لا ينفع المستدلُّ بها على حرمة

١. وسائل الشيعة (ج ٢٧) / ص ٤٠ / أبواب صفات القاضي / الباب ٦ / ح ٨.

٢. الكافي (ج ٢) / ص ٤٠٠ / باب الشكِّ / ح ٨.



العمل بالظنّ، لأنّ الكليني عليه السلام أوردها في كتاب الكفر والإيمان في بابٍ عنونه بعنوان (الشكّ)، وقد نقل في هذا الباب تسع روايات إحداهما هذه الرواية، والثمانية الأخرى كلّها تتحدّث عن الشكّ والظنّ المقابلين للإيمان واليقين، والموجبان للكفر.

وهذا يعني أنّ الكليني عليه السلام فهم أنّ المراد من الشكّ والظنّ في روايتنا هو عين المراد منهما في الروايات الثمانية الأخرى، ولا علاقة لهما بباب الأحكام الشرعيّة أصلاً.

٣ - لو تنزّلنا وفرضنا أنّ ذكر الكليني لها في باب الكفر والإيمان لا يجعلها مختصّةً بذلك الباب فهو لا ينفع المستدلّ بها أيضاً، إذ لا أقلّ من أنّها تصبح جملةً في دلالتها، لاحتقال أنّها مختصّة بباب العقائد، ولا ظهور لها في العموم والشمول لباب الأحكام.

٤ - لو تنزّلنا وفرضنا أنّها شاملة لباب الأحكام أيضاً فهي مختصّة بمن يبنى على الشكّ أو الظنّ من دون أن يرجع إلى الوظيفة المجعولة من قبل الشرع للمكلف في حالة الشكّ أو الظنّ.

وأما لو رجع إلى تلك الوظيفة فهو عامل بما أوجب الشرع، وليس تحرّصاً من عند نفسه وأتباعاً لظنه الشخصيّ.

والقرينة على أنّ المقصود في الرواية هو من يبنى عليها قوله عليه السلام: «فأقام على أحدهما»، بمعنى: إن بقي واستمرّ على شكّه أو ظنّه، وهذا ينطبق على من لم يرجع إلى تلك الوظيفة، ولا ينطبق على فقهاءنا، فإنّهم لا يعملون في موارد الشكّ والظنّ إلّا بما رسمه لهم الشرع من قواعد يرجعون إليها في حالتي الشكّ والظنّ.

مثاله: لو شكّ الفقيه في حرمة فعل من الأفعال بعد أن بذل كلّ ما بوسعه في مقام الفحص والبحث عن حكم ذلك الفعل في مصادر التشريع ولم يعثر



على ما يدلُّ عليه، فآنذاك يرجع إلى ما تقتضيه القواعد والأصول المجعولة شرعاً لحالة الشكِّ، كأصالة البراءة مثلاً، والتي دلَّ عليها حديث النبي ﷺ: «رفع عن أمتي تسع: الخطأ، والنسيان، وما أكرهوا عليه، وما لا يعلمون، وما لا يطيقون، وما اضطرُّوا إليه...» الحديث<sup>(١)</sup>.

فقد دلَّت كلُّ واحدة من الفقرات التسع على قاعدة عامَّة يرجع الفقهاء إلى كلِّ واحدة منها في مجالها، ومنها فقرة (ما لا يعلمون) التي تفيد أنَّ الحكم الذي لا يعلم المكلف بثبوتيه بعد أن بحث عنه بكلِّ جهده في ثنايا مصادر التشريع حتَّى يئس من العثور عليه فهو حكم مرفوع عنه، بمعنى أن الله تعالى لا يؤاخذ به لو كان موجوداً في الواقع، وعجز المكلف عن الوصول إليه من دون تقصير.

وكذلك أصالة الحلِّ التي دلَّ عليها حديث للإمام الصادق عليه السلام: «كلُّ شيء فيه حلال وحرام فهو لك حلال أبداً حتَّى تعرف الحرام منه بعينه فتدعه»<sup>(٢)</sup>. وغير ذلك من النصوص التي تُحدِّد وظيفة المكلف في حالة الشكِّ في الحكم، أو الظنِّ به.

وهذا يعني أن الفقيه حينما يُفتي بحكم في تلك الحالة إنَّما يحكم بما دلَّ عليه النصُّ، أو الأصل، لا أنَّه يحكم برأيه، أو يبني على شكِّه أو ظنِّه. والنتيجة: أنَّ رواية المفضَّل أجنبيَّة عن فتاوى فقهاءنا.

وأما الجواب على الاستدلال بالآيات الثلاث الأولى الناهية عن اتِّباع الظنِّ فحاصله: أنَّها واردة في باب العقيدة، وليس فيها آية رائحة في جانب الأحكام الشرعيَّة.

أما قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا

١. بحار الأنوار (ج ٧٤ / ص ١٥٣ / ح ١٢٣).

٢. وسائل الشيعة (ج ١٧ / ص ٨٧ / أبواب ما يُكتسب به / الباب ٤ / ح ١).

يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً ﴿٣٨﴾ ﴿فَهُوَ فِي حَقِّ الْكُفَّارِ، حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونُ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ (النجم: ٢٧ - ٣٠)، فهو في مقام إبطال تسميتهم الملائكة باسم الأنثى.

وَأَمَّا قَوْلُهُ سَبْحَانَهُ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣١﴾﴾ فَقَدْ جَاءَ ضَمَنُ مَخَاطَبَتِهِ لِلْمَشْرُكِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتَ تُؤْفِكُونَ ﴿٣٢﴾﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ (يونس: ٣٤ - ٣٨).

وَأَمَّا قَوْلُهُ (عَزَّ مِنْ قَائِلٍ): ﴿وَإِنْ تُطِغْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٣٧﴾﴾ فَقَدْ كَانَ بِصَدَدِ الْكَلَامِ عَلَىٰ أَعْدَاءِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَمُومِ الْكَافِرِينَ، حَيْثُ قَالَ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرَضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي



حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٥﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ (الأنعام: ١١٢ - ١١٧).

فها أنت ترى أن الآيات الكريمة ناظرة إلى أتباع الكفار والمشركين للظن والتخرُّص دون العلم واليقين في مسائل عقديّة، وليست ناظرة إلى الأحكام الفرعيّة لا من قريب ولا من بعيد.

ومن المعلوم للعدوِّ قبل الصديق أن علماء الإماميّة مجمعون - تبعاً للكتاب العزيز كهذه الآيات الثلاث، وأحاديث المعصومين عليهم السلام، ودليل العقل القطعي - على عدم جواز بناء العقيدة على الظنّ، بل لا بُدَّ فيها من تحصيل القطع واليقين.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ (الإسراء: ٣٦)، فهو أفضل ما يمكن أن يستدلوا به على عدم جواز متابعة الظنّ بشكل عامّ حتّى في الأحكام الشرعيّة، لأنّ لفظ (ما) عامّ يشمل كلّ شيءٍ يمكن أن يتعلّق به العلم، وحيث إنّ الظنّ ليس علماً فلا تجوز متابعته.

ولكن يُجاب عليه من وجوه:

١ - أنّ المفسّرين اختلفوا في تفسير هذه الآية بما يُخرجها عن صلاحية الاستدلال بها على حرمة متابعة الظنّ في الأحكام الفرعيّة، حيث فسّر بعضهم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ بمعنى: لا تقل، أي إنها ناهية عن الكذب في القول، وذلك في مجالات ثلاثة:



أحدها: أن يكذب في ادّعاء السّماع، بأن يقول: (سمعتُ كذا) وهو لم يسمعه.

ثانيها: أن يكذب في ادّعاء الرؤية، بأن يقول: (رأيتُ كذا) وهو لم يره.

ثالثها: أن يكذب في ادّعاء العلم، بأن يقول: (علمتُ كذا) وهو لم يعلمه.

وجعلوا القرينة على هذا التفسير قوله تعالى بعد ذلك: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ  
وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾<sup>(٣٦)</sup>.

وبناءً على هذا التفسير تكون الآية أجنبيّةً عن المقام، ولا يجوز الاستدلال  
بها على حرمة اتّباع الظنّ في الأحكام الفرعيّة.

٢ - لو لم نقطع بأنّ هذا التفسير هو المقصود من الآية فلا أقلّ من كونه  
معنىً محتملاً بدرجة وجيهة، فتعود الآية مجملّةً من هذه الناحية، ولا يجوز  
الاستدلال بالمجمل كما هو واضح، لأنّه استدلال بالأمر المشكوك لا المعلوم،  
والآية نفسها تنهى عن اتّباع غير العلم.

٣ - لو قطعنا ببطلان هذا التفسير استناداً إلى ما جاء في بعض رواياتنا التي  
يفهم منها أنّ فقرة: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾<sup>(٣٦)</sup>  
منفصلة عن فقرة ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾<sup>(١)</sup>، فلا تصلح تلك الفقرة  
كقرينة على ذلك التفسير، وتبقى هذه الفقرة صالحة للاستدلال بها على حرمة  
اتّباع غير العلم في جميع المجالات حتّى الأحكام الشرعيّة.

ولكن مع ذلك لا يجوز لمنكري التقليد الاستدلال بها على حرمة متابعة  
الظنّ في الأحكام الفرعيّة، لأنّ دلالتها على ذلك هي دلالة ظنيّة، وبالتالي فإنّ  
استدلالهم بالآية يتوقّف على حصول قطعين:

١. وهو ما رواه أحد أصحاب أبي عبد الله عليه السلام، قال: كنت أطيل القعود في المخرج - يعني بيت الخلاء -  
لأسمع غناء بعض الجيران، قال: فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: «يا حسن، ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ  
وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾<sup>٣٦</sup>، السَّمْعُ وَمَا وَعَى، وَالْبَصَرُ وَمَا رَأَى، وَالْفُؤَادُ وَمَا عَقَدَ عَلَيْهِ»  
(وسائل الشيعة: ج ١٧ / ص ٣١١ / أبواب ما يُكْتَسَبُ بِهِ / الباب ٩٩ / ح ٢٩).



الأوّل: القطع بأنّ المقصود من النهي الوارد فيها هو الحرمة، فلو كان المقصود منه هو الكراهة أو كان النهي مجملاً فلا يصحُّ لهم الاستدلال بها. الثاني: القطع بأنّ الحرمة شاملة للأحكام الشرعيّة أيضاً، ولا تختصّ بالمسائل العقديّة.

ولا يمكن حصول القطع بأيّ واحدٍ من هذين الأمرين.

أمّا عدم القطع بأنّ المقصود هو الحرمة فلأنّ غاية ما يُدعى هو أنّ النهي ظاهر في التحريم، والظهور لا يفيد القطع، بل أقصى ما يفيد هو الظنّ. وذلك لأنّ النهي في النصوص يُستعمل تارةً في الحرمة، وتارةً في الكراهة، فإذا قامت قرينة على الترخيص في الفعل المنهيّ عنه كان النهي بقرينة الترخيص ظاهراً في الكراهة، وإن لم تقم قرينة على الترخيص كان ظاهراً في الحرمة، والظهور هنا لا يفيد أزيد من الظنّ.

وإذا لم تكن دلالة الآية على التحريم قطعيّةً بل ظنيّةً لم يجز لمنكري التقليد الاستدلال بها على مدّعاهم، لأنّه استدلال بما هو ظنيّ على حرمة الظنّ. وأمّا عدم القطع بالثاني فلأنّ المستند في شمول الآية للأحكام الشرعيّة هو أنّ لفظ (ما) الوارد في فقرة ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ ظاهر في العموم والشمول، وقد تقدّم أنّ أقصى ما يفيد الظهور هو الظنّ، لا القطع. والنتيجة: لا يجوز لمن يُجرّم الاستدلال بالأدلة الظنيّة أن يستدلّ بهذه الآية على بطلان الاستدلال بالظنّ، لأنّها دليل ظنيّ أيضاً.

هذه جملة من النصوص التي استدلّ أو يمكن أن يستدلّ بها المنكرون للتقليد لحرمة العمل بالظنّ في الأحكام الشرعيّة، وقد عرفت ضعفها جميعاً وعدم صمودها أمام النقد العلمي.



**ALMAUOOD**

[www.m-mahdi.com/almauood](http://www.m-mahdi.com/almauood)

[almauood@m-mahdi.com](mailto:almauood@m-mahdi.com)

## أسس الاعتقاد بوجود الإمام المهدي عليه السلام وآليات مقاومة إنكاره

مرتضى علي الحلي

مدخل تمهيدي:

من المعلوم بدهاءة عند العقلاء، وحتّى في عادة الناس عرفاً أنّ البناء مُطلقاً يجب أن يقوم على أسس مكيّنة، ليرتفع عليها بسلامة، بما تتكفل بقاءه، بخلاف ما لو قام على أسس ضعيفة تجعله عرضةً للانهار وسرعة، ومن هنا عرض القرآن الكريم إلى هذا المعنى بشقيه المادي والمعنوي، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (التوبة: ١٠٩)، وما نسعى إلى تقديمه في هذا المدخل التصوري في محاور البحث، هو بيان أهميّة الجهات المعنوية والمعرفيّة والسلوكيّة في تمكين الأسس الاعتقادية بوجود الإمام المهدي وإمامته عليه السلام وآثار كلّ جهةٍ منها، ومدى القدرة والصلابة في عدم الرضوخ للشبهات التي تعرض عليها، وضرورة الاستبصار وامتلاك ثقافة التمييز، وعدم الخلط في الأمور الحادثة، والتي لها سنخ علاقة بأسس الاعتقاد وتمكينها أو انهيارها.

وإذا تمكّنا من الوقوف على مشارف تلك الجهات المقومّة لأسس الاعتقاد بوجود الإمام المهدي عليه السلام ووجوب إمامته، وبقائه حيّاً، فإننا ستعرّف على موانع الوقوع في الانحراف، وذلك باعتقاد رؤية الأئمة المعصومين عليهم السلام والذين



قدّموا لنا خيارات في التعاطي القويم مع العقيدة المهدوية في عصرها - عصر الغيبة الصغرى وعصر الغيبة الكبرى - مما ينبغي الأخذ بها منهجاً وسلوكاً. ويمكن أن نستظهر التراتبية البنائية في قوامه الأسس الاعتقادية الحقّة من منطوق بعض الآيات القرآنية الشريفة، والتي بيّنت ذلك بقصد التمكين لبنويّة الشخصية المؤمنة وهداياها للحراك المستقيم في إطار الانتظار والتمهيد بشكل عام، لما عرضته الأصول الاعتقادية من علاقة مكينة بهذا المعنى المطلوب والمبحوث، قال تعالى:

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٧).

إنّ هذه الآية الشريفة تُعالج رؤية تتبنّى أولويّة رعاية معايير الاهتمام بجانب دون آخر من غير إعمال للتراتبية الأوليّة في حراك البناء والتأسيس، على مستوى شخصيّة الفرد أو شخصيّة المجتمع القيمية، كما يظهر في الاهتمام بمسألتي العبادات والاعتقادات، وأيّها أحقّ بالترتيب والعناية، والقرآن الكريم قد قدّم رؤيته القويمية في ذلك، من حيث لزوم مراعاة معايير التقديم والترتيب البنائي، بما يضمن الوصول للمطلوب العقدي وتحقيق الغرض، فرداً واجتماعاً، إذ بيّن أنّ البرّ الحقيقي والواقعي، يُمثّل سمة التوسع اعتقاداً وعملاً في الخير والصلاح والطاعة والإحسان، وكلّ وجه له علاقة بالمدلول، وأهمّها الإيمان بالأصول الاعتقادية الأوليّة والضرورية في بنويّة الشخصية الموقّنة، وما يتفرّع منها من أصول اجتماعية وتطبيقية، تجمع بين بُعدي تأمين البناء الذاتي للفرد والبناء الاجتماعي عامّة، وعلى نحوٍ تكون فيه السمة الاعتقادية هي البارزة في الآثار والمواقف والخيارات، فضلاً عن آثار العبادات.

والآية الشريفة بيّنة في هذا المعنى الذي نقصده، وهو ضرورة مراعاة التراتبية البنائية في الأسس الاعتقادية أصولاً وفروعاً، والمنطوق القرآني حجة بظهوره ودلالته، فكل الجهات القيّمة والاعتقادية والاجتماعية والتطبيقية قد سطرّها الآية الشريفة بلون الأولوية، حتّى أنّها قد ختمت بيان مفهوم البرّ واختزاله بالإيمان بما ذكرت بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾، مما يعني أنّ المطابقة بين أعمال الأصول الاعتقادية والفروع العبادية يأتي بحسب مراعاة تراتبية البناء، ممّا ينتج في الواقع إنساناً موقناً وتقيّاً وصالحاً في وجوده وحراكه بشكل عام، وينبغي الالتفات إلى أنّ الإيمان بالأسس الاعتقادية يجري في جميع منطبقات الجامع العام بمثل ما يجري في الجامع الاعتقادي نفسه، وهو الإيمان بأصل وجود الإمام المهدي عليه السلام وإمامته، فيما هو الهدف من البحث، ومحاوره، وقد أشار شيخ الطائفة المفيد رحمته الله إلى هذا المعنى العقائدي وانطباقه البنائي بمصداقه الأول، وهو المعصوم <sup>(١)</sup> عليه السلام - والذي أيضاً ينطبق على أصالة

١. تفسير القرآن المجيد، الشيخ المفيد: ص ١٥٨، ط ١، قم ١٤٢٤ هـ.

(فذكر سبحانه خصلاً تقتضي لصاحبها بمجموعها التصديق والصدق، ودلّ على أنّه عنى بالصادقين - اللذين أمروا باتّباعهم - من جمع الخلال التي عدّناها دون غيره، وصحّ بذلك التمييز بين المأمور بالاتباع والمدعو إلى اتّباعه، ولم نجد أحداً كملت له هذه الخصال المذكورة في القرآن من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله سوى أمير المؤمنين عليه السلام بتواتر الأخبار ودلائل معاني القرآن، ألا ترى، أنّه أعظم من آمن بالله واليوم الآخر، وأجلّهم وأرفعهم قدراً، إذ كان أولهم إيماناً وكان مشهوداً له بالإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين، وكان عليه السلام ممن أتى المال على حبّه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وفي الرقاب. وقد شهد بذلك له القرآن في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ عَلَىٰ حَبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (الإنسان: ٨)، وكان هو المعنى بذلك في هذه الآية على اتّفاق العلماء بتأويل القرآن، وكان عليه السلام ممن أقام الصلاة وآتى الزكاة. وقد نطق القرآن بذلك فيه على الخصوص والافراد حيث يقول سبحانه: ﴿إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاغِبُونَ﴾ (المائدة: ٥٥)... وليس يمكن القطع باجتماع هذه الخلال لأحد سواه من الصحابة وغيرهم من الناس، فثبت أنّه هو الذي عناه الله تعالى بقوله: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩) وهذا نصّ على فرض اتّباعه والطاعة له والإيمان به في الدين من معنى المنزل في القرآن).

الاعتقاد بوجود الإمام المهدي ﷺ ووجوب إمامته الحقّة - في صدد جوابه عن سؤال وجّه إليه في تفسير قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩)،  
واستدلّ بقوله تعالى - من الآية محلّ البحث -:

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٧).

وقال: (فجمع الله تبارك اسمه وتعالى هذه الخصال كلها، ثم شهد لمن كملت فيه بالصدق والتقوى على الإطلاق، فكان مفهوم معنى الآيتين الأولى، وهذه الثانية أن اتبعوا الصادقين الذين باجتماع هذه الخصال التي عدناها فيهم، استحقوا هذا الإطلاق عليهم ولم نجد أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ اجتمعت فيه هذه الخصال إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فوجب أنّه الذي عناه الله سبحانه بالآية، وأمر فيها باتّباعه والكون معه فيما يقضيه الدين، وذلك أنه ذكر الإيمان به (جل اسمه وتعالى) واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين، فكان أمير المؤمنين عليه السلام أوّل الناس إيماناً به، وبما وصف بالأخبار المتواترة بأنه أوّل من أجاب رسول الله ﷺ من الذكور)<sup>(١)</sup>.

وقد عرض الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره الأمثل لتفسير الآية الشريفة: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ (البقرة: ١٧٧). بما هو صريحٌ في أهميّة الترتيبية البنائية في الأصول والأسس الاعتقادية ودخالتها الرئيسة في صناعة الإنسان المؤمن، ونقتصر على ذكر اقتباسات ممّا تقدّم به، لتكون شاهداً على هذه الحقيقة، ولزوم مراعاة أهميتها تطبيقاً وخياراً،

١. الفصول المختارة، الشيخ المفيد: ص ١٣٩، ط ٢، دار المفيد، ١٤١٤ هـ.



وقال ما نصّه: (ثم يُبيّن القرآن أهم أصول البرّ والإحسان، وهي ستة، فيقول: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ - هذا هو الأساس الأول: الإيمان بالمبدأ، والمعاد، والملائكة المأمورين من قبل الله، والمنهج الإلهي، والنبين الدعاة إلى هذا المنهج، والإيمان بهذه الأمور يضيء وجود الإنسان، ويخلق فيه الدافع القوي للحركة على طريق البناء والأعمال الصالحة.

إلى أن ذكر: ثم تؤكد الآية على أهمية الأسس الستة، وعلى عظمة من يتجلى بها، فتقول: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾، صدقهم يتجلى في انطباق أعمالهم وسلوكهم مع إيمانهم ومعتقداتهم، وتتجلى تقواهم في التزامهم بواجبهم تجاه الله وتجاه المحتاجين والمحرومين وكل المجتمع الإنساني، والملفت للنظر أن الصفات الست المذكورة تشمل الأصول الاعتقادية والأخلاقية والمناهج العملية، فتضمنت الآية كل أسس العقيدة، وكذلك أشارت إلى الإنفاق والصلاة والزكاة بين المناهج العملية، وهي أسس ارتباط المخلوق بالخالق، والمخلوق بالمخلوق، وفي الحقل الأخلاقي ركزت الآية على الوفاء بالعهد، وعلى الصبر والاستقامة والثبات، وهي أساس كل الصفات الأخلاقية السامية)<sup>(١)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن تمكين أسس الاعتقاد بوجود الإمام المهدي عليه السلام والإذعان بإمامته وبقائه حياً إلى آخر زمان تكليفه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بأصل الإيمان بوجود الله تبارك وتعالى وتوحيده وعدله وحكمته، وقد فصلنا هذا المعنى القويم في بحث مستقل وسابق<sup>(٢)</sup>، وما من شبهة أو إنكار أو انحراف يعرض للإنسان بوجهة ما يؤمن به أو يلحد فيه، إلا ويأتي من عدم إدراكه

١. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ج ١، ص ٥٠٠، ط ١، منقحة.

٢. انظر: المقومات النبوية للدولة المهدوية المرتقبة والمتطلّبات الواقعية: مجلّة الموعود، العدد السادس، ص

للترايط الوثيق بين الأصول الاعتقادية بعضها ببعض، كما هو محلّ القصد من البحث، وذلك لأنّ أسس الاعتقاد الديني تقوم على الاختيار والإيمان، بعد النظر العقلي فيها، وهذا المعنى يُمثّل تكليفاً يأخذ بالإنسان للاهتداء بنفسه وعلى بصيرة من أمره، دون إلقاء بحسب ما ثبت في علم الكلام ومُسلّماته العقديّة، من أنّ الله تعالى قد عرض دينه الحقّ على الإنسان بواسطة أنبيائه ورسله وحججه من الأئمة المعصومين عليهم السلام، وهداهم، ودعاهم للإيمان طوعاً، وقد أقام الحجّة البالغة عليهم، وقد بيّن العلامة الحليّ رحمته الله هذا الثابت الكلامي في شرح تجريد الاعتقاد، حيث ذكر نصّاً: (وأما الهداية فالله تعالى نصب الدلالة على الحقّ وفعل الهداية الضرورية عند العقلاء، ولم يفعل الإيمان فيهم، لأنّه كلّهم به ويثب على الإيمان)<sup>(١)</sup>.

وتفصيل البحث يقع في جهات ثلاث، وهي:

الجهة الأولى: مُميّزات الاعتقاد القويم بوجوده وبإمامته.

الجهة الثانية: لزوم إدراك الترايط العقدي بين وجود الله سبحانه ونصبه للأئمة المعصومين عليهم السلام، ومُراعاة تلك التراتبية البنائية.

الجهة الثالثة: مُقتضيات الوقوع في الشبهات والموانع من ذلك.

الجهة الأولى: مُميّزات الاعتقاد القويم بوجوده وبإمامته.

ويمكن تبويبها بما يلي:

أولاً: من المعلوم عقائدياً أنّه يجب تحصيل اليقين بأصول الدين، ومنه الاعتقاد الجازم بوجود الإمام المهدي عليه السلام ووجوب نصبه عند كلّ مُكلّف، بحيث يكون إيمانه مبنياً على أساس الدليل، والمقصود الدليل هنا هو: (اليقين بالمعنى الأخص، وهو الاعتقاد المطابق للواقع، الذي لا يحتمل النقيض لا عن

١. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلامة الحليّ، ص ٤٣٦، ط ١٥٥، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، المشرّفة.





تقليد، بحيث لا يشمل الجهل المركب ولا الظن ولا التقليد - وهذا اليقين يتقوم مفهوماً بعنصرين:

**العنصر الأول:** أن ينضمَّ إلى الاعتقاد بمضمون القضية (الأصل الاعتقادي - مثلاً وجوب نصب الإمام المهدي عليه السلام عقلاً -) اعتقاداً ثانٍ - وهو عدم خلو الأرض من حجةٍ معجولةٍ إلهياً - ويدعن بأن ذلك المُعتَقَد به لا يُمكن نقضه. **والعنصر الثاني:** أن يكون هذا الاعتقاد الثاني لا يمكن زواله، لأنَّه مُسَبَّبٌ عن علته الخاصة الموجبة له - أو ما يُمكن تسميته برهان صادق وجزم قاطع - وهو ما يُساوق وجوب نصب الإمام المعصوم على الله تعالى عقلاً -<sup>(١)</sup>، وقد عرَّضت الروايات المُعتبرة إلى ضرورة الثبات على اليقين بوجود الإمام المهدي عليه السلام وإمامته الحقَّة وغيبته، وحدَّرت ممَّا يُخالف هذا اليقين بالشكَّ أو الكفر أو الانحراف عن جادة الاعتقاد المستقيم: (فعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ عليَّ بن أبي طالب عليه السلام إمامٌ أمِّي وخليفتي عليها من بعدي، ومن ولده القائم المنتظر الذي يملأ الله به الأرض عدلاً وقسطاً، كما مُلئت جوراً وظلماً، والذي بعثني بالحق بشيراً إنَّ الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعزَّ من الكبريت الأحمر»، فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري فقال: يا رسول الله وللقائم من ولدك غيبة؟ قال: «إي ورِّي، ﴿وَلِيْمَحْصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١]، يا جابر إنَّ هذا الأمر من أمر الله وسر من سرِّ الله، مطوي عن عباد الله، فإياك والشك فيه فإنَّ الشك في أمر الله عزَّك كُفراً)<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: إنَّ من أوَّل أسس المعرفة اليقينيَّة بأصول الدِّين هو: (ركوزها في اعتقاد المُكلَّف، بحيث إذا سألته عن شيء - من الاعتقاد الضروري - أجاب بما هو الحقُّ فيه، وإن لم يعرف التعبير عنه بالعبارات المتعارفة على السنة الخواص

١. انظر، المنطق، العلامة محمد رضا المظفر: ج ٣، ص ٢٥٩، ط، قم، ١٤٢٥ هـ. بتصرّف في العبارة.

٢. كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق: ص ٢٨٨، ط، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين

بقم المشرفة - إيران، ١٤٠٥ هـ.



ويكفي في معرفة الأئمة عليهم السلام معرفتهم بنسبهم المعروف، والتصديق بأنهم يهدون بالحق، ويجب الانقياد إليهم والأخذ منهم<sup>(١)</sup>، وتتجلّى المعرفة اليقينية بالإمام المهدي عليه السلام وجوداً واعتقاداً بأنه: (الإمام الثاني عشر، حيٌّ موجود من حين ولادته، وهي سنة خمس وخمسين ومئتين إلى آخر زمان التكليف، لأن كل زمان لأبد فيه من إمام معصوم، لعموم الأدلة، وغيره ليس بمعصوم، فيكون هو الإمام، وأمّا الاستبعاد ببقاء مثله فباطل، لأن ذلك ممكن، خصوصاً وقد وقع في الأزمنة السالفة في حقّ السعداء والأشقياء ما هو أزيد من عمره عليه السلام، وأمّا سبب خفائه فإنّ المصلحة استأثر الله بعلمها أو لكثرة العدو وقلّة الناصر، لأنّ حكمته تعالى وعصمته عليه السلام لا يجوز معها منع اللطف، فيكون من غير العادة، وذلك هو المطلوب)<sup>(٢)</sup>.

وإنّ معرفة الإمام المهدي عليه السلام والإيمان بوجوده وبقائه حيّاً إلى آخر زمان تكليفه هي ممّا ينبغي أن يُعلّم بمقتضى حكم العقل النظري، والذي يدرك استقلالاً وجوب نصب الإمام على الله تعالى، وحتّى في الروايات الصحيحة بحسب مباني علم الرجال يوجد تصريح بذلك، فقد روي في الصحيح عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]<sup>(٣)</sup> قال: «معرفة الإمام واجتناب الكبائر التي أوجب الله عليها النار»<sup>(٤)</sup>.

ثالثاً: ينبغي عقلاً أن يتميّز الاعتقاد اليقيني بمعرفة ووجود الإمام المهدي عليه السلام ووجوب إمامته بضرورة إدراك أنّ باب العلم غير مُنسدّ في ذلك، وقد نبّه على ذلك المُدقق الأصولي الفقيه الشيخ الآخوند صاحب الكفاية في رفضه ورده لفاعليّة الظنّ

١. فرائد الأصول، الشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري: ج ١، ص ٥٦٥-٥٦٧، ط ١٤٤٠، قم.

٢. النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، المقداد السيوري، ١١٨، ط ٢، ١٤١٧ هـ، دار الأضواء، بيروت.

٣. ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ٢٦٩).

٤. روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمد تقي المجلسي (الأول)، ج ٩، ص ٣٣٣، ط، قم.



والأخذ به في أصول الدين فقال: (نعم يجب تحصيل العلم في بعض الاعتقادات لو أمكن، من باب وجوب المعرفة لنفسها، كمعرفة الواجب تعالى وصفاته، أداءً لشكر بعض نعمائه، ومعرفة أنبيائه، فإنهم وسائط نعمه وآلائه، بل وكذا معرفة الإمام عليه السلام، على وجه صحيح<sup>(١)</sup>)، فالعقل يستقل بوجوب معرفة النبي ووصيه لذلك، ولا احتمال الضرر في تركه<sup>(٢)</sup>)، وفي الرواية الصحيحة المعروفة (عن هشام بن سالم، عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر، الإمام الباقر عليه السلام: أخبرني عن معرفة الإمام منكم واجبة على جميع الخلق؟ فقال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ رَسُولًا وَحِجَّةً لِلَّهِ عَلَىٰ جَمِيعِ خَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ، فَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ، فَإِنَّ مَعْرِفَةَ الْإِمَامِ مِنْهُ وَاجِبَةٌ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمَرْ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَمْ يَتَّبِعْهُ وَلَمْ يَصَدِّقْهُ وَيَعْرِفْ حَقَّهَا فَكَيْفَ يَجِبُ عَلَيْهِ مَعْرِفَةُ الْإِمَامِ، وَهُوَ لَا يُؤْمَرْ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَيَعْرِفْ حَقَّهَا»، قال: قلت: فما تقول فيمن يؤمن بالله ورسوله ويصدق رسوله في جميع ما أنزل الله، يجب على أولئك حق معرفتكم؟ قال: «نعم، أليس هؤلاء يعرفون فلاناً وفلاناً؟ قلت: بلى، قال: «أترى أن الله هو الذي أوقع في قلوبهم معرفة هؤلاء، والله ما أوقع ذلك في قلوبهم إلا الشيطان، لا والله ما أهدى المؤمنين حقناً إلا الله تعالى»<sup>(٣)</sup>.

وفي هذه الرواية تأكيد على الترابط الوثيق بين الأصول الاعتقادية الواجبة، ومنها معرفة الإمام المهدي عليه السلام وضرورة تحصيلها باليقين، الذي يُراعى الترتيبية البنائية في الأخذ بها.

رابعاً: وجوب امتلاك عناصر التمييز علماً، والأخذ بالبصيرة والاستماع للحق سلوكاً في أتباع الإمام المعصوم عليه السلام بوصفه الهادي للحق والأحق

١. الوجه الصحيح: هو كون الإمامة منصباً إلهياً يحتاج إلى تعيينه، تعالى، ونصبه، لا أنها من الفروع المتعلقة بأفعال المكلفين.

٢. كفاية الأصول، الآخوند الشيخ الخراساني: ص ٣٢٩ - ٣٣٠، ط ٢، ١٤١٢ هـ، بيروت.

٣. الكافي، الكليني: ج ١، ص ١٨٠، ط ٣، طهران.



بالإتباع من غيره، أو مِمَّنْ ﴿لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ﴾ (يونس: ٣٥)، وقد شدّد القرآن الكريم على هذه الحقيقة الاعتقادية، واللازم توفرها في نبويّة الإنسان المؤمن، وبَيّن ذلك في تأسيسه لمصحّحات الإِتباع بشكل عام كالعلم والبصيرة والاستماع بوجهتي المبدأ والمنتهى في الحراك الإنساني بين التابع والمتبوع، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُورًا﴾ (الإسراء: ٣٦)، إذ إنَّ العلم هو مناط حراك الإنسان وشرط تكليفه، فيه يستبصر الأشياء ويطلبها أو يتجنّبها، وعنه تصدر الخيارات الأخرى، ومن حيث البصيرة فقد جعل القرآن الكريم مُصحح ومفهوم البصيرة مُقوماً نبويّاً في حراك الإنسان العالم، وذلك استزادة في قيام الحجّة الواضحة والبيّنة، ودفعاً للشك والريبة بعد حدوث العلم وبقائه، كما في قوله تعالى المؤسّس لهذا المصحح القرآني السديد: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف: ١٠٨).  
 وأمّا بالنسبة لمُصحح الاستماع، والذي يعني الإصغاء بتدبّر وتعقّل، وتلقي واعِي، فقد عبّر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أذُنٌ وَأَعْيَةٌ﴾ (الحاقة: ١٢)، وفي قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: ١٧-١٨).

إنَّ القرآن الكريم قد اشترط على المُعتقِد أن يأخذ بعناصر ومُقومات الحراك الصحيح، ومن أهمّها التمييز علماً والأخذ بالحقّ اتّباعاً، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ﴾ (يونس: ٣٥).  
 وهنا وبحكم إيماننا واعتقادنا بأنَّ الإمام المعصوم هو الهادي المنسوب إلهيًّا، وأنَّ مصداقه الحقّ هو الإمام المهدي ﷺ ينبغي بنا أن نعرّف مفهوم الهدى، والذي يُقال لمعنيين، هما:



**الأوّل:** (نصب الدلالة على الحقّ، وتبينه والتعريف به والإرشاد إليه. فالهْدَى: هو الرّشاد والدلالة، يُؤنّث ويذكّر، يُقال: هداهُ اللهُ للدينِ هُدًى. وقوله تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ (السجدة: ٢٦)، أي: أو لم يبيّن لهم، وهديتهُ الطّريقَ والبيّتَ هدايةً، أي عرّفته، هذه لغّة أهل الحجاز<sup>(١)</sup>.  
الثاني: فِعْلُ الهُدَى في الإنسان حتّى يعتقد الشيءَ على ما هو به، وهو ما يُسمّى بـ(الاهتداء الفطري).

وهذان المعنيان، يُدبّرهما اللهُ تعالى ويُقدّرهما في خلقه، ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (طه: ٥٠)، وفي شأن ذلك ذكرَ الفخر الرازي أنّ: (العقول مُضطربةٌ والحقُّ صعبٌ، والأفكار مختلطةٌ، ولم يسلم من الغلط إلا الأقلّون، فوجب أن الهداية وإدراك الحق لا يكون إلا بإعانة الله ﷻ وهدايته وإرشاده)<sup>(٢)</sup>.

وهو ما يعني أن مفاد قوله تعالى: ﴿قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ (يونس: ٣٥) هو (أنّ الله تعالى قد نصب الدلالة على الحقّ، وفعل الهداية الضرورية في العقلاء)<sup>(٣)</sup>. وبهذا يتبيّن أن مفهوم الهداية إمّا أن يكون بمعنى نصب الدلالة الموصلة إلى المطلوب، يُقال: هديتُ الأعمى، أي أوصلته إلى مقصده، وهذا المعنى يستلزم الوصول إلى المطلوب، أو أنّ الهداية هي إراءة وكشف الطريق الموصّل إلى المطلوب وحسب، كأن يصف له الطريق دون أن يستلزم ذلك الوصول إلى المطلوب والمقصد، وبعد أن يتكفّل الله تعالى أمر الهداية إراءةً وفِعلاً، يجعل لها مُصححات الإتياع بوجهة الحقّ، ذلك لأنّ الحقّ هو مفهوم ثابتٌ وعمّ، ومقياسٌ مُطلقٌ يشملُ ويزن كلَّ شيءٍ، قال تعالى: ﴿وَالْوِزْنَ يُؤمِّدُ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٤)</sup> وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ

١. صحاح اللغة، الجوهري، مادة هُدَى.

٢. تفسير الرازي، فخر الدين الرازي: ج ١٧، ص ٩٠.

٣. كشف المراد في تجريد الاعتقاد، العلامة الحليّ: ص ٤٣٦، ط ١٥، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿الاعراف: ٨-٩﴾.

ووزان الحق هو وزان تكويني وتشريعي، قامت به السماوات والأرض، ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (النحل: ٣)، ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الإسراء: ١٠٥).

وقد جعله الله تعالى قسطاً مستقيماً، تحقيقاً للعدل، ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ (الشعراء: ١٨٢)، مما يقتضي ذلك من الإنسان أن يكون على قدر عقلي وإيماني وسلوكي مكين، يستطيع معه من أن يأخذ وجهة الحق هدايةً وخيرةً في كل شيء، ويدور مع الحق حيثما دار، وجوداً وعدماً، فأرشدت للوجود في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾ (يونس: ٣٥)، والعدم في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (يونس: ٣٥).

وكذلك قد أرشد ونص رسول الله ﷺ في حق الإمام علي عليه السلام حيث قال: «عَلِيُّ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ يَدُورُ حَيْثَمَا دَارَ»<sup>(١)</sup>، بياناً منه وتقريراً لحقيقة الأخذ بوجهة الحق، عقيدة وهداية، وهو ما يعني أن للحق تمثلاً بفردي، يجدر بنا معرفته قبل معرفة غيره، حتى يتبين لنا أفقه في أنفسنا لهداية الإراءة وصولاً للمطلوب فعلاً، وحين يختار الإنسان وجهة ما في الاتباع، فمن الواجب عليه أن يُراعي وصف الهداية ووزانها في الحق حملاً وواقعاً ثم يتبع، لأن من لا يتوفر فيه وصف الهداية مطلقاً، يكون فاقداً للقدرة على الإراءة للحق من أول الأمر، أو الإيصال إلى آخره.

وهنا نذكر بياناً قيماً للعلامة الحلي في كتابه الشهير (الألفين) يتعلّق بالمرتكزين العقدي والعقلي في تنصيب الإمام الرباني الجعل والغرض وضرورة الأخذ بالحق اعتقاداً واتباعاً، ونصّه: (الإمام هو هادٍ، يجب أتباعه، وكل من كان كذلك لا يحتاج إلى هادٍ، فالإمام لا يحتاج إلى هادٍ، أمّا الصغرى فلما تقدّم، في قوله تعالى:

١. الفصول المختارة، المفيد: ص ٢١١، ط ٢، بيروت.



﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (الرعد: ٧)، وأمّا الكُبرى فلقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَى﴾، فإذا ثبت أنّ الإمام هادٍ، لا يَهْدِي امتنع عليه الخطأ، فثبت المطلوب... والإمام هادٍ لا يَهْدِي أحدٌ في زمنٍ وجوب اتّباعه، وهو زمانُ إمامته، وكُلُّ مَنْ كان كذلك، فهو يعلم الأحكامَ يقيناً، ويمتنع منه فعل القبيح، والإخلال بالواجب<sup>(١)</sup>.

ويتحصّل من كلام العلامة الحلي رحمته الله: أنّ الإمام المعصوم هو مَنْ يهدي للحقّ إرشاداً وإيصالاً، وحقيقٌ بالاتباع، قولاً وفِعلاً وتقريراً، لما ثبت عندنا من حُجّية سُنّة المعصوم مُطلقاً، وقد بيّن العلامة السيّد محمد حسين الطباطبائي، صاحب تفسير الميزان الشهير دليل وجوب اتّباع الحقّ اعتقاداً وسلوكاً والهادي إليه، فقال: (إنّ من المُركز في الفطرة الإنسانية، وبه يحكم العقل أنّ من الواجب على الإنسان أن يتبع الحقّ، حتى أنّه إن انحرف في شيءٍ من أعماله عن الحقّ واتّبع غيره لغلطٍ أو شبهةٍ أو هوى، فإنما اتّبعه لحسابه إيّاه حقّاً والتباس الأمر عليه، ولذا يعتذر عنه بما يحسبه حقّاً، فالحقّ واجب الاتّباع على الإطلاق، ومن غير قيدٍ أو شرطٍ، والهادي إلى الحقّ واجب اتّباعه لما عنده من الحقّ، ومن الواجب ترجيحه على مَنْ لا يهدي إليه أو يهدي إلى غيره، لأنّ اتّباع الهادي إلى الحقّ اتّباعٌ لنفسِ الحقّ، الذي معه وجوبُ اتّباعه ضروري)<sup>(٢)</sup>.

الجهة الثانية: لزوم إدراك الترابط العقدي والتكويني بين وجود الله تعالى وتوحيده وعدله ونصبه للأئمة المعصومين عليهم السلام:

وتفصيل هذا المطلب يقع في أمورٍ مهمّة جدّاً للوقوف على حقيقة هذا الترابط المكين، دون تفكيك وتجزئة في الإيمان أو الإنكار، ومن المعلوم بدهاءة أنّ الله تبارك وتعالى موجودٌ وحيٌّ وباقٍ وواحدٌ وعادلٌ وحكيم وعالمٌ، ولا

١. الألفين، العلامة الحلي: ص ٢٩٧-٢٩٨، الكويت ١٤٠٥ هـ.

٢. الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي: ج ١١، ص ٦١، ط، قم.

يفعل القبيح، ولا يخل بالواجب، وأفعاله سبحانه مُعلّلة بالأغراض العائدة إلى عباده وخلقه، ومن العبث والقبيح أن يترك الخالق خلقه دون أن يبعث إليهم الأنبياء والرسل وينصب لهم الحُجَج من الأئمة المعصومين عليهم السلام وهذا الثابت الاعتقادي الأصيل عقلاً ونقلاً يتمثل بحُسن البعثة ووجوبها ووجوب نصب وتعيين الأئمة نصّاً، وهو ما أكّده علماء الكلام، حيث (ذهبت الإمامية ومن وافقهم من المعتزلة، إلى أن الله تعالى لا يفعل القبيح، ولا يخل بالواجب، بل جميع أفعاله تعالى حكمة وصواب، ليس فيها ظلم، ولا جور، ولا عدوان، ولا كذب، ولا فاحشة، لأن الله تعالى غني عن القبيح، وعالم بقبح القبيح، لأنّه عالم بكلّ المعلومات وعالم بغناه عنه، وكل من كان كذلك فإنّه يستحيل عليه صدور القبيح عنه، والضرورة قاضيةً بذلك أن الله تعالى إنما يفعل لغرض، وحكمة، وفائدة، ومصلحة ترجع إلى المُكلّفين، ونفع يصل إليهم)<sup>(١)</sup>.

الأمر الأوّل: ويرتبط بضرورة إدراك حُسن البعثة ووجوب نصب الأئمة عليهم السلام عقلاً، ومعرفة فوائدها واقعاً، لكونها الوسطة البشرية المعصومة التي تصل الإنسان بخالقه وربّه تكليفاً وسبيلاً، ممّا تجعله يجني فوائد عظيمة، ومن هذه الفوائد والمصالح الفعلية ما يلي:

١ - تحقيق تعاضد العقل النظري<sup>(٢)</sup>، والذي يدرك وجود الله تعالى وتوحيده وقدرته وعلمه وعدله وحكمته على نحو الاستقلال والحُكم والبرهان، مع ما تقدّمه البعثة من أدلّة وحيائيّة وقرآنية ومعجزات تُفيد في تكميل وتطمين النفس الإنسانية في حراكها الاعتقادي وبيان مسائل الأصول الاعتقادية تفصيلاً.

١. نهج الحق وكشف الصدق، العلامة الخليّ: ص ٨٥-٨٩، ط، قم.

٢. انظر: المعجم الأصولي، محمد صنقور، ج ٢، ص ٣٢٧.

(المراد من العقل النظري هو العقل المُدرَك للواقعيات التي ليس لها تأثير في مقام العمل إلا بتوسّط مقدمة أخرى، كإدراك العقل لوجود الله (جلّ وعلا)، فإنّ هذا الإدراك لا يستتبع أثراً عملياً دون توسّط مقدّمة أخرى كإدراك حقّ الموليّة وأنّ الله (جلّ وعلا) هو المولى الحقيقي بالطاعة، وحينئذٍ يكون إدراك العقل لوجود الله (جلّ وعلا) مستتبعاً لأثر عملي).



٢ - إنَّ ما لا يستقلُّ العقلُ بمعرفة حُسنه وقُبْحه من الأفعالِ والأُمور يُعرَفُ من خلال بعثة النبي ونصبِ الإمامِ المعصوم، ومعلومٌ إدراكاً أنَّ بعض الأفعالِ حسنة وبعضها قبيحة، ومع وجود البعثة الشريفة يحصل للإنسان التعرّف على معرفة الحسن والقبح اللذَّين لا يستقلُّ العقلُ بمعرفتهما دون الرجوع للشرع، وكذلك الحال بالنسبة للعقل فقد يدرك أنَّ بعض الأشياء نافعةٌ لنا، مثل كثير من الأغذية والأدوية وبعضها ضارٌّ لنا مثل السموم، ولكنّه لا يدرك منافع الأشياء وأضرارها كلّها فيحتاج إلى جهةٍ عليا مشرفةٍ على الحقائق والواقع تبلغه بها، وهي الجهة الباعثة للأنبياء والرسل والتي تنصب الأئمة تعييناً لتحقيق أغراضها ومقاصدها في إصلاح الإنسان وتسديده في هذه الحياة وإيصاله للمطلوب.

٣ - إنَّ من فوائد البعثة ونصبِ الإمامِ المعصوم نصّاً وعقلاً هو التعرّف على كَيْفِيَّة الارتباطِ بالخالق والإله الواحد عبادةً، فالعقل لوحده لا يمكن له أن يستقل بمعرفة كَيْفِيَّات العبادات الشرعيّة ولا يهتدي إليها ما لم يأخذها من الشرع نفسه، فضلاً عن عجزه عن معرفة كَيْفِيَّة شكر المنعم الحقيقي.

٤ - إنَّ الله تعالى قد خلق الإنسان وجعله نوعاً مُميّزاً ومُكرّماً في هذه الحياة، لا كغيره من الحيوانات، بل رفع سنخَ التعايش الطبيعي البشري وجعل له نظاماً تاماً وكاملاً يتكفّل بترتيب أولوياته وإشباع حاجاته، ومن خلال المشاركة والتعاون مع بقية أفراد نوعه، ولكن وبحكم القوى الموجودة في طبيعته الخلقية يحصل التمداد والتجاذب والتنافر المضاد لحكمة الاجتماع الإنساني وأغراضه، فلا بُدَّ من معصوم يوجّههم للاجتماع النافع والصالح القائم على أسس البر والتقوى والخير، ووفق ضوابط يقرّها ينبغي أتباعها لزاماً لتحقيق الاستقرار وحفظ النفس والمصالح والتكامل وصولاً للغايات الشريفة، وهذا ما يمكن تحصيله من حكمة البعثة ونصب الأئمة المعصومين عليهم السلام.

٥ - إنَّ أشخاص البشر متفاوتة في إدراك الكمالات النفسية والتربوية وتحصيل المعارف الضرورية واقتناء الفضائل الأخلاقية اللازمة، وبعض أفراد الإنسان قد يكون مستغنياً عمَّن يُعِينه على ذلك لقوَّة نفسه وكمال إدراكه وشدَّة استعداده للاتصال بالأمور العالية، ولكن بعضهم عاجزٌ عن ذلك بالكلية، وبعضهم متوسِّط الحال، وتتفاوت مراتب الكمال في هذه المرتبة بحسب قربها من أحدِ الطرفين وبعدها عن الآخر، وفائدة النبي المبعوث أو الإمام المعصوم المنصوب هي تكميل الناقص من أشخاص النوع الإنساني وبحسب استعداداتهم المختلفة في الزيادة والنقصان، وفي القابليات، وفي التلقّي قدرةً، وفي الاستقامة سلوكاً.

٦ - في البُعد الأخلاقي والتربوي يحتاج طبيعي الإنسان، - أفراداً واجتماعاً - إلى مُكْمَل وموجِّه ومُرشد، وذلك بحكم تفاوت الناس في مراتبهم الأخلاقية، فتمسُّ الحاجةُ إلى مَنْ يُعلِّمهم ويزكّيهم في حَرَكَ الأخلاق والسياسات والتدبير بحيث تنتظم أمور الإنسان في مجتمعه وبلده ومنزله، هذا فضلاً عن أنَّ الأنبياء المبعوثين والأئمة المنصوبين المعصومين عليهم السلام يعرفون الأغراض والأهداف التي خُلِق من أجلها الإنسان، وسبب الوصول إليها بالعمل الصالح والطاعة وامتنال التكاليف الواجبة، ممَّا يُحقِّق ذلك اللطف بالعباد، وذلك بيانهم للمصالح والثواب والعقاب حرصاً منهم عليهم.

٧ - ولقائل أن يقول: كما قالت البراهمة<sup>(١)</sup> قديماً بعدم حُسن البعثة وانتفائها وعدم الحاجة إليها، بأنَّ النبي إمَّا أن يأتي بما يوافق العقول أو بما يُخالفها، فإن جاء بما يوافق العقول لم يكن به حاجةٌ، ولا فائدة فيه، وإن جاء بما يُخالف العقول وجب ردُّ قوله.

وواقعاً هذه شبهة قديمة جديدة تُثار اليوم من أتباع المنهج العقلي الصرف، والذي يؤمن بنظرية حذف دور الشرع في تفكير الإنسان أو التدخل في توجيهه،

١. هم فرقة من مشركي الهند في قديم الأيام.



وهي شبهة ومقولة باطلة، كما تقدّم آنفاً من فوائد عظيمة للبعثة ونصب الأئمة عليهم السلام في تعضيد وتأكيّد دور العقل القويم وإدراكه في الأمور والمسائل التي يعجز عن فهمها أو معرفتها أو الحكم فيها، أو حتّى إن جاء الشرع بما يوافق العقول فتبقى الحاجة قائمة من باب التأكيد لدليل العقل المستقل وإضفاء الشرعية عليه، زيادةً وتقريراً، أو قد يجيء الشرع بما لا تقتضيه العقول إدراكاً، ولا تهدي إليه سبيلاً، وإن لم يكن مخالفاً لها، ممّا يدفع ذلك إلى أن تقرّ العقول بعجزها إجمالاً، كما هو الحال في تشريع العبادات، والتي لا يهتدي العقل إلى تفصيلها أو حتّى معرفة أغراضها.

**الأمر الثاني:** بعد أن تقررت هذه الفوائد العظيمة للبعثة ووجوب نصب الأئمة المعصومين عليهم السلام فيما تقدّم، ينبغي أن يدرك العقل أنّ البعثة واجبة، وكذا نصب الإمام واجب عقلاً، لأنّها تشتمل على اللطف في التكليف العقلي، ومنه معرفة واجب الوجود (الله تبارك وتعالى)، والبعثة شرط في التكليف السمعي (العبادات)، وكل ما كان كذلك فهو واجب عقلاً، وأمّا وجه كون البعثة أو نصب الإمام لطفاً في التكليف العقليّة، فلأنّ العبادات المتلقاة من النبي والمواظبة عليها هي باعثة على معرفة المعبود - واجب الوجود - الواجبة عقلاً، فتكون البعثة بذلك واجبةً ولطفاً محققاً وواقعاً، وكذلك الحال بالنسبة للشوَاب والعقاب وتفاصيلهما، فهي لا تُعلم إلا من جهة البعثة، وقد أكّد علماء الكلام وطبقاً للقاعدة المعروفة عندهم (أنّ التكليف السمعيّة أُلطف في التكليف العقليّة) على أنّ الإنسان إذا كان مواظباً على امتثال الواجبات السمعية وترك المناهي الشرعية كان من فعل الواجبات العقلية والانتها عن المناهي العقلية أقرب، وهذا معلوم بالضرورة لكلّ عاقل<sup>(١)</sup>.

١. انظر:

- ١ - كشف المراد في تجريد الاعتقاد، العلامة الحليّ: ص ٤٦٨-٤٧١، ط ١٥، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.
- ٢ - اللوامع الإلهية في المباحث الكلامية، المقداد الأسدي السيوري الحليّ: ص ٢٤٠-٢٤١، طبعة منقحة.

الأمر الثالث: إنَّ ممَّا ينبغي بالعقل النظري القويم إدراكه أنَّ وجوب البعثة عامٌّ في كلِّ وقت، وبحسب ما ورد في قواعد علم الكلام الإسلامي بأنَّ: (دليل وجوب البعثة عقلاً يُعطي العموميَّة)، (وقال الإمامية: إنَّه تجب البعثة في كلِّ وقت، بحيث لا يجوز خلو زمان من شرع نبيٍّ - واستدلَّ المصنّف المحقّق الطوسي رحمته الله على وجوب البعثة في كلِّ وقت بأنَّ دليل الوجوب يُعطي العموميَّة، أي أنَّ دليل وجوب البعثة يعطي عمومية الوجوب في كلِّ وقت، لأنَّ في بعثته زجراً عن القبائح وحثاً على الطاعة فتكون - البعثة - لطفاً، ولأنَّ فيه تنبيه الغافل وإزالة الاختلاف ودفع الهرج والمرج، وكلُّ ذلك من المصالح الواجبة، التي لا تتم إلا بالبعثة فتكون واجبةً في كلِّ وقت)<sup>(١)</sup>.

وبوحدة الملاك والجعل في وجوب نصب الإمام على الله تعالى عقلاً، - وتقرّرها باللطف الإلهي - إلى وجوب وجود إمام في كلِّ زمان، وأن لا تخلو الأرض من حجةٍ لما يتوقّف عليه حفظ نظام اجتماع النوع الإنساني بالزجر عن القبائح ومنع التنازع، وربطهم بالشرع الحكيم، سواء أكان الإمام ظاهراً أو مغموراً، فالتكليف العقدي باقٍ على وجوبه العقلي وبعمومه، وقد صرح بذلك الشيخ الطوسي رحمته الله في بعض كتبه الاعتقادية، حيث ذكر ما نصّه:

(وإنما يجب على الله تعالى خَلْقُ الإمام وإيجابه علينا طاعته، ليتمكّن من التصرف - بالأمر والنهي والتأديب -، فإذا لم يمكنه لم يجب سقوط التكليف عنا، لأننا نكون أتينا من قبل نفوسنا، فإذا ثبتت هذه الجملة فلا يلزم إذا كان الإمام غائباً أن يسقط التكليف عنا، لأننا أتينا من قبل نفوسنا، بأن أخفناه وأحوجناه إلى الاستتار، ولو أطعناه ومكّناه لظهر وتصرف فحصل اللطف... وأولياء الإمام ومن يعتقد طاعته فاللطف بمكانه حاصلٌ لهم في كلِّ وقتٍ عند كثير من أصحابنا، لأنهم يرتدعون بوجوده من كثير من القبائح، ولأنهم لا يأمنون كلَّ ساعةٍ من ظهوره وتمكينه، فيخافون تأديبه، كما يخافونه وإن لم يكن

١. كشف المراد في تجريد الاعتقاد، العلامة الحلي: ص ٤٧٩، ط ١٥، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.



معهم في بلدهم، بينهم وبينه بُعد، بل ربما كانت الغيبة أبلغ، لأنَّ معها يجوز أن يكون حاضرًا فيهم، مُشاهدًا لهم وإن لم يعرفوه بعينه<sup>(١)</sup>.

**الأمر الرابع:** بعد تقرّر وجوب البعثة في كلِّ وقتٍ يجب وجود شريعة لها بحكم لطف الله تعالى بعباده وعنايته، وهذه الشريعة تكون المرجع الشرعي الكليّ اليقيني في توجيه حياة الإنسان خاصةً وعمامةً، بما يكفل له استقراره وأمنه وحقوقه ومصيره، وبعد ختم النبوة الشريفة لأبدها من حافظٍ معصوم منصوب يتمكّن من إجرائها وجوداً، لأنَّ الشريعة الإلهية لا يمكن عقلاً تفويضها إلى أشخاص النوع الإنساني كيف ما كان، دون ضوابط وشروط واقعية واعتبارية، وأنّه بإهمال حفظها - وهو أمر غير معقول وغير مقبول في العادة والتاريخ - يقع النزاع بينهم في كيفية وضعها وتطبيقها ممّا لا يُحقّق الغرض المطلوب منها، فيجبُ عقلاً أن توكل إلى جهة مأمونة منصوبة منصوبة عيناً، وهي جهة المعصوم الحافظ لها والمشرف عليها<sup>(٢)</sup>.

**الجهة الثالثة: مقتضيات الوقوع في الشبهات...**

**معنى الشبهة:**

إنَّ الشبهة هي الالتباس والخلط في الأمور بغيرها<sup>(٣)</sup>، كالتباس الحقّ بالباطل ومزج الباطل بالحقّ، و(الشبهة ما امتزج من الحقّ والباطل وألبس المجموعُ بصورة الحقّ، ولذلك سُمِّي شبهة لاشتباهه بالحقّ، وأمّا الباطل الصرف الذي لا يكون معه شيءٌ من الحقّ فليس بشبهة، إذ لا يخفى على العاقل وجه فساده)<sup>(٤)</sup>، وكما قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٤٢)، وهي غالباً ما تحدث بسبب الجهل

١. الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد، الطوسي: ص ١٨٦-١٨٥، قم، ١٤٠٠ هـ.

٢. انظر: اللوامع الإلهية في المباحث الكلامية، المقداد الأسدي السيوري الحليّ: ص ٢٤٢-، طبعة منقحة.

٣. لسان العرب، ابن منظور، مادة شبه.

٤. شرح أصول الكافي، المازندراني: ج ١٠، ص ٥٠٢، بيروت، ١٤٢١ هـ.

وآتباع الهوى والشيطان وابتداع الأحكام بما يخالف فيها كتاب الله، وقد بين هذا المعنى الإمام علي عليه السلام حيث قال: «إِنَّمَا بَدَأَ وَقُوعَ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تَتَّبَعُ وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالاً عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يُخَفَ عَلَى الْمُتَرَادِينَ وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ السُّنُّ الْمُعَانِدِينَ وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِعْثٌ وَمِنْ هَذَا ضِعْثٌ فَيُمَزَجَانِ فَهَذَاكَ يَسْتَوِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى»<sup>(١)</sup>.

ومن المعلوم عقلاً أن لكل معلول علّة، على مستوى الوجود التكويني أو على مستوى الوجود الاعتباري، وأسباب ومقتضيات الوقوع في الاعتقادات الفاسدة والباطلة أو الشبهات الدينية هي من هذا الباب، بمعنى أن لها عللاً، ودوافعاً معلومة، ويمكن الوقوف عليها بالتبويب العقلي والمنطقي التالي:

أولاً: (الجهل): بقسميه البسيط والمركب، وهو عدم العلم ونقيضه، بمن له الاستعداد للعلم والتمكّن منه، فالجهل البسيط: (هو عدم الاعتقاد بشيء، لا اعتقاداً صالحاً ولا اعتقاداً فاسداً، ويُقال له: الغباوة - والجهل المركب - هو الاعتقاد بشيء اعتقاداً فاسداً، ويُقال له: الغي والغواية والضلالة، وهذا أشدّ من الأوّل - الجهل البسيط -؛ لأنه من الأمراض المهلكة للحياة القلبية والأسقام المبطلّة للحقيقة الإنسانية؛ إذ المتّصف به لا علم له، مع ادّعاءه أن ذلك الاعتقاد الفاسد علمٌ مطابق للواقع، وإعجابه به لتسويات شيطانية وتخيلات نفسانية وتمويهات وهميّة، فيمنعه ذلك عن الرجوع إلى الحق، وهو من شرار الناس، رماه إبليس إلى غاية مقاصده بقول الزور، وحده إلى سبيل المهالك وأودية الشرور)<sup>(٢)</sup>.

وأيضاً قد وضح الشيخ المظفر رحمته الله بيان مفهوم الجهل وبين قسميه وذكر

١. نهج البلاغة، ت، د، صبحي الصالح: ص ٨٨، ط١، بيروت، ١٣٨٧ هـ.

٢. شرح أصول الكافي، المازندراني: ج٢، ص ٤٠، بيروت، ١٤٢١ هـ.



أنَّ: (الجهل البسيط: هو أن يجهل الإنسان شيئاً، وهو ملتفتٌ إلى جهله، فيعلم أنه لا يعلم، كجهلنا بوجود السكان في المريخ، فإننا نجهل ذلك ونعلم بجهلنا، فليس لنا إلا جهل واحد، والجهل المركب: هو أن يجهل شيئاً، وهو غير ملتفت إلى أنه جاهل به، بل يعتقد أنه من أهل العلم به، فلا يعلم أنه لا يعلم، كأهل الاعتقادات الفاسدة، الذين يحسبون أنهم عالمون بالحقائق، وهم جاهلون بها في الواقع، ويسمون هذا مُركباً، لأنه يتركب من جهلين: الجهل بالواقع والجهل بهذا الجهل، وهو أقبح وأهجن القسمين، ويختص هذا في مورد التصديق، لأنه لا يكون إلا مع الاعتقاد<sup>(١)</sup>.

إذن يثبت أن الجهل بقسميه، وبحسب مفهومه ودلالته اصطلاحاً يكون سبباً للوقوع في الشبهات أو الخوض فيها، وخاصة في ما يتعلق بالأصول الاعتقادية ومسائلها التفصيلية، ويكون مانعاً من قبول الحق والهداية، قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ (الزمر: ٦٤)، حيث وصف القرآن الكريم مَنْ لا يؤمن بالأصل الاعتقادي الحقّ ويُخالفه بالجاهل، سواء أكان عن شبهةٍ أو غيرها من تكذيب أو استكبار، وكذلك أكّد أمير المؤمنين علي عليه السلام وحدّر من الجهل في باب الاعتقادات الحقّة، والتي تُوجب عدم العذر فيها فقال: «عَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ مَنْ لَا تُعْذَرُونَ بِجَهَالَتِهِ»<sup>(٢)</sup>، ويعني عليه السلام بطاعة الله تعالى والرسول والأئمة المنصوبين المعصومين عليه السلام، فإنّ الناس لا يُعذرون بجهالة هؤلاء، ولا يُقبل لهم عذرٌ، لأنّ الإمام منصوبٌ ومعصومٌ في اعتقادنا الحقّ وواجب الطاعة، فلا يُعذر أحدٌ من المُكلّفين في الجهل بوجوب طاعته ومعرفته.

وقد روى الشيخ الثقة الصدوق (حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق عليه السلام) قال: حدثني أبو علي بن همام قال: سمعت محمد بن عثمان العمري (قدس

١. المنطق، الشيخ محمد رضا المظفر: ج ١، ص ١٧، ط ١٢، قم، ١٤١٥ هـ.

٢. نهج البلاغة، ت، د، صبحي الصالح: ص ٤٩٩، ط، بيروت، ١٣٨٧ هـ.

الله (روحه) يقول: سمعت أبي يقول: سئل أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام وأنا عنده عن الخبر، الذي روي عن آبائه عليهم السلام: أن الأرض لا تخلو من حجة الله على خلقه إلى يوم القيامة وأن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، فقال عليه السلام: «إن هذا حق كما أن النهار حق»، فقيل له: يا بن رسول الله فمن الحجة والإمام بعدك؟ فقال: «ابني محمد، هو الإمام والحجة بعدي، من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية، أما إن له غيبة يحار فيها الجاهلون، ويهلك فيها المبطلون، ويكذب فيها الوقتون، ثم يخرج فكأنني أنظر إلى الأعلام البيض تحفق فوق رأسه بنجف الكوفة»<sup>(١)</sup>.

وينبغي بالإنسان أن يتعقل، ويقبل الاعتقادات الحقّة، ويؤمن بها عن علم، لأن جهله بها لا يجعله معذوراً فيما بلغه وأنذره به، وقد ورد هذا المعنى المهمّ جداً في كتاب الاحتجاج (عن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري أنه قال: خرج توقيع من الناحية المقدّسة، حرسها الله تعالى، بعد المسائل:

«بسم الله الرحمن الرحيم، لا لأمره تعقلون، ولا من أوليائه تقبلون، حكمة بالغة، فما تغن النذر عن قوم لا يؤمنون»<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: (الشك): يُعرّف الشك لغةً بأنّه نقيض اليقين، فيقال لقد شككتُ في كذا وكذا، وجمعه شكوك<sup>(٣)</sup>، والشك بالأمر أي التردد فيه، والارتياب وعدم حصول اليقين، ويأتي الشك بمعنى احتمال الوقوع واحتمال العدم<sup>(٤)</sup>، وهو ليس من أقسام التصديق، بل هو من أقسام الجهل.

وبهذا المعنى المتقدّم لمفهوم الشك يكون سبباً لوقوع الإنسان في الشبهات، بل لوقوعه في الكفر بالاعتقادات الحقّة، ممّا يهلك في نفسه، وفي إيمانه، وفي

١. كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق: ص ٤٠٩، ط، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة - إيران، ١٤٠٥ هـ.

٢. الاحتجاج، الطبرسي: ج ٢، ص ٣١٦، ط، النجف الأشرف، ١٣٨٦ هـ.

٣. لسان العرب، ابن منظور: مادة شكّ.

٤. المنطق، الشيخ محمد رضا المظفر: ج ١، ص ١٦، ط، قم، ١٤٢٥ هـ.



دينه، وقد حذّر القرآن الكريم من خطورة الشك، وبين آثاره المدمّرة على كافة أصول الاعتقادات الدينية، سواء في الله تعالى أو في رسله، أو في الآخرة والحساب، أو في إمامة الأئمة المعصومين، ونصبهم الحق، أو شك في غيبة الإمام المهدي عليه السلام وحتميّة ظهوره الشريف، أو غير ذلك.

قال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٨) ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾، (الدخان: ٨-٩)، ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ (١) ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَلِئِنَّ اللَّهَ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (إبراهيم: ٩-١٠)، ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾، (هود: ٦٢)، ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ عَنْ مَوْنٍ﴾ (النمل: ٦٦).

وإنّ أحد مقتضيات الوقوع في الشبهات العقائدية المعاصرة هو الشك في أصل وجود الإمام المعصوم المنصوب، وبقائه حيّاً إلى آخر زمان تكليفه، كما هو الحال مع إمام الزمان الإمام المهدي عليه السلام ففي رواية عن الإمام محمد الجواد عليه السلام يسأله أحد أصحابه (قُلْتُ لَهُ: يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ وَلَمْ يُسَمِّي الْقَائِمَ؟ قَالَ: «لَأَنَّهُ يَقُومُ بَعْدَ مَوْتِ ذِكْرِهِ، وَارْتِدَادِ أَكْثَرِ الْقَائِلِينَ بِإِمَامَتِهِ»، فَقُلْتُ لَهُ: وَلَمْ يُسَمِّي الْمُنْتَظَرَ؟ قَالَ: «لَأَنَّ لَهُ غَيْبَةً تَكْثُرُ أَيَامُهَا وَيَطُولُ أَمْدُهَا، فَيَنْتَظَرُ خُرُوجَهُ الْمَخْلُصُونَ، وَيَنْكُرُهُ الْمُرْتَابُونَ - أَيِ الشَّكَّاكُونَ -، وَيَسْتَهْزِئُ بِذِكْرِهِ الْجَاهِلُونَ وَيَكْثُرُ فِيهَا الْوَقَّاتُونَ، وَيَهْلِكُ فِيهَا الْمُسْتَعْجِلُونَ، وَيَنْجُو فِيهَا الْمُسْلِمُونَ»<sup>(١)</sup>.

وقد نبّه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى أنّ الشك كُفْرٌ، ومُهْلِكٌ لصاحبه

في نفسه، وفي دينه، وركّز على علاجه بضرورة لزوم اليقين، وتجنّب الشكّ وتركه، فروي عنه أنّه قال: «أهلك شيء الشكّ والارتياب، أملك شيء الورع والاجتناب - عليك بلزوم اليقين وتجنّب الشكّ، فليس للمرء شيء أهلك لدينه من غلبة الشكّ على يقينه - شرّ القلوب الشاك في إيمانه - الشكّ كفر»<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: (عدم الاستيعاب): عدم استيعاب وفهم بعض المسائل العقائدية المندرجة تحت الأصل الجامع لها، من ضرورة التصديق بها، وعدم إنكارها، كما في قضية أصل الإيمان بوجود الإمام المهدي ﷺ وغيبته، وما يتعلّق به اعتقاداً وانتظاراً وتمهيداً، ووقوع الشكّ في إمكان طول عمره مثلاً، أو حتمية ظهوره وقيامه بالحقّ، وانتشار دعاوى الحركات الضّالة، التي تتقمّص أدوار العقيدة المهدويّة بصور مختلفة، والتأثر بالحرب الفكرية المعاصرة المضادة المعادية للاعتقادات الحقّة، والتي تستهدف الأتباع بإثارة الشبهات في عقولهم للتأثير على إيمانهم وزعزعته من أصله، فهذه الإشكاليات تستدعي من الإنسان المؤمن أن يتسلّح بالعلم والإيمان الراسخ وبالبرهان واليقين والثبات والصبر وعدم الرضوخ للضغوط الإعلامية، فالواقع الاعتقادي لا يتبدّل عمّا هو عليه، من حيث الوصف والظاهر، وإن أنكره من أنكر، وإن كفر به من كفر، فالوصول إلى المطلوب من قريب أو من بعيد يحتاج إلى تقرير يقيني وثبوتي في العقول والنفوس لما نعتقد به، وعدم شكّ بما آمنّا به أولاً، وهذا المعنى قد عاجله الأئمة المعصومون عليهم السلام فيما يخصّ معرفة الإمام المهدي ﷺ وانتظاره والتعاطي معه اعتقاداً ومنهجاً وطريقاً (عن عمر بن أبان قال: سمعتُ أبا عبد الله الإمام جعفر الصادق عليه السلام يقول: «إعرف العلامة، فإذا عرفته لم يضرك، تقدّم هذا الأمر أو تأخر، إن الله ﷻ يقول: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]، فمن عرف إمامه كان كمن كان في فسطاط المنتظر ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

١. ميزان الحكمة، الريشهري: ج ٢، ص ١٤٩٨، نشر، دار الحديث، ط ١.

٢. الكافي، الكليني: ج ١، ص ٣٧٢، ط ٣، دار الكتب الإسلامية، ١٣٨٨ هـ.



وإنَّ الذي يدفعُ رسوخَ الشُّبْهَةِ في ذهنِ الإنسانِ المُتلقِي لها هو نظْرُهُ وتفكيرُهُ في براهينِ الواقعِ وحوادثه المُتَشابهة، والتي تخضعُ لنفسِ السننِ والقوانينِ الوجوديةِ في هذه الحياة، ولذا قال الفلاسفةُ أنَّ الوقوعَ أدلُّ دليلٍ على الإمكانِ، بمعنى أنَّ ما يقعُ من تحقُّقِ حوادثٍ مُعَيَّنَةٍ هو بنفسه دليلٌ على عدمِ استحالتها، وكذلك ما يُثابرها من حيث الوصفِ والظرفِ والحُكْمِ، وهذا النظرُ والتفكيرُ يُقدِّمُ نتائجاً قويمَةً في حَرَكَ الإيْمَانِ وقراره في الذهنِ عندِ الإنسانِ، فمثلاً أنَّ في اعتقادنا، بل في اعتقاد جميعِ أتباعِ الدياناتِ السَّماويةِ من اليهودِ والنصارى، وفي كتبهم وشروحها، أنَّ النبيَّ نوحاً قد عمَّرَ طويلاً بما يُجاوِزُ الألفَ سنةً عندهم، وعندنا بما يُجاوِزُ الألفي سنة، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قضية تبليغه قومَه رسالته، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (العنكبوت: ١٤).

وأيضاً رُوِيَ ذلك المعنى عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «عَاشَ نُوحٌ عليه السلام الْفِي سَنَةٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، مِنْهَا ثَمَانِيَةٌ وَخَمْسِينَ سَنَةً قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ، وَالْفُ سَنَةٌ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا وَهُوَ فِي قَوْمِهِ يَدْعُوهُمْ، وَخَمْسِينَ عَامًا بَعْدَ مَا نَزَلَ مِنَ السَّفِينَةِ وَنَضَبَ الْمَاءَ، فَمَصَّرَ الْأَمْصَارَ وَأَسْكَنَ وَوَلَدَهُ الْبُلْدَانَ، ثُمَّ إِنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ جَاءَهُ وَهُوَ فِي الشَّمْسِ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ فَرَدَّ عَلَيْهِ نُوحٌ عليه السلام قَالَ: مَا جَاءَ بِكَ يَا مَلَكَ الْمَوْتِ؟ قَالَ: جِئْتُكَ لِأَقْبِضَ رُوحَكَ، قَالَ: دَعْنِي أَدْخُلْ مِنَ الشَّمْسِ إِلَى الظِّلِّ، فَقَالَ لَهُ: نَعَمْ، فَتَحَوَّلَ ثُمَّ قَالَ: يَا مَلَكَ الْمَوْتِ كُلُّ مَا مَرَّ بِِي مِنَ الدُّنْيَا مِثْلُ تَحْوِيلِي مِنَ الشَّمْسِ إِلَى الظِّلِّ فَاْمُضِ لِمَا أَمَرْتَ بِهِ، فَاقْبِضْ رُوحَهُ عليه السلام»<sup>(١)</sup>.

فهذه المعطيات الواقعية والقرآنية والروائية في شأن تعمير الإنسان، ووقوع ذلك بكثرة في غابر الأزمان، تُعزِّزُ إيماننا واعتقادنا بإمكانِ طولِ عمرِ الإمام

١. الكافي، الكليني: ج ٨، ص ٢٤٨، ط ٢، دار الكتب الإسلامية، طهران.

المهدي ﷺ ووقوعه، والذي لم يبلغ بعمره ما بلغه النبي نوح عليه السلام وهذه أولوية قطعية وعقلية في يقينية القبول بإمكان ذلك، وصحة وقوعه وتحققه في الخارج الموضوعي.

وعلى أساس ما تقدّم من بيان لمقتضيات الوقوع في الشبهات الدينية العقائدية والفكرية، والتي أولها الجهل، وثانيها الشك، وثالثها عدم فهم بعض المسائل العقدية المتعلقة بالقواعد والأصول الجامعة، تجدر الإشارة إلى أن هذه الأمور إنما يمكن دفعها بإيجاد الموانع المنهجية والعقدية عند الإنسان المؤمن والمتلقي والباحث، وذلك باتباع العلم واليقين والفهم القويم في التعاطي مع مسائل العقيدة المهديّة الحقّة أو أصولها المكيّنة، فالله تبارك وتعالى قد تعبّدنا وكلفنا شرعاً وعقلاً بشروط العلم والبيان والالتفات والوعي والإذعان، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٦).

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (القصص: ٥١)، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ١٠٤)، ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكَرَةً وَنَعِيهَا أذُنًا وَعَايَةً﴾ (الحاقة: ١٢).

إذن ينبغي إدراك أن العلم وضرورته عقلاً في أصول الاعتقاد هو المانع الأول من حصول الجهل المقتضي للوقوع في الشبهات والزيغ والضلالة، وذلك لأن العلم هو ما يُنَاطُ به الالتزام العقدي والقلبي والعقلي في أصول الدين، كما هو في الإيمان بوجود الله تبارك وتعالى والشهادة بتوحيده وعدله والإيمان بالنبوة والإمامة والمعاد، وهذا الالتزام العقدي والقلبي والعقلي هو واجب من باب وجوب شكر المنعم الحقيقي والواقعي، وهو الله تعالى الخالق والعاقل والهادي، فيجب على المكلف تحصيل العلم بذلك، وإذا لم يحصل العلم فكيف يتحقق الالتزام والإيمان والعمل؟



وكذلك في بقيّة التعاطي مع المسائل العقائدية المندرجة تحت الأصول الدينية، فيحتاج فيها الإنسان المؤمن إلى التصديق والإذعان، وعدم الشكّ أو الإنكار، وقد نبّه إلى ذلك السيّد الخوئي عليه السلام، في إجابته عن دور العقل في القضايا الاعتقادية وطريقه إليها فقال:

(الأصول الاعتقادية على قسمين: منها ما يجب معرفته عقلاً أو شرعاً كمعرفة الله تعالى ومعرفة أنبيائه وأوصيائه وأئمة معصومون، وأحكام الشرع عندهم، وتأويل القرآن وتفسيره لديهم، وأمّا سائر الخصوصيات الواردة فيكفي التصديق بها، ولا يجوز إنكار ما ورد في علمهم وسائر شؤونهم عليهم السلام حتى إذا لم يكن في البين رواية صحيحة، فضلاً عن وفور الرواية الصحيحة، والله العالم)<sup>(١)</sup>.

١. صراط النجاة، السيّد الخوئي: ج ٥، ص ٢٢٧.



**ALMAUOOD**

[www.m-mahdi.com/almauood](http://www.m-mahdi.com/almauood)

[almauood@m-mahdi.com](mailto:almauood@m-mahdi.com)

## المهدي المنتظر ﷺ حقيقة ثابتة

### شاء المرجفون أم أبوا

الشيخ خالد البغدادي

المهدي المنتظر ﷺ هو حقيقة ثابتة شاء المرجفون ذلك أم أبوا، فقد صدع بها الشيعة وأهل السنة في كتبهم.

قال ابن حجر في (فتح الباري): (تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة وأن عيسى يصلي خلفه)<sup>(١)</sup>.

وجاء عن ابن قيم الجوزية في كتابه (إغاثة اللهفان): (والأمم الثلاث تنتظر منتظراً يخرج في آخر الزمان، فإنهم وعدوا به في كل ملّة، والمسلمون ينتظرون نزول المسيح عيسى بن مريم من السماء لكسر الصليب، وقتل الخنزير، وقتل أعدائه من اليهود، وعبّاده من النصارى، وينتظرون خروج المهدي من أهل بيت النبوة، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً)<sup>(٢)</sup>.

وجاء عن ابن تيمية في كتابه (منهاج السنة النبوية): (إن الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي، أحاديث صحيحة، رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم)<sup>(٣)</sup>.

وصرح الشيخ الألباني في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) الجزء الرابع،

١. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ٦: ٤٩٤.

٢. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: ١٠٩٧.

٣. منهاج السنة النبوية ٨: ٢٥٤.





الصفحة ٤٣ بأن منكر عقيدة المهدي وخروجه التي تواتر ذكرها في الأحاديث الصحيحة هو كمن أنكر ألوهية الله ﷻ.

إنما الكلام في أن المهدي ﷺ هل هو مولود أم أنه سيولد في آخر الزمان وحين ظهوره المبارك؟  
يوجد قولان:

قال أهل السنة إنه سيولد عند ظهوره.

بينما تقول الشيعة الإمامية إنه مولود وهو حيّ غائب، وقد أثبتوا دعواهم هذه بأدلة كثيرة منها نص والده عليه في أحاديث صحيحة<sup>(١)</sup> ورؤية القابلة له وجملة من أصحاب أبيه وأدلة خاصة توجب القطع بولادة الحجة بن الحسن عليه السلام أما من غير الشيعة فمن اعتراف علماء أهل السنة وعلماء الأنساب بولادته المباركة، وعلى سبيل المثال نذكر هنا بعض الأقوال التي صدحت بالولادة والغيبة من علماء أهل السنة:

فقد شهد علماء الأنساب والمتخصصون من أهل السنة بولادة الإمام المهدي ﷺ، وأنه ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ونذكر منهم بحسب التسلسل الزمني:

١ - النسابة الشهير أبو نصر سهل بن عبد الله بن داود بن سليمان البخاري، من أعلام القرن الرابع الهجري، والذي كان حياً سنة (٣٤١ هـ)، وهو من أشهر علماء الأنساب المعاصرين لغيبة الإمام المهدي ﷺ الصغرى التي انتهت سنة (٣٢٩ هـ).

قال في (سر السلسلة العلوية): (وولد علي بن محمد التقي عليه السلام الحسن بن علي العسكري عليه السلام من أم ولد نوبية تدعى: ريجانة، وولد سنة إحدى وثلاثين ومائتين وقبض سنة ستين ومائتين بسامراء، وهو ابن تسع وعشرين سنة.. وولد علي بن محمد التقي عليه السلام جعفرأ وهو الذي تسميه الإمامية جعفر

١. «وولد له ولد سناه محمد سنة خمسة وخمسون ومائتين» [الكافي: ج ١، ص ٥١٤].



الكذاب، وإنما تسميه الإمامية بذلك؛ لادّعاءه ميراث أخيه الحسن عليه السلام دون ابنه القائم الحجة عليه السلام، لا طعن في نسبه) انتهى.

٢ - النسابة العمري المشهور من أعلام القرن الخامس الهجري والذي قال ما نصّه في (المجدي في أنساب الطالبين: ١٣٠): (ومات أبو محمد عليه السلام وولده من نرجس عليها السلام معلوم عند خاصة أصحابه وثقات أهله، وسنذكر حال ولادته والأخبار التي سمعناها بذلك، وامْتَحَن المؤمنون بل كافة الناس بغيبته، وشره جعفر بن علي إلى مال أخيه وحاله فدفع أن يكون له ولد، وأعانه بعض الفراعنة على قبض جواري أخيه) انتهى.

٣ - الفخر الرازي الشافعي (ت ٦٠٦ هـ)، قال في كتابه (الشجرة المباركة في أنساب الطالبيّة) تحت عنوان: أولاد الإمام العسكري عليه السلام ما هذا نصه: (أمّا الحسن العسكري الإمام عليه السلام فله ابنان وبتتان: أمّا الابنان، فأحدهما: صاحب الزمان عليه السلام، والثاني موسى' درج في حياة أبيه. وأمّا البتتان: ففاطمة درجت في حياة أبيها، وأم موسى' درجت أيضاً) انتهى.

٤ - محمد أمين السويدي (ت ١٢٤٦ هـ) قال في (سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب): (محمد المهدي: وكان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين، وكان مربع القامة، حسن الوجه والشعر، ألقى الأنف، صبيح الجبهة) انتهى.

٥ - نسابة المدينة المنورة: أنس بن يعقوب الكتبي (معاصر)، صرّح في كتابه (الأصول في ذرية البضعة البتول) بالنسب كاملاً للإمام المهدي عليه السلام وأنه ابن الحسن العسكري عليه السلام، حيث قال: (محمد المهدي: وهو محمد المهدي بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب عليه السلام) انتهى.

وصرّح في موضع آخر بغيبته واختفائه، حيث قال: (ومن الثابت عند أهل العلم من متقدمين ومتأخرين انقطاع خبره، وعدم معرفة قبره ولا مكانه) انتهى.

فهذه أقوال جملة يسيرة من علماء الأنساب المشهورين من أهل السنّة على مر القرون يثبتون الولادة الميمونة للإمام المهدي ﷺ وأنّه ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

وأما اعتراف المحدثين والعلماء من أهل السنّة بهذه الولادة فحدّث ولا حرج، فقد أحصى السيد ثامر العميدي في كتابه (دفاع عن الكافي) (١٢٨ عالماً) من علماء أهل السنة من فقهاء ومحدّثين ومفسرين وغيرهم، وعلى مر القرون، ممن اعترف بهذه الولادة المباركة.

ونذكر هنا جملة منهم مع الإشارة إلى المصدر والصفحة فقط، وحسب التسلسل الزمني:

- ١ - ابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ) في كتابه (الكامل في التاريخ ٧: ٢٧٤، آخر حوادث سنة ٢٦٠هـ).
- ٢ - ابن الخشاب البغدادي المؤرّخ (ت ٦٤٣هـ) في (تاريخ مواليد الأئمة عليهم السلام: ٦).
- ٣ - محمّد بن طلحة الشافعي (ت ٦٥٢هـ) في (مطالب السؤل في مناقب آل الرسول: ٨٨).
- ٤ - محمّد بن يوسف الكنجي الشافعي (ت ٦٥٨هـ) في (البيان في أخبار صاحب الزمان عليه السلام: ٣٣٦).
- ٥ - ابن خلّكان (ت ٦٨١هـ) في (وفيات الأعيان ٤: ١٧٦، الرقم ٥٦٢).
- ٦ - شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ) في كتبه: العبر، وتاريخ دول الإسلام، وسير أعلام النبلاء (العبر ٣: ٣١). تاريخ دول الإسلام ١١٣ حوادث سنوات (٢٥١-٢٦٠هـ). سير أعلام النبلاء ١٣: ١١٩، الرقم ٦٠).
- ٧ - ابن الوردي (ت ٧٤٩هـ) في ذيل تتمّة المختصر، المعروف بتاريخ ابن الوردي (نقل ذلك عنه الشبلنجي في نور الأبصار ١٨٦).
- ٨ - ابن الصبّاغ المالكي (ت ٨٥٥هـ) في (الفصول المهمة: ٢٧٣).



٩ - عبد الوهّاب الشعراني (ت ٩٧٣هـ) في اليواقيت والجواهر (اليواقيت والجواهر ٣: ١٤٥).

١٠ - ابن حجر الهيتمي الشافعي (ت ٩٧٤هـ) في (الصواعق المحرقة: ٢٠٧).

١١ - الشبراوي الشافعي (ت ١١٧١هـ) في (الإتحاف بحبّ الأشراف: ٦٨).

١٢ - القندوزي الحنفي (ت ١٢٩٣هـ) في (ينابيع المودّة ينابيع المودّة ٣: ٣٠١-٣٠٦، الباب ٧٩).

١٣ - مؤمن بن حسن الشبلنجي (ت ١٣٠٨هـ) في (نور الأبصار: ١٨٦).

١٤ - خير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦هـ) في كتابه (الأعلام ٦: ٨٠).

وراجع بقية الأسماء (وهم بالعشرات) في المصدر المتقدم.

هذا، وقد أحصى الشيخ مهدي فقيه إيماني في كتابه (المهدي عليه السلام في نهج البلاغة) ما يزيد عن (١٠٠) شخصيّة من علماء أهل السنّة، صرّحت بولادته عليه السلام، فراجع ما أفاده.

أمّا الروايات من مختلف المصادر السنية والشيعية معاً، فقد أحصى بعض المحققين المعاصرين (آية الله العظمى الشيخ الصافي الكلبايكاني) أكثر من ثلاثة آلاف وسبعمائة رواية وردت بحق الإمام المهدي عليه السلام في مختلف أحواله، من مختلف المصادر، وهي تدل بالدلالة المطابقة والالتزامية، وبعد الجمع العرفي بين المرويات، على ولادته عليه السلام، وإليك تفصيلها:

١ - الروايات التي تبشّر بظهوره عليه السلام (٦٥٧ رواية).

٢ - الروايات التي تبين أنّه يملأ الأرض عدلاً وقسطاً (١٢٣ رواية).

٣ - الروايات التي تثبت أنّ المهدي المنتظر عليه السلام من أهل البيت عليهم السلام (٣٨٩ رواية).

٤ - الروايات التي تبين أنّه عليه السلام من ولد أمير المؤمنين عليه السلام (٢١٤ رواية).

٥ - الروايات التي تثبت أنّه عليه السلام من ولد فاطمة الزهراء عليها السلام (١٩٢ رواية).

٦ - الروايات التي تقول إنّّه من ولد الإمام الحسين عليه السلام (١٨٥ رواية).

٧ - الروايات التي تقول إنه التاسع من ولد الإمام الحسين عليه السلام (١٤٨ رواية).

- ٨ - الروايات التي تقول إنه من ولد علي بن الحسين عليهما السلام (٨٥ رواية).  
 ٩ - الروايات التي تقول إنه من ولد محمد الباقر عليه السلام (١٠٣ رواية).  
 ١٠ - الروايات التي تقول إنه من ولد الصادق عليه السلام (١٠٣ رواية).  
 ١١ - الروايات التي تقول إنه السادس من ولد الصادق عليه السلام (٩٩ رواية).  
 ١٢ - الروايات التي تقول إنه من ولد موسى بن جعفر عليهما السلام (١٠١ رواية).  
 ١٣ - الروايات التي تقول إنه الخامس من ولد موسى بن جعفر عليهما السلام (٩٨ رواية).  
 ١٤ - الروايات التي تقول إنه الرابع من ولد علي بن موسى الرضا عليهما السلام (٩٥ رواية).  
 ١٥ - الروايات التي تقول إنه الثالث من ولد محمد بن علي التقي عليه السلام (٩٠ رواية).  
 ١٦ - الروايات التي تقول إنه من ولد علي الهادي عليه السلام (٩٠ رواية).  
 ١٧ - الروايات التي تقول إنه ابن أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام (١٤٦ رواية).  
 ١٨ - الروايات التي تقول إنه الثاني عشر من الأئمة وخاتمهم (١٣٦ رواية).  
 ١٩ - في ولادته عليه السلام وتأريخها وبعض حالات أمه (٢١٤ رواية).  
 ٢٠ - في أن له غيبتين (١٠ روايات).  
 ٢١ - في أن له غيبة طويلة: (٩١ رواية).  
 ٢٢ - في أنه طويل العمر جداً (٣١٨ رواية)<sup>(١)</sup>.

وممن صرّح بتواتر روايات ولادته عليه السلام جملة كبيرة من علماء الشيعة الإمامية،  
 نشير إلى بعضهم:

قال العلامة الحلي في (منهاج الكرامة): (وقد تواترت به الشيعة في البلاد  
 المتباعدة خلفاً عن سلف من النبي صلى الله عليه وآله أنه قال للحسين عليه السلام: «هذا إمام ابن  
 إمام أخو إمام أبو أئمة تسعة، تاسعهم قائمهم، اسمه اسمي وكنيته كنيتي

١. راجع: منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر عليه السلام، ثلاثة مجلدات، آية الله العظمى لطف الله الصافي الكلبايكاني.

يملؤ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً»<sup>(١)</sup>.

وجاء في كتاب (الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف) لابن طاووس: (ونقل إلينا سلفنا نقلاً متواتراً أن المهدي عليه السلام المشار إليه وُلد ولادة مستورة)<sup>(٢)</sup>. وقد أقرّ العلامة المجلسي في (بحار الأنوار) ما قاله السيد ابن طاووس في هذا الجانب<sup>(٣)</sup>.

وفي كتاب الأربعين للشيخ الماحوزي: (إجماع الشيعة رضوان الله عليهم، وتواتر أخبارهم بولادته صلوات الله عليه وعلى آبائه، على نحو ولادة إبراهيم وموسى عليه السلام، وغيرهما مما اقتضت المصلحة تستر ولادته، وقد استفاضت الأخبار عنهم باسمه ونسبه...)<sup>(٤)</sup>.

وفي كتاب (عقائد الإمامية) للشيخ المظفر: (هذا المصلح المهدي هو شخص معين معروف ولد سنة ٢٥٦ هجرية) ولا يزال حيّاً، هو ابن الحسن العسكري واسمه محمد. وذلك بما ثبت عن النبي وآل البيت من الوعد به وما تواتر عندنا من ولادته واحتجابه)<sup>(٥)</sup>.

وفي كتاب (محاضرات في الإلهيات) للشيخ السبحاني: (كلّ من كان له إمام بالحديث، يقف على تواتر البشارة عن النبي وآله وأصحابه بظهور المهدي في آخر الزمان - إلى أن يقول: - معتقد الشيعة بفضل الروايات الكثيرة هو أنّه ولد في سرّ من رأى عام (٢٥٥) بعد الهجرة النبوية، وغاب بأمر الله سبحانه سنة وفاة والده عام (٢٦٠هـ) وسوف يظهره الله سبحانه ليتحقق عدله)<sup>(٦)</sup>.

وفي (تنزيه الشيعة الاثني عشرية) لأبي طالب التجلي التبريزي: (أنه قد

١. منهاج الكرامة: ١٧٧.

٢. الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ١٨٣.

٣. انظر: بحار الأنوار ٥١: ١٠٧.

٤. الأربعون: ٢١١.

٥. عقائد الإمامية: ٧٨ و٧٩.

٦. محاضرات في الإلهيات ٣٨٩ و٣٩٠.



وردت نصوص متواترة على أن المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً هو ابن الحسن العسكري عليه السلام، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله في التصريح عليه ستون نصّاً، وعن أبيه الحسن العسكري عليه السلام في التصريح على ولده المهدي اثنان وأربعون نصّاً، وعن سائر الأئمة عليهم السلام نصوص كثيرة، (راجع) (١).

وفي (مقالات تأسيسية) للسيد الطباطبائي: (إنّ بين أيدينا أخباراً متواترة من طريق العامة والخاصة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت عليهم السلام تحدثنا عن حياة الإمام الغائب وسيرته، ومن معالم هذه السيرة يتبيّن أن هذا الإمام ابن الإمام الحسن بن علي العسكري.. ولد بسامراء) (٢).

وأيضاً ممن صرّح بتواتر غيبته عليه السلام، والتي يستفاد منها بالدلالة الالتزامية ولادته عليه السلام؛ لأن الغيبة هي فرع الولادة، جملة كبيرة من علماء الشيعة الإمامية، نذكر بعضهم:

قال النعماني في كتابه (الغيبة): (هذه الروايات التي قد جاءت متواترة تشهد بصحة الغيبة...) (٣).

وفي كتاب (الغيبة) للشيخ الطوسي: (والأخبار في هذا المعنى [أي الغيبة] أكثر من أن تحصى، ذكرنا طرفاً منها لئلا يطول بها الكتاب... على أن هذه الأخبار متواترة بها لفظاً ومعنى) (٤).

وفي (كمال الدين) للشيخ الصدوق: (فالتصديق بالأخبار يوجب اعتقاد إمامة ابن الحسن عليه السلام على ما شرحت، وأنّه قد غاب كما جاءت الأخبار في الغيبة، فإنّها جاءت مشهورة متواترة) (٥).

وفي (منتخب الأنوار المضيئة) للسيد بهاء الدين النجفي: (وقد تواترت

١. تنزيه الشيعة الاثني عشرية ٢: ٥٦١.

٢. مقالات تأسيسية: ٢٧١.

٣. الغيبة للنعماني: ١٦٣ و١٦٤.

٤. الغيبة للطوسي: ١٦٧-١٧٤.

٥. كمال الدين: ٣٩.



الأخبار ورويت الآثار عن الله تعالى والنبى والأئمة الأحد عشر الأظهار، بالنصّ على إمامته وظهوره بعد غيبته<sup>(١)</sup>.

وفي تاج المواليد (المجموعة) للشيخ الطبرسي يقول: (وأما غيبته (صلوات الله عليه) فقد تواترت الأخبار بها قبل ولادته، واستفاضت بدولته قبل غيبته، وهو صاحب السيف من أئمة الهدى عليه السلام، والمنتظر لدولة الإيمان) انتهى<sup>(٢)</sup>.

ومن أعلام أهل السنّة ممن صرح بغيبته عليه السلام وبقائه حياً إلى أن يأذن الله بظهوره المبارك العلامة الأوحّد - كما يصفه الذهبي - محمد بن طلحة الشافعي الذي قال في كتابه (مطالب السؤل في مناقب آل الرسول):

(وأما عمره: فإنه ولد في أيام المعتمد على الله، خاف فاختمى وإلى الآن، فلم يمكن ذكر ذلك إذ من غاب وإن انقطع خبره لا توجب غيبته وانقطاع خبره الحكم بمقدار عمره ولا بانقضاء حياته، وقدرة الله واسعة وحكمه وألطفه بعباده عظيمة عامة، ولو ازم عظماء العلماء أن يدركوا حقائق مقدوراته وكنه قدرته لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً، ولا نقل طرف تطلعهم إليه حسيراً وحده كليلاً، وأملى عليهم لسان عجزهم عن الإحاطة به وما أوتيتهم من العلم إلا قليلاً.

وليس يبدع ولا مستغرب تعمير بعض عباد الله المخلصين، ولا امتداد عمره إلى حين، فقد مد الله تعالى أعمار جمع كثير من خلقه من أصفياؤه وأولياؤه ومن مطروديه وأعدائه، فمن الأصفياء: عيسى عليه السلام، ومنهم الخضر، وخلق آخرون من الأنبياء طالّت أعمارهم، حتّى جاز كل واحد منهم ألف سنة أو قاربها كنوح عليه السلام وغيره.

وأما من الأعداء المطرودين: فإبليس، وكذلك الدجال، ومن غيرهم كعاد الأولى، كان فيهم من عمره ما يقارب الألف، وكذلك لقمان صاحب لبد.

١. منتخب الأنوار المضيئة: ٤٥.

٢. تاج المواليد: ٥٦.

وكل هذه لبيان اتساع القدرة الربانية في تعمير بعض خلقه، فأى مانع يمنع من امتداد عمر الصالح الخلف الناصح إلى أن يظهر فيعمل ما حكم الله له به؟) انتهى<sup>(١)</sup>.

وهذا المعنى من البيان الذي صدع به العلامة محمد بن طلحة الشافعي هنا هو الموافق عملياً لما صرح به علماء الأنساب - الذين تقدم ذكرهم - في حق الإمام محمد بن الحسن العسكري عليه السلام.. فقد صرح النسابة العمري المشهور من أعلام القرن الخامس الهجري في كتابه (المجدي في أنساب الطالبين) ما نصّه: (ومات أبو محمد عليه السلام وولده من نرجس عليها السلام معلوم عند خاصة أصحابه وثقات أهله، وسنذكر حال ولادته والأخبار التي سمعناها بذلك، وامتحن المؤمنون بل كافة الناس بغيبته، وشره جعفر بن علي إلى مال أخيه وحاله فدفعت أن يكون له ولد، وأعانه بعض الفراعنة على قبض جوارى أخيه) انتهى.

وها هو الفخر الرازي الذي بعد أن أثبت وجود أبناء وبنات للإمام الحسن العسكري عليه السلام ينص على وفاتهم في حياة أبيهم واحداً واحداً، ثم يترك التعرّض لذكر وفاة الإمام محمد بن الحسن عليه السلام بالمرّة، ولا يشير إلى شيء من ذلك البتة، قال في كتابه (الشجرة المباركة في أنساب الطالبية) تحت عنوان: أولاد الإمام العسكري عليه السلام ما نصّه: (أمّا الحسن العسكري الإمام عليه السلام فله ابنان وبتتان: أمّا الابنان، فأحدهما: صاحب الزمان عليه السلام، والثاني موسى<sup>١</sup> درج في حياة أبيه. وأمّا البتتان: ففاطمة درجت في حياة أبيها، وأم موسى<sup>٢</sup> درجت أيضاً) انتهى.

وها هو نسابة المدينة الشريف أنس بن يعقوب الكتبي يقول في كتابه (الأصول في ذرية البضعة البتول): (ومن الثابت عند أهل العلم من متقدمين ومتأخرين انقطاع خبره، وعدم معرفة قبره ولا مكانه... إلى أن يقول: - ومن التحاليل السابقة والتي استقصيناها من الكتب المعتمدة التي تؤكد لنا صحة

١. مطالب السؤول: ٤٨٩.





اختفاء الإمام المهدي في سن مبكر وعدم ظهوره، فلم يكن له عقب بالإجماع، وهذا ما أثبتته كتب الأنساب والمشجرات المتقدمة المعتمدة، بأن ليس له عقب بإجماع كبار النسابين، وبذلك لم يعرف مكانه ولا ذراريه) انتهى.

فها هي أدلتنا على ولادة إمامنا المهدي ﷺ واستمرار وجوده وغيبته من طرق الفريقين معاً تشهد بالولادة والغيبة، فبأي حديث بعد هذا التواتر يؤمنون؟!!

قد يقال: أنتم تقولون إن تنصيب الأئمة هو لطف، الهدف منه هو هداية الناس وإيصالهم إلى الغرض المطلوب، فأين هذا اللطف والإمام المهدي غائب منذ ألف عام ويزيد؟!!

الجواب: لم تكن غيبة الإمام الثاني عشر ﷺ من عند نفسه وبرغبته، بل هي مشيئة الله تعالى التي اقتضت ذلك بعد أن فشل المسلمون في التعاطي مع أحد عشر إماماً من آبائه عليهم السلام!

فقد قام المسلمون الأوائل بإقصاء الإمام الأوّل - أمير المؤمنين عليه السلام - لمدة خمسة وعشرين عاماً عن ممارسة دوره الفعلي في قيادة الأئمة، بعد أن تحايّلوا على الاستيلاء على منصبه، فيما ثبت له من حديث الغدير والتفاف البعض عليه من الذين سارعوا إلى تنصيب خليفة لهم في سقيفة بني ساعدة والنبوي صلى الله عليه وآله لم يُدفن بعد، وهو ما شهد به عالم كبير من علماء أهل السنة، الإمام الغزالي، الذي قال في كتابه (سر العالمين):

(لكن أسفرت الحجّة وجهها، وأجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته في يوم غدیر خم، باتّفاق الجميع، وهو يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه». فقال عمر: بخ بخ يا أبا الحسن، لقد أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة. فهذا تسليم ورضى وتحكيم ثمّ بعد هذا غلب الهوى لحب الرياسة، وحمل عمود الخلافة، وعقود البنود، وخفقان الهوى في قعقة الرايات، واشتباك ازدحام الخيول، وفتح الأمصار؛ سقاهم كأس الهوى، فعادوا إلى الخلاف الأوّل،



فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمناً قليلاً) انتهى<sup>(١)</sup>.

وبعد هذا الاحتيال على النصّ النبوي قاموا بالهجوم على داره وأرادوا إحراقه على من فيه وكانت فيه البضعة الزهراء عليها السلام<sup>(٢)</sup>، وثمّ عند تسنّمه المسؤولية - بعد مدّة الإقصاء هذه - قام عليه الناكثون والقاسطون والمارقون حتّى اغتالوه صديقاً شهيداً وهو في محرابه ساجدٌ يصلي!

ثمّ جاء بعده ابنه الحسن عليه السلام وهو - كذلك - لاقى من خذلان الأمة الذي لاقاه حتّى اضطرّ إلى أن يصلح الدّ أعداء الدّين وهو معاوية بن أبي سفيان، قائد الفئة الباغية بنصّ حديث رسول الله صلى الله عليه وآله المعروف عن عمّار بن ياسر بأنّه تقتله الفئة الباغية الدّاعية إلى النار وقد قُتل عمّار على يد جيش معاوية في صفّين.. ولم يتركوا الإمام الحسن عليه السلام حتّى سقوه السّم على يد زوجته جعدة بتحريض من معاوية، كما يذكر ذلك صريحاً ابن عبد البر<sup>(٣)</sup>! أمّا الإمام الحسين عليه السلام ففاجعته أشهر من أن تذكر أو يشار إليها، وقد بكت عليه السّموات والأرض وبكاه حتّى محجر الحجر، كما يذكر ذلك السيوطي وغيره.

وأحاديثُ غدر الأمة وقتلها لهؤلاء الأئمّة واضحةٌ وصریحةٌ ولا يمكنُ التّحايل أو التّلاعب بها بأيّ حال من الأحوال.

فقد روى الحاكم في مستدرّكه بسندٍ صحيح عن أبي إدريس الأودي عن علي عليه السلام أنّه قال: «**إنّ ممّا عهد إلى النبي أنّ الأئمّة ستغدّر بي بعده**»<sup>(٤)</sup>.

وعن البوصيري في (إتحاف الخيرة المهرة) في حديث جبرئيل للنبي صلى الله عليه وآله بحقّ الحسين عليه السلام: «**إنّ أمّتك ستقتله**». قال البوصيري: رواه عبد بن حميد بسند صحيح<sup>(٥)</sup>.

١. مجموعة رسائل الإمام الغزالي، كتاب سر العالمين: ٤٨٣.

٢. يذكر ذلك بسند صحيح ابن شيبّة في مُصنّفه: ٥٧٩.

٣. الاستيعاب: ١، ٢٣٣.

٤. المستدرک علی الصحیحین ٣: ١٥٠، صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

٥. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة: ٢٣٨.



نقول: هذا هو شأنُ ثلاثةٍ من كبار أئمةِ أهل البيت عليهم السلام وهم قد قلدتهم رسولُ الله صلى الله عليه وآله من أوسمةِ الفضل ما لم يقلد غيرهم، ومع ذلك لقوا من هذه الأمة ما لقوه، فما بالك بمن هم دونهم من أئمةِ العترة الطاهرة من الذين عانوا من الاضطهاد والتضييق ما عانوه حتى قضوا حياتهم بين:

- مُراقِبٍ مُضطهد، كالسَّجاد والباقر والصادق عليهم السلام.

- ومَسجون مُعذَّب، كالإمام الكاظم عليه السلام.

- مسجون القصور - غريب عن الأهل والبلد، كالرضا عليه السلام.

- ومنفي محتجز، كالجواد والهادي والعسكري عليهم السلام.

فماذا تتوقَّعُ أن يكون مصيرُ الإمام المهدي عليه السلام فيما لوبقيَ بين ظهراي هذه الأمة التي لم تتوانَ عن قتلٍ وغدرٍ واضطهادِ أهل بيت نبيها صلى الله عليه وآله ما استطاعوا؟!!

من الواضحِ جداً أن استمرارَ حضور الإمام المهدي عليه السلام بينَ ظهراي هذه الأمة معناه أن ينتهيَ إلى ما انتهى إليه آباؤه الطاهرون من القتلِ أو الحبسِ أو النفيِّ والاضطهاد، ومن هنا اقتضتْ حكمةُ المولى سبحانه تغييبَ هذا الإمام الهادي المهدي عليه السلام حتى تصلَ الأمة إلى درجة تعرفُ معها أهمية وجود إمامٍ من أئمةِ أهل البيت عليهم السلام بين ظهرايها فتلتفُّ حوله وتمثُلُ أوامرهُ ولا تفرطُ فيه كما فرطتُ في حقِّ آباءه من قبل!

ولكن متى يكون ذلك؟!!

الجوابُ: يكون ذلك بعد أن يفشلَ الجميعُ في قيادة الأمة، وبعد أن تتوالى عليها صنوفُ الخيبة والحرمان نتيجةً لتحكيمها تيارات الضلال من ملوكٍ فاشلين ورؤساءٍ انتهازيين وقوميين كافرين وداعشيين متطرفين وغيرهم، فيطلبونه حينئذٍ لينقذهم ممَّا هم فيه من محنٍ وعذاب.

تقول الرواية عن أم سلمة: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول: «يكون اختلافٌ عند موت خليفة، فيخرجُ من بني هاشم فيأتي مكة، فيستخرجهُ النَّاسُ من



بيته بين الركن والمقام، فيجهزُ إليه جيشٌ من الشام حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم، فيأتيه عصائبُ العراق وأبدالُ الشام، وينشأُ رجلٌ بالشام أخواله من كلب، فيجهزُ إليه جيش فيهزمهم الله فتكون الدائرةُ عليهم، فذلك يوم كلب، الخائبُ من خابَ من غنيمة كلب، فيستفتحُ الكنوز، ويقسم الأموال، ويلقي الإسلام بجرّانه إلى الأرض، فيعيشونَ بذلك سبع سنين». أو قال: «تسع».

قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجالُ الصحيح<sup>(١)</sup>.

فلاحظ قول النبي ﷺ: «فيستخرجه الناس من بيته»، أي إنَّ الناسَ تصلُّ إلى مرحلةٍ من الاختلافِ ما إن تسمعُ بخروجه، كما تقول الرواية: «فيخرج من بني هاشم فيأتي مكة»، حتى تأتي إليه الأمة بنفسها تطلبه وتستخرجه من بيته ليحكمَ فيها بالحق.

يقول السفاريني الحنبلي في كتابه: لوامعُ الأنوار البهيّة عن دولة الإمام المهدي ﷺ: (يعملُ سنة النبي لا يوقظ نائماً، ويقاتلُ على السنة لا يترك سنةً إلا أقامها ولا بدعةً إلا رفعها، يقومُ بالدين آخر الزمان كما قام به النبي أوله، يملكُ الدنيا كلها كما ملكَ ذو القرنين وسليمان بن داود، يكسرُ الصليبَ ويقتل الخنزير ويردُّ إلى المسلمين ألفتهم ونعمتهم، يملأُ الأرضَ قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يحشو المالَ حشواً ولا يعده عداءً، يقسمُ المالَ صحاحاً بالسوية، يرضى عنه ساكنُ السماء وساكِنُ الأرض والطير في الجو والوحش في القفر والحيتان في البحر) انتهى<sup>(٢)</sup>.

أما دعوى أن غياب الإمام المهدي ﷺ مخالفٌ للطف، والناس بحاجةٍ إليه؟!!

نقول: كذلك النبوة هي لطفٌ أيضاً، ومع ذلك حصلت الغييات من الأنبياء عن أقوامهم، كما في غيبة نبي الله موسى عليه السلام وغيبة نبي الله يونس عليه السلام،

١. مجمع الزوائد ٧: ٣١٥.

٢. لوامع الأنوار البهيّة ٢: ٧٥، ٧٦؛ وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٤: ٣٨.



بل حصلت عند غياب بعضهم - كغيبته موسى عليه السلام - أمورٌ خطيرةٌ جداً، وهي عبادة الناس العجل، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ (البقرة: ٥١)، وهنا نسأل: هل كان الله سبحانه وتعالى يعلم حين استدعى نبيه موسى عليه السلام للمناجاة وغيبه عن قومه، أنهم سيعبدون العجل من بعده أم لا؟!!

فإن قلتم: إنه لا يعلم فقد كفرتم، وإن قلتم هو يعلم، فهذا معناه لا توجد منافاة بين اللطف وغيبه النبي أو الإمام عن قومه!  
فإن قال قائل: إن موسى عليه السلام قد استخلف على قومه أخاه هارون عليه السلام ولم يتركهم هملاً!

قلنا: كذلك إمامنا المهدي عليه السلام قد استخلف سفراءه الخاصين به في فترة غيبته الصغرى، ثم استخلف سفراءه العامّين، وهم الفقهاء العدول، في فترة غيبته الكبرى، ولم يترك أمر الأمة هملاً من بعده، فاللطف من هذه الناحية لم ينقطع تماماً.



**ALMAUOOD**

[www.m-mahdi.com/almauood](http://www.m-mahdi.com/almauood)

[almauood@m-mahdi.com](mailto:almauood@m-mahdi.com)

# جدلية إظهار ولادة الإمام الحجة وإخفائها

د. عيبر بدر عبد الستار

إعداد الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام من بعده الأمة لاستقبال الموعود ﷺ:

تواترت أحاديث الرسول ﷺ في أوصاف القائم وعلامات ظهوره وكثرت حتى لم يعد لمنكر حجة، ومن أقواله ﷺ: «الأئمة من بعدي اثنا عشر كلهم من قريش»<sup>(١)</sup>، ولعلمه أنه سيدّعي ذلك بعض الناس أوضح ﷺ من أي بيوتات قريش هم، فقال: «يخرج رجل من أهل بيتي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً»<sup>(٢)</sup>، ويبين ﷺ أكثر فقال: «ليكونن من يخلفني من أهل بيتي رجل يأمر بأمر الله»<sup>(٣)</sup>.

وقال ﷺ: «لو لم يبق في الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يملك رجل من أهل بيتي يظهر الإسلام»<sup>(٤)</sup>.

وذكرت رواية أخرى لهذا الحديث هي «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد

١. صحيح البخاري: ٤/ ١٧٥ (كتاب الأحكام)، صحيح الترمذي: ٢/ ٤٥ (باب ما جاء في الخلفاء)،

صحيح مسلم (كتاب الإمارة): ٢/ ١٩١.

٢. المستدرک علی الصحیحین: ٤/ ٥٥٧، منتخب الأثر: ١٤٨ ح ١٩.

٣. منتخب الأثر: ١٦٢ ح ٦٣.

٤. المصدر نفسه: ١٤٩ ح ١٩، ١٥٠ ح ٢٦، ١٦٩ ح ٨٠.





لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يخرج رجل من أمتي يواطئ اسمه اسمي وكنيته  
كنتي يمالأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»<sup>(١)</sup>.

وقد يكتفي الحديث الشريف بذكر لقب الإمام عليه السلام قائلاً: «أبشروا بالمهدي  
- قالها ثلاثاً - يخرج عليّ حين اختلاف من الناس وزلزال شديد»<sup>(٢)</sup>.

ويوضح حديث آخر بدء الإمامة فيقول: «الأئمة من بعدي اثنا عشر أو لهم  
أنت يا عليّ وآخرهم القائم»<sup>(٣)</sup>. ففي هذا الحديث تعيين لأول الأئمة لكنه  
قد لا يعني بالضرورة أنهم من نسله لذلك أوضح النبي صلى الله عليه وآله قائلاً: «الأئمة  
من بعدي اثنا عشر تسعة من صلب الحسين والتاسع قائمهم»<sup>(٤)</sup>، ليدل عليّ  
تحديد أكثر لمصدر النسل الطاهر.

وجاء حديث آخر للرسول صلى الله عليه وآله: «والذي نفسي بيده إن مهدي هذه الأمة  
الذي يصلي عيسى خلفه منّا»، ثم ضرب يده عليّ منكب الحسين عليه السلام وقال:  
«من هذا من هذا»<sup>(٥)</sup>.

والمتتبع لهذه الأحاديث الشريفة يمكن أن يلحظ التالي:

١ - إن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله ذكر أولاً أن المهدي من أمة محمد صلى الله عليه وآله ثم قال  
إنه من قريش وخصص الذكر أكثر بأن جعله من أهل بيته عليهم السلام إذ قال إن  
عليّاً أول الأئمة عليهم السلام، وأخيراً صرح بأنهم كلهم من ولد الحسين عليه السلام، فهناك  
تدرج يلزم أن يكون متتابعاً زمنياً في إشاعة خلافة المهدي بغية تهيئة الأمة  
لتقبل فكرة المخلص رويداً رويداً.

وتسد الباب في وجه المدعين عليّ مر العصور من جهة أخرى.

١. المصدر نفسه.

٢. المصدر نفسه.

٣. المصدر نفسه ٥٨ ح ٢.

٤. المصدر نفسه: ٨٢ ح ٤.

٥. المصدر نفسه: ١٩٩ ح ٣.





٢ - الحديث الشريف: «الأئمة من بعدي اثنا عشر إماماً كلهم من قريش»  
 قد تواترت على نقله كل الكتب المخالفة لمذهب الإمامية، ولكن يبقى اختلافهم  
 في تعيين أشخاصهم دليلاً دامغاً على صحة عقيدة الإمامية في المهدي عليه السلام.  
 وجاء الأئمة من بعد الرسول صلى الله عليه وآله فاجتهدوا في تعريف الأمة بإمامها  
 وتعيينه لها، قال الإمام علي عليه السلام: «إن ابني هذا - يعني الحسين - السيد كما  
 سماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسيخرج من صلبه رجل باسم نبيكم»<sup>(١)</sup>.  
 ويقول الإمام الحسن عليه السلام عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تذهب الدنيا  
 حتى يقوم بأمر أمتي رجل من ولد الحسين»<sup>(٢)</sup>. فهنا قطع الحسن عليه السلام الطريق  
 على مدعي المهديونية من ولده في مستقبل الأيام.  
 ونقل عن الباقر عليه السلام قوله: «إن قائمنا هو التاسع من ولد الحسين عليه السلام لأن  
 الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله اثنا عشر الثاني عشر هو القائم»<sup>(٣)</sup>.  
 وعن الصادق عليه السلام: «إن الغيبة ستقع في السادس من ولد ابني موسى،  
 وذلك ابن سيدة الإمام» وقال: «إنه الخامس من ولد ابني موسى وذلك ابن  
 سيدة الإمام»<sup>(٤)</sup>. فالصادق عليه السلام بهذا الحديث عين ابنه موسى من بعده راداً  
 على من قالوا إنه ابنه إسماعيل.  
 وعن الكاظم عليه السلام: «... الخامس من ولدي، له غيبة يطول أمدها خوفاً  
 على نفسه يرتد فيها أقوام ويثبت فيها آخرون»<sup>(٥)</sup>. فذكر الإمام الكاظم عليه السلام  
 هنا خوف السجن أو القتل وهو ما ذاقه من السلطة المتجبرة. كما أنه تلويح  
 للأئمة أنها سترتد من بعده وستقول الواقعة أنه غاب ولم يقتل ولا إمام بعده.

١. المصدر نفسه: ١٦٢ ح ٦٤.

٢. دلائل الإمامة: ٢٤٠، منتخب الأثر: ١٩٨ ح ٢.

٣. كفاية الأثر: ٢٤٨، منتخب الأثر: ١٢٣ ح ٣٤.

٤. إكمال الدين: ٣٤٥، منتخب الأثر: ٢٣٩ ح ٤.

٥. كفاية الأثر: ٢٦٥، منتخب الأثر: ٢١٩ ح ٣.

مما تقدم نجد أن الأئمة عليهم السلام كانوا يذكرون ترتيب الإمام بين الأئمة ولا يقتربون من تعيينه صراحة فهو التاسع أو السادس أو الخامس، ومع وجود أكثر من ولد للأئمة يضيع الأمر على الأعداء من دون أن يفقد الشيعة والموالون حقيقته والتعرف على شخصه.

### جدلية الإخفاء:

كان عصر الأئمة الثلاثة قبل الإمام الحجة عليه السلام الإمام الجواد والهادي والعسكري عليهم السلام من أشد العصور العباسية تضيقاً على الشيعة، ومع اقتراب الولادة المباركة لصاحب الزمان عليه السلام كان الأئمة عليهم السلام يثقفون الشيعة ويكثرون الإشارة إلى صاحب الزمان عليه السلام في أحاديثهم؛ ولكنهم في الوقت نفسه لا يصرحون بذلك متخذين أساليب عدة حققت لهم ذلك ومنها:

**الأسلوب الأول:** حرص الأئمة عليهم السلام على بيان زمان ظهوره ومن هم أعداؤه ومن هم أتباعه وقادته ولكنهم لم يذكروا زمناً معيناً لحدوث تلك الأحداث ولا ترتيباً لها، فصفات الطواغيت يمكن أن تنطبق على طاغوت كل عصر، وهذا الأمر بقدر ما ألبس الأمر على الأعداء جعل المؤمن الموالي متأهباً مراقباً للحظة مجيء صاحب الأمر عليه السلام متعلقاً قلبه بذلك الوقت الذي يتحقق فيه الوعد الإلهي فيجتهد في معرفة الترتيبات التاريخية التي تبقى غير متاحة لغير المريد والموالي لأن الأعداء لا يلمسون خطر هذه العقيدة مباشرة على سلطانهم. وعلى سبيل الاستئناس بالدليل نورد هذا الحديث ونحاول تحليل مضمونه:

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لا بد أن يكون قدام القائم سنة يجوع فيها الناس ويصيبهم الخوف الشديد من القتل ونقص من الأموال والأنفس والثمرات فإن ذلك في كتاب مبين، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَلَنَبَلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ

مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَتَقْصِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿البقرة: ١٥٥﴾.

فوجود هذه الضائقة في سنة الظهور لا يمنع أن تكون موجودة قبلها بمدة ولكنها في سنتها أشد مما سبقها ثم يكون الفرج<sup>(١)</sup>.

والأمثلة على ذلك كثيرة ولا سيما في تلك الروايات عن أهل البيت عليهم السلام التي تتحدث عن الأحداث التي تحصل قبل الظهور، فليس من الضروري أن تكون العلامات متسلسلة حسب ما وردت في الرواية نظام كنظام الخرز<sup>(٢)</sup>. وكل ما تقدم وغيره كثير<sup>(٣)</sup> يؤكد ما ذهبنا إليه.

الأسلوب الثاني: إخفاء التسمية: من يتتبع الأخبار الواردة عن الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام يجد أنهم عرفوا الأمة بالقائم وحرصوا على تمييزه من غيره ولكنهم أخفوا اسمه فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «للم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لبعث الله رجلاً اسمه اسمي وخلقته خلقي»<sup>(٤)</sup>، وفي حديث لأمير المؤمنين عليه السلام (ناظراً إلى الحسين عليه السلام): «إن ابني هذا سيد كما سماه رسول الله وسيخرج الله من صلبه رجلاً باسم نبيكم يشبهه في الخلق والخلق»<sup>(٥)</sup>.

وعن الصادق عليه السلام: «يغيب عنكم شخصه ولا يحل لكم تسميته»<sup>(٦)</sup>، فصار معلوماً أن اسمه اسم رسول الله صلى الله عليه وآله ونهي عن تسميته باسمه وإنما يكنى عنه ويعرف بألقابه.

١. المصدر نفسه: ٧٧.

٢. المصدر نفسه: ١٢٧.

٣. ينظر: المصدر نفسه: ٧٦ (أحداث بلاد الشام قبل خروج السفيناني) التي يقول عنها الشيخ الكوراني: (يصعب استخراج الأحداث التي تكون قبل السفيناني لأن الأحاديث حولها موجزة في الغالب، وفي رواياتها تقديم وتأخير في ترتيب الأحداث).

٤. المعجم الكبير للطبراني: ١٠/١٣٧؛ مكيال المكارم: ١/٨٣.

٥. بحار الأنوار: ٥١/٣٩ ح ١٩، مكيال المكارم: ١/٨٣.

٦. إكمال الدين: ١/٣٣٨؛ مكيال المكارم: ١/٦٥.



روي أن محمد بن إبراهيم بن إسحاق قال: سمعت أبا علي محمد بن همام يقول: سمعت محمد بن عثمان العمري (قدس الله روحه) يقول: (خرج توقيع بخط أعرفه: من سماني في مجمع من الناس باسمي فعليه لعنة الله)<sup>(١)</sup>.

وكان العلماء السابقون يستشكلون كتابة اسمه عليه السلام فيقطعونه (م - ح - م - د).  
ونجد أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «له اسمان: اسم يخفى واسم يعلن، فأما الذي يخفى فـ (أحمد) وأما الذي يعلن فـ (محمد)»<sup>(٢)</sup>، فكان عليه السلام تماماً كجده رسول الله صلى الله عليه وآله فاسمه في التوراة والإنجيل (أحمد) وفي القرآن محمد، وبذلك تتطافر الأدلة على كونه هو الإمام الموعود الذي لولا تنصل الأمة ما أخرج فرجه عن «ألقى السمع وهو شهيد» (ق: ٣٧). حتى في اسمه نجد جدلية الإخفاء والإظهار السمة المميزة لهذا الإمام عليه السلام.

الأسلوب الثالث: استعمال الكناية والتورية في التعبير عن الصفات الخلقية والخلقية لصاحب الأمر عليه السلام وسائر أحواله وعن الأحداث التي تكون في عصر الظهور؛ إذ يصف الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام من بعده الإمام الحجة عليه السلام بتشبيهه بالأنبياء عليهم السلام، وذلك عندما يعرفونه بصفاته ويؤكدون أن فيه سنة من أنبياء الله تعالى آدم ونوح وإبراهيم وأيوب ويونس وموسى وعيسى عليهم السلام وأخيراً جدّه محمد صلى الله عليه وآله، فمن آدم عليه السلام طول العمر، ومن أيوب عليه السلام الفرج بعد البلوى، ومن يونس عليه السلام رجوعه بعد غيبته وهو شاب بعد كبر السن، ومن إبراهيم عليه السلام خفاء الولادة واعتزال الناس، ومن يوسف عليه السلام الغيبة عن خاصته وعامته، وسجنه واختفاؤه من إخوته وإشكال أمره على أبيه يعقوب النبي عليه السلام مع قرب المسافة بينه وبين أبيه وأهله وشيعته، ومن موسى عليه السلام خفاء الولادة،

١. بحار الأنوار ٥١/٣٣.

٢. المصدر نفسه: ٥١/٣٥.



ومن عيسى عليه السلام اختلاف الناس فيه، ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف<sup>(١)</sup> والخلق العظيم.

وهذه الطريقة في وصف الإمام الحجة عليه السلام إلى جانب إسهامها في إبراز صفات الإمام بطريقة أبلغ، فإنها تسهم في تثبيت فكرة مفادها أن الإمام عليه السلام قد أحرز كل صفات الأنبياء واجتاز كل الابتلاءات التي تعرضوا لها في عوالمهم التي بعثوا إليها بما يجعله حقيقاً بقيادة العالم بأسره وإقامة دولة العدل الإلهي فيه. كما أنها تشير إلى الغاية من بعث الرسل وهي ترسيخ رسالة التوحيد وتمحيص أممهم بالابتلاءات لتصل البشرية إلى النضج الذي سيمكنها من العيش في دولة الحق.

وتكثر الأحاديث من تشبيه الإمام الحجة بالإمام علي عليه السلام: «إذا قام قائمنا لبس ثياب علي عليه السلام وسار بسيرة علي عليه السلام»، ولعل هذا هو المراد من قول أمير المؤمنين عليه السلام لأبي عبد الله الجدلي: «ألا أخبرك بأنف المهدي عليه السلام وعينه» قال: قلت: نعم، فضرب بيده إلى صدره، فقال: «أنا»<sup>(٢)</sup>، فالأنف بمعنى السيد والمقتدى في الأمور أي يكون بمعنى ذات الشيء، فيكون هذا الكلام كناية عن أن المهدي يسير بسيرة أمير المؤمنين عليه السلام في أفعاله فهو أنفه أي مقتداه في أفعاله وعينه أي كأنه هو في زهده وعبادته وسيرته وشجاعته وسائر خصائصه<sup>(٣)</sup>، وفي ذلك تأكيد لوحدة الهدف الذي جاءت من أجله الرسالة، المحمدية، وإن الأمة لو التزمت نهج علي عليه السلام لو فرت على نفسها تيهاً دفعت ثمنه أجيال من البشرية وليس المسلمون فحسب.

١. ينظر مكيال المكارم: ١ / ١٥٤ - ٢٠٩.

٢. بحار الأنوار ٣٩ / ٢٤٣.

٣. ينظر: مكيال المكارم: ١ / ٩٦.



ويجمع أحاديث تشبيهه بالأنبياء عليهم السلام ومن ثم بجده أمير المؤمنين قوله عليه السلام: «كنت مع كل نبي بعثه الله باطناً ومع رسول الله ظاهراً». يعني شباهته بالأنبياء عليهم السلام على جلائها تعني ضمناً شباهته بعلي عليه السلام أخفاها رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام من بعده حفاظاً على الأحاديث وضماناً لانتشارها في عصر حضر فيه الولاة أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله فجمعوها وأحرقوها. ولكي لا يصنع القوم سقيفة ثانية يسلبوا بها الحق من أهله. وتنحو كثير من الأحاديث سبيل الكناية في بيانها للأحداث التي تمر بها الأمة قبيل ظهور الإمام عليه السلام، فعن أبي جعفر عليه السلام، عندما قيل له إنهم يقولون إن المهدي لو قام لاستقامت له الأمور عفواً ولا يهرقن محجمة دم، فقال: «كلا والذي نفسي بيده لو استقامت لاستقامت لرسول الله صلى الله عليه وآله حين أدميت ربايعته وشج في وجهه، كلا والذي نفسي بيده، حتى نسمح نحن وأنتم العرق والعلق ثم مسح عليه السلام جبهته»<sup>(١)</sup>، والعلق الذي هو الدم الجامد والعرق ما تنضح به الجبهة كناية عن شدة الفتن التي تقع فيها الأمة، ووجوب تقديم التضحيات في مقارعة الظلم ونهى عن التكاسل في انتظار فرجه فلن تستقيم له الأمور عفواً.

فهذه العبارة الموجزة حملت للأمة معاني عميقة على طريق إعدادها للمواجهة الحاسمة مع الإمام المهدي عليه السلام ضد صروح الظلم التي تكون في ساعة ظهوره في أعتى حالاتها.

وفي قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لبعث الله رجلاً اسمه اسمي وخلقه خلقي»<sup>(٢)</sup> قيل عبارة (خلقته خلقي) من أحسن الكنايات عن انتقام المهدي عليه السلام من الكفار لدين الله تعالى، كما كان النبي صلى الله عليه وآله، ورُدَّ هذا القول

١. غاية المرام: ١٧/٣.

٢. بحار الأنوار: ٣٥٨/٥٢، مكيا المكارم ٩٧/١.



بقوله تعالى في وصف رسوله الكريم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤) فليس من الصحيح قصره على الانتقام فقط فالحديث عام في جميع أخلاق النبي ﷺ من كرمه وشرفه وعلمه وحلمه وشجاعته وغير ذلك<sup>(١)</sup>.

ووصفت الأحاديث الشريفة علم الإمام ﷺ بالقول: «ألا إنه الغراف من بحر عميق»<sup>(٢)</sup>. الغراف: (صيغة مبالغة على وزن فعال) والبحر كناية عن العلم والدين وهو يغترف من ذاك البحر العميق الذي تتلاطم فيه لجج تؤدي بمن لا يجد من ينقذه منها إلى الغرق لا محالة، وبالتواصل مع الرمز الذي تواترت الأحاديث فيه على تشبيه أهل البيت ﷺ بسفن النجاة، لأن الرمز له وحدة متكاملة في الحضارة التي تبده والسفينة الأسرع والأكبر والأقوى في الأحاديث الشريفة هي رمز الإمام الحسين ﷺ لأنه أعاد الدين إلى نصابه، ولا بد بمن يغترف من وقوف على يابس ليتمكن من الاعتراف المطمئن الذي أوحى به الحديث الشريف، فيكون الإمام الحجة ﷺ واقفاً مطمئناً في سفينة الحسين ﷺ مغترفاً من الدين والعلم ما يشاء حاملاً معه الدنيا التي انقادت لدولته إلى شواطئ الأمان.

ويتكرر وصف صاحب الأمر بالشمس التي يغيبها السحاب، فقد سُئل النبي ﷺ عن كيفية الانتفاع بالإمام المهدي ﷺ في غيبته فقال: «إي والذي بعثني بالنبوة، إنهم يستضيئون بنوره ويتفتعون بولايته في غيبته، كانتفاع الناس بالشمس إذا جللها السحاب»<sup>(٣)</sup>. ويقول الحجة ﷺ في أحد توقيعاته: «وأما وجه الانتفاع بي في غيبي فكالانتفاع بالشمس إذا غيبتها عن الأبصار سحاب»<sup>(٤)</sup>.

١. بحار الأنوار: ١٠٣/٥١.

٢. ينظر مكيال المكارم: ٨٣/١.

٣. بحار الأنوار ٢١٣/٣٧.

٤. بحار الأنوار: ٩٢/٥٢.



وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ (الزمر: ٦٩)، حدثنا محمد بن أبي عبد الله عليه السلام قال: حدثنا جعفر بن محمد قال: حدثني القاسم بن الربيع قال: حدثني صباح المدائني قال: حدثنا المفضل بن عمر أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول في قوله ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ (الزمر: ٦٩): «رب الأرض يعني إمام الأرض»، فقلت: فإذا خرج يكون ماذا؟ قال: «إذن يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القمر ويجتزؤون بنور الإمام»<sup>(١)</sup>.

النساء وجدلية الإخفاء:

١ - اختيار الزوجة وأثره في إخفاء ولادة الحجة عليه السلام:

لقد بدأ الإمام الحسن عليه السلام بكتمان ولادة الحجة بأن تزوج من امرأة غريبة (أمة) اشتراها له أبوه من سوق النخاسين، عن الصادق عليه السلام «ابن سيدة الإمام»<sup>(٢)</sup> فالأئمة عليهم السلام كانوا يؤكدون هذه الصفة في والده الإمام الحجة عليه السلام، وقصة شرائها وزواجها من أعاجيب هذا الإمام<sup>(٣)</sup>، وما نفيده من كونها أمة وغريبة أنه ليس لها أقارب تتزاور معهم ويعرفون من أحوالها ما لا يمكن إخفاؤه.

٢ - اتخاذ ولادة الإمام الحجة عليه السلام أسماءً متعددة:

سجلت لنا المصادر أن ولادة الحجة كانت تتسمى بعدة أسماء، فهي ریحانة وسوسن وصقيل ونرجس<sup>(٤)</sup> ويذكر السيد محمد محمد صادق الصدر أن السبب في ذلك هو إمعان (في الحذر وزيادة في التوقي عليها وعلى ابنها ولأجل أن يختلط في أذهان السلطان أن صاحبة أي من هذه الأسماء هي المسجونة وأي

١. بحث مسحوب من النت.

٢. تفسير القمي: ٢/٢٥٣.

٣. موسوعة الإمام المهدي عليه السلام / تاريخ الغيبة الصغرى: ٢٤٢.

٤. موسوعة الإمام المهدي عليه السلام / تاريخ الغيبة الصغرى: ٢٤٣.





منها هي الحامل وأي منها هي الوالدة وهكذا... حيث يكون المفهوم لدى السلطان كون الأسماء لنساء كثيرات ويغفلون عن احتمال تعددها في شخص امرأة واحدة<sup>(١)</sup>.

### ٣ - تولي عمّة الإمام العسكري عليه السلام (حكيمه) ولادة الحجّة عليه السلام :

إن والدة الإمام الحجّة عندما حملت به لم يعلم أحد أنها حامل به فمثلها مثل أم موسى عليها السلام، فلم تظهر عليها علامات الحمل إلى وقت ولادتها كي لا يقتله فرعون زمانه<sup>(٢)</sup> هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى فإن عدم وجود القابلة سيضمن سرية الولادة وزيادة في إخفاء ولادته عليه السلام فضلاً عن أن وقت الولادة كان قبيل الفجر وهو وقت تنام فيه أعين الرقباء وتسهد أعين المتهجدين بالأسحار، ولعل القسم القرآني بالفجر جاء لأنه وقت ولادة المخلص وصاحب الغاية من التخطيط الإلهي للبشرية والغاية من خلق البشر وهو بالتالي قسم بشخصه لأنه أساس الدين<sup>(٣)</sup>.

لقد كانت السيدة حكيمه (رضوان الله عليها) شاهد عيان على ولادة الحجّة، فكانت روايتها للواقعة مصدراً موثقاً، ويستطيع المرء تخيل دورها في مساندة السيدة نرجس عليها السلام ومساعدتها على كتمان الولادة وتسليتها في وحدتها وإعانتها على ما ستلاقيه من مصاعب بعد وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

### ٤ - إسهام والدة الإمام الحجّة عليها السلام في تضليل السلطة:

حين مات الإمام العسكري عليه السلام لم يكن معلوماً لدى السلطة العباسية حينها أن الإمام الحجّة عليه السلام قد وُلد فظنوا أن إحدى زوجات الإمام ما تزال

١. ينظر: إكمال الدين: ٢ / ٤٢٦، أعلام الهداية (الإمام المهدي المنتظر عليه السلام): ١١٣.

٢. ينظر: الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٣٥، أعلام الهداية (الإمام المهدي المنتظر عليه السلام).

٣. ينظر إكمال الدين: ٤٧٥ - ٤٧٦ الجارية صقيل.

حاملًا به، فهجموا على الدار ورَوَّعوا النساء بحشاً عنها فما كان من أم الإمام - صقيل - إلا أن تقدمت وقالت إنها حامل لتغطي على الإمام، فسُلِّمت إلى ابن أبي الشوارب القاضي، وبَعَثَهم موت عبيد الله بن خاقان فجأةً وخروج صاحب الزنج بالبصرة فشغلوا بذلك عن الجارية فخرجت من أيديهم<sup>(١)</sup>. وأخيراً لا بد لنا من القول إن السعي الحثيث للإمامين العسكريين عليهما السلام لإخفاء ولادة الحجة عليه السلام حفظاً لحياة الوليد من الإبادة العباسية جعلت ذلك الخفاء إحدى العلائم المهمة التي نكتشف من خلالها زيف مدعي المهديين الذين يزخر بهم التاريخ الإسلامي إذ لم تنطبق على أي منهم هذه العلامة لأنه لم تُحطْ ولادة أي منهم بالخفاء كما هو الحال في ولادة القائم من آل محمد عليه السلام<sup>(٢)</sup>.

### جدلية الإظهار:

#### ١ - إظهار ولادته عليه السلام:

في الوقت الذي اجتهد الإمام العسكري عليه السلام في إخفاء ولادة ابنه صاحب العصر والزمان عليه السلام هو أظهره خفية عن السلطة، وذلك بأن تعمد أن يعق عن ابنه ويوسع في ذلك فقد طلب من أحد أتباعه أن يعق عنه بثلاثمائة شاة<sup>(٣)</sup>، وهو أمر له عدة أبعاد، فهو يشير بجلاء إلى حصول نعمة عظيمة في بيت الإمام عليه السلام، فهو إلفات للنظر ولكن من طرف خفي؛ ولنا أن نتساءل عن فعل الإمام عليه السلام الذي هو مراقب من السلطة العباسية مراقبة دقيقة تحصي عليه الأنفاس كانت ستعرف ما لو ذبح شاة واحدة فكيف بثلاثمائة شاة؟! ونرى ذلك من أمر الإمام العسكري عليه السلام لعثمان بن سعيد أن يشتري كذا ألف من الرطل لحماً وما شاكل ويوزعه على الفقراء<sup>(٤)</sup>. ونوع الإمام عليه السلام

١. ينظر: أعلام الهداية (الإمام المهدي المنتظر عليه السلام): ١١٤.

٢. إكمال الدين: ٤٣١/٦.

٣. بحار الأنوار: ٢٣/٢٦، ٥٢/٥١.

٤. إكمال الدين: ٤٣١/٦، إعلام الوري: ٤١٢، منتخب الأثر: ٢٢٨.



الأماكن التي يعق فيها عن ولده وعددها، فقد كتب الإمام عليه السلام إلى خواصه في قم وفي بغداد وسامراء أن يعقوا عن ولده ويخبروا الناس بأن هذه العقيقة هي بمناسبة ولادة مولود للإمام العسكري عليه السلام. إن كل هذه الإجراءات كانت لتخبر الناس المواليين وتعلمهم بحقيقة ولادة منقذ البشرية الموعود.

ومن أجل إشاعة خبر ولادة الإمام المهدي عليه السلام اجتهد الإمام الحسن العسكري عليه السلام في تعريف الخاصة بولادته بطرائق عدة منها أنه كتب إلى أحمد بن إسحاق قائلاً: «ولد لنا مولود، فليكن عندك مستوراً وعن جميع الناس مكتوماً، فإننا لم نظهر عليه إلا الأقرب لقرابته، والولي لولايته، أحياناً إعلامك ليسرك الله به كما سرنا، والسلام»<sup>(١)</sup>.

وفي مناسبة أخرى دخل أحمد بن إسحاق على الإمام العسكري عليه السلام فابتدره: «يا أحمد بن إسحاق، إن الله تبارك وتعالى لم يخل الأرض منذ خلق الله آدم، ولا يخلها إلى أن تقوم الساعة، من حجة الله على خلقه، به يرفع البلاء عن أهل الأرض، وبه ينزل الغيث، وبه يخرج بركات الأرض»، فقلت: يا بن رسول الله، فمن الخليفة والإمام بعدك؟ نهض مسرعاً، فدخل البيت، ثم خرج وعلى عاتقه غلام كأن وجهه القمر ليلة البدر من أبناء ثلاث سنين، فقال: «يا أحمد لولا كرامتك على الله عز وجل وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا...»<sup>(٢)</sup>.

روي الشيخ الصدوق رحمته الله بسنده عن يعقوب بن منقوش إنه قال: ذهبت يوماً إلى الإمام العسكري عليه السلام في داره فرأيت عليه السلام جالساً على دكة في الدار وعن يمينه بيت عليه ستر مسبل فقلت للإمام عليه السلام: يا سيدي من صاحب هذا الأمر بعدك؟

١. إكمال الدين: ٦/ ٤٣٠.

٢. بحار الأنوار: ١٦/ ٥١.



فقال الإمام العسكري عليه السلام: «ارفع الستر»، فرفعته فخرج إليه غلام خماسي بل المعنى أن عمره خمس سنوات. الإمام عليه السلام آنذاك ابن خمس سنوات ولكن قامته رشيدة، واضح الجبين أبيض الوجه، دري المقلتين، شثن الكفين معطوف الركبتين، في خده الأيمن خال، وفي رأسه ذؤابة، فجلس على فخذ الإمام العسكري عليه السلام ثم قال الإمام العسكري عليه السلام: «هذا صاحبكم بعدي» (يعني الإمام والحجة).

ثم وثب الإمام المهدي عليه السلام، فقال الإمام العسكري عليه السلام: «يا بني ادخل إلى الوقت المعلوم»، ثم قال الإمام العسكري عليه السلام: «يا يعقوب أنظر من في البيت»، فدخلت فما رأيت أحداً<sup>(١)</sup>.

وعن أبي غانم الخادم قال: ولد لأبي محمد عليه السلام ولد فسماه محمداً، فعرضه على أصحابه يوم الثالث، وقال: «هذا صاحبكم من بعدي وخليفتي عليكم، وهو القائم الذي تمتد إليه الأعناق بالانتظار، فإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً خرج فملاها قسطاً وعدلاً»<sup>(٢)</sup>.

حدثنا محمد بن علي ماجيلويه رحمته الله قال: حدثنا محمد بن يحيى العطار قال: حدثني جعفر بن محمد بن مالك الفزاري قال: حدثني معاوية بن حكيم ومحمد بن أيوب بن نوح ومحمد بن عثمان العمري رحمته الله قالوا: عرض علينا أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام ونحن في منزله وكنا أربعين رجلاً فقال: «هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم، أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي في أديانكم فتهلكوا، أما إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا!» قالوا فخرجنا من عنده فما مضت إلا أيام قلائل حتى مضى أبو محمد عليه السلام<sup>(٣)</sup>.

١. إكمال الدين: ٢: ٤٣٥.

٢. الكافي ١/ ٣٢٩.

٣. ينظر: بحار الأنوار: ٥٢/ ١٢٣.



ونلاحظ أن أربعين رجلاً ليس بالعدد القليل وفيه إفشاء كثير على غير عادة الإمام العسكري عليه السلام لكن ذيل الحديث يوضح ذلك إذ أن الإمام عليه السلام مات بعدها بأيام فلم يتسن للرجال الأربعين نشره لدرجة تبلغ مسمع السلطة الحاكمة.

وكثيرة هي الأحاديث التي نوهت بولادة المهدي عليه السلام من غير ما ذكرنا وكان ذلك أمراً متعمداً من الإمام الحسن العسكري عليه السلام لتعريف الخاصة من الشيعة بولادة إمامهم الثاني عشر عليه السلام فقد عرضه الإمام العسكري عليه السلام على أربعين من شيعته من خلص أصحابه كما تقدمت الرواية وكان يعرضه بين الحين والآخر على بعض أصحابه فرادى، وذلك كله لجعل الشيعة على يقين من وجوده الشريف، وقد صرح الشيخ المفيد بأن الإمام العسكري عليه السلام بجهوده وإجراءاته استطاع أن يجعل ولادة ابنه الحجة عليه السلام ثابتة تاريخياً بأقوى ما تثبت به ولادة إنسان<sup>(١)</sup>.

## ٢ - إثبات إمامته وعلمه عليه السلام :

وقع على الإمام العسكري عليه السلام واجب إثبات إمامة ولده لأن كون الإمام العسكري عليه السلام قد وُلِد له وكد لا يعني بالضرورة أنه الإمام المنتظر عليه السلام، وفي ظل المضاعف التي أحاطت به من تهديدات السلطة العباسية ومراقبتها الدقيقة لتحركاته حرص الإمام العسكري عليه السلام على إثبات إمامة ولده، وقد أكدت روايات أهل البيت عليهم السلام ذلك، فقد قال العسكري عليه السلام في لمة من أصحابه عندما سألوه عن الحجة من بعده «هذا صاحبكم بعدي وخليفتي عليكم وهو القائم الذي تمتد له الأعناق بالانتظار، فإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً خرج فملاًها قسطاً وعدلاً»<sup>(٢)</sup>.

١. إكمال الدين: ٢/ ٤٣٥.

٢. ينظر: أعلام الهداية (الإمام المهدي المنتظر عليه السلام): ١٢٢.



وقد سأل أحمد بن إسحاق الإمام العسكري عليه السلام قائلاً: يا مولاي فهل من علامة يطمئن إليها قلبي؟ فنطق الغلام بلسان عربي فصيح، فقال: «يا أحمد بن إسحاق أنا بقية الله في أرضه والمنتقم من أعدائه فلا تطلب أثراً بعد عين» فقال أحمد بن إسحاق: فخرجت مسروراً فرحاً<sup>(١)</sup>.

وقد عرضه على بعض أصحابه بعد ثلاثة أيام من ولادته قائلاً: «هذا صاحبكم من بعدي»<sup>(٢)</sup>.

وقد جاء وفد من المواليين لآل البيت عليهم السلام إلى سامراء، وحضروا بيت الإمام العسكري عليه السلام ليسأله عن الحجة من بعده وفي مجلسه أربعون رجلاً فقام إليه عثمان بن سعيد بن عمرو العمري، فقال: يا بن رسول الله أريد أن أسألك عن أمر أنت أعلم به مني، فقال عليه السلام: «... أخبركم بما جئتم؟ قالوا نعم يا بن رسول الله، قال: «جئتم تسألوني عن الحجة من بعدي»، قالوا: نعم، فإذا بالإمام المهدي عليه السلام كأنه قطعة قمر أشبه الناس بأبي محمد عليه السلام، فقال العسكري عليه السلام: «هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم أطيعوه ولا تفرقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم ألا وإنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى يتم له عمر، فاقبلوا من عثمان ما يقوله، وانتهوا إلى أمره وأقبلوا قوله فهو خليفة إمامكم والأمر إليه»<sup>(٣)</sup>.

وهذه الرواية مهمة كونها تشتمل على نص صريح بإمامة المهدي عليه السلام بعد والده الحسن العسكري عليه السلام وتعريف الأمة بوكالة عثمان بن سعيد للمهدي عليه السلام ونيابته له فكان إعداداً مسبقاً للغيبة.

وقد ذكرت بعض كتب المذاهب الإسلامية الأخرى ولادة الحجة عليه السلام

١. الكافي: ١/ ٣٢٩.

٢. إكمال الدين: ٢/ ٣٨٤.

٣. الكافي: ١/ ٣٢٩.



وأكدت له الحكمة وفصل الخطاب على الرغم من صغر سنّه، قال ابن حجر الهيثمي الشافعي في ذيل ترجمته للإمام الحسن العسكري عليه السلام: (ولم يخلف الإمام العسكري عليه السلام غير ولده أبي القاسم محمد الحجّة عليه السلام، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين، لكن آتاه الله فيها الحكمة)<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ عبد الرحمن الجامي الحنفي في مرآة الأسرار، في ترجمة الإمام المهدي عليه السلام: (وكان عمره عند وفاة والده الإمام الحسن العسكري عليه السلام خمس سنين، وجلس على مسند الإمامة، وكما أعطى الحق تعالى يحيى بن زكريا الحكمة والكرامة في حال الطفولية، وأوصل عيسى بن مريم عليه السلام إلى المرتبة العالية في زمن الصبا، كذلك هو في صغر السنّ، جعله الله إماماً، وخوارق العادات الظاهرة له ليست قليلة بحيث يسعها هذا المختصر)<sup>(٢)</sup>.

الإمام الحجّة عليه السلام وجدلية إخفاء أمره وإظهاره:

قبل وفاة الإمام العسكري عليه السلام كان قد أعد الأمة وهياها لتقبل فكرة غياب الإمام عليه السلام عن قواعده وعلى الرغم من قصر المدة التي عاشها الإمام العسكري عليه السلام استطاع أن يؤهل الأمة للتعامل مع الإمام الغائب ولاسيما أن فكرة غيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام كانت معروفة من خلال أحاديث أهل البيت عليهم السلام ورواياتهم التي عرضنا لبعضها في بداية البحث.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كان آخر الأئمة - الهادي والعسكري عليهم السلام - قد عودوا الأمة على إيراد أسئلتهم مكتوبة ليجيب عنها الإمام. كما كانوا لا يخرجون لشيعتهم كثيرا وإنما يوصلون تعاليمهم إليهم من خلال الوكلاء.

كان أول ظهور للإمام الحجّة بعد وفاة والده الحسن العسكري عليه السلام هي عند الصلاة على جنازته، جاء في حديث أبي الأديان: (لما صرنا في الدار إذ

١. بحار الأنوار: ١٦/٥١.

٢. الصواعق المحرقة/ ابن حجر الهيثمي: ٢٠٧.



نحن بالحسن بن علي (صلوات الله عليه) على نعشه مكفناً، فتقدم جعفر بن علي ليصلي على أخيه، فلما همّ بالتكبير خرج صبي بوجهه سمرة، بشعره ققط، بأسنانه تفلج، ف جذب رداء جعفر بن علي وقال: «تأخرياً عم فأنا أحق بالصلاة على أبي»، فتأخر جعفر وقد أربد وجهه واصفر<sup>(١)</sup>.

وكان الإمام عليه السلام يتخذ سبيل التستر في الاتصال بمواليه فقد اختار سفراء أربعة في عهد الغيبة الصغرى هم عثمان بن سعيد العمري ومن بعده محمد بن عثمان بن سعيد العمري ثم الحسين بن روح النوبختي وأخيراً الشيخ أبو الحسن علي بن محمد السمري الذي انقطعت السفارة بعده ووقعت الغيبة الكبرى للإمام المهدي عليه السلام، فيكون المرجع في الدين والشرائع هم العلماء والفقهاء بأمر الإمام عليه السلام فإن النيابة ثابتة لهم على سبيل العموم، كما ورد في التوقيع الشريف لمسائل إسحاق بن يعقوب حيث قال عليه السلام: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية أخرى: «مجاري الأمور بيد العلماء بالله الأئمة على حلاله وحرامه»<sup>(٣)</sup>.

### الخاتمة:

لقد عاش الإمامان الهادي والعسكري عليه السلام حياة تختلف عن حياة سائر أئمة الهدى عليه السلام وذلك بسبب تشديد المراقبة والتضييق من السلطة العباسية التي لمست اتساع المد الشيعي حتى بين جملة من أمرائها وقادتها، وعلى الرغم من ذلك استطاع الإمامان العسكريان عليه السلام وفقاً لمعطيات الظروف المحيطة بهما أن يستثمرا تلك الظروف لإخفاء الولادة المباركة للحجة عليه السلام وفي

١. أعيان الشيعة: ٦٩/٢.

٢. النجم الثاقب في أحوال المهدي الغائب عليه السلام: ٧/٢.

٣. تحف العقول: ٢٣٨.





الوقت نفسه إشاعتها بين الناس ليعرفوا إمامهم ويعلموهم كيفية التواصل معه في حال غيبته عنهم. وهذا ما جعلهم يتبنون طريقة جديدة في الاتصال مع قواعدهم الشعبية أسهمت بنجاح في تحقيق هدف حماية المولود عن طريق بث الأحاديث التي لا تصرح باسمه وتتكئ عليه والتلويح في الإشارة إليه وإلى صفاته وخصاله وأحواله وكل ما يتصل به وبعصره المبارك، فضلاً عن ذلك نجد أن للنساء اللائي كن حول الإمامين عليهما السلام مهمة في إخفاء الحجة وحمائته من الأعداء الذين جدوا في طلبه قبل أن يولد وبعد أن وُلِد.

وكان حرص الإخفاء مقروناً بضرورة اطلاع خواص الشيعة على ولادة من يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، وإثبات إمامته وعلمه وفضله لهم، فكان لا بد أن يكون هذا الإعلان بشكل خفي عن السلطة جلي لمن يراد أن تصل إليه أخباره من خواص الشيعة الذين حرصوا على معرفة ولي الأمر بعد العسكري عليه السلام إذ نرى لهفة وفودهم التي كانت تلتقي سرّاً بالإمام على تحصيل تلك المعرفة والتأكد من حصولها، ولا بد أن هذا الحرص لدى خواص الشيعة تأتي من الدراية المسبقة بأن للإمام الثاني عشر عليه السلام خصائص في الولادة وغيبية تطول وفيها تحيط بالشيعة الفتن ويقعون في اللأواء، وقد كانت الأحاديث الشريفة تبشر بها منذ الرسول صلى الله عليه وآله ومن بعده الأئمة عليهم السلام.



**ALMAUOOD**

[www.m-mahdi.com/almauood](http://www.m-mahdi.com/almauood)

[almauood@m-mahdi.com](mailto:almauood@m-mahdi.com)

# تأسيس الغياب المهدي وظهوره في ضوء الخطاب القرآني

## قراءة في الدلالة الرمزية

م. د. محمد جعفر العارضي

### المقدمة:

لم أشأ في البحث أن أقف على الآيات القرآنية المباركة التي أشتهر أنّها في قضية الإمام المهدي عليه السلام، بل اخترت أن أقف على ما يمكن أن يكون مسكوتاً عنه في النظر إلى هذه القضية بلحظها القرآني من طريق الدلالة الإيحائية والرمزية؛ ذلك بأنّ البحث ينصرف إلى التعاطي مع توظيفات لسانية قرآنية مخصوصة في ضوء المعطيات الدلالية الرمزية التي أنتج النظر فيها مقولات مهديّة بلحظ التأسيس والظهور، وينصرف أيضاً إلى التعاطي مع ظواهر قرآنية خارجية؛ ليصل إلى دمج دلالاتها الرمزية بالقضية المهديّة.

ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث المرتبطة بإضافته أدلة قرآنية جديدة تصدق أن تكون في مصاف الدوالّ اللسانية المؤكّدة على حقيقة الوجود المهدي غيباً وظهوراً.

وكانت الدوالّ الرمزية التي يشتغل عليها البحث ذات ارتباط بالوحي مرّة، وبالعناصر الكونية مرّة أخرى. وهذا ما قاد إلى أن يقوم البحث في مقارباته المهديّة الرمزية على فقرتين هما: (فتور الوحي والتمهيد للغيب المهدي



وظهوره) من خلال إشارات سورة الضحى، و(أقسام سورة الشّمس المباركة والظهور المهدي)، وفيها كلام على (الشّمس والنفس في ضوء ثنائية الغياب والظهور)، و(حركية الأقسام وتجليّات الظهور والعدل والهدى). مع إشارة مركّزة إلى (الإمام المهدي ﷺ وضرورة غيبته) فكان هذا في فقرة تمهيدية.

ولا يخفى أنّي اعتمدت في قراءة هاتين الفقرتين التحليليتين مجموعة من الرؤى الرمزية التي تفتح على القضية الكبرى في الفكر الإنساني عامّة، والفكر الإسلامي خاصّة متمثلة بالاعتقاد بالمصلح الغائب الذي ينبغي أن يظهر يوماً؛ ليعمل على نشر الفضيلة والصلاح، معتمداً التحليل الدلالي الرمزي الذي يجنح نحو ضرورة تمثّل الظهور المهدي في النسق القرآني إن ظاهراً وإن رمزاً، من خلال استدعاء بعض عناصر الظاهرة القرآنية، وقراءتها في ضوء المعطيات المهديّة.

على أنّني لست أعالي إذا ما قلت إنّ القضية المهديّة أراها تتمزج بالمعطيات القرآنية كلّها على نحو من الرمز. ومصادق هذا ما تجلّى في سورتي (الضحى) و(الشّمس) المباركتين، ولا سيما ما يتّصل برمزية (فتور الوحي)، ومنظومة القسم القرآني الكوني.

يظهر أنّنا هنا أمام معالجة رمزية إيجابية تفتح الباب أمام التخيل، وظّف لها سياق سورتي (الضحى) و(الشّمس) المباركتين ظاهرة كونية مألوفة، ومجموعة من الإمكانيات النصية التي تتمتع بخلق انفتاح النص على طائفة من الرؤى والدلالات ذات المتطلبات الموضوعية والروحية؛ ما جعل حالة الانقطاع والإبطاء والغياب مألوفة، ومتّسمة بالانفتاح والاستشراق، والتأسيس لواحدة من أهم عقائد الدين الإسلامي تلكم هي (الإمامة) إن حضوراً وإن غياباً. وتكلّم في ذلك ضمن النقاط التالية:



## ١ - ضرورة غيبة الإمام المهدي عليه السلام وكمال التأييد:

الإمام المهدي محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ولد في الخامس عشر من شعبان سنة (٢٥٥ هـ). وهذا الإمام عليه السلام حقيقة تاريخية<sup>(١)</sup>، وضرورة يقتضيها التكامل الإنساني، وإظهار الدين.

وكانت للإمام عليه السلام غيبتان احتجب فيهما عن الناس، غيبة صغرى دامت (٦٩) سنة تقريباً، وغيبة كبرى بدأت سنة (٣٢٩ هـ)<sup>(٢)</sup> لازلنا نعيشها، ونتنظر ظهوره عليه السلام.

ولهاتين الغيبتين عواملهما وأسبابها الموضوعية المرتبطة بظروف الملاحقة ومحاولات الفتك التي كانت تعمل عليه السلطة آنذاك<sup>(٣)</sup>، فضلاً عن المقتضيات العقدية<sup>(٤)</sup> التي تستلزمها. ومما لا شك فيه (أن الغيبة بعامة تخطيط استراتيجي لتنفيذ قيام دولة العدل الإلهي المستقبلية، وتمهيد لتحقيق مشروع خلافة المستضعفين في الأرض، بجعل الله تعالى لهم أئمة وجعلهم الوارثين)<sup>(٥)</sup>. وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: ٥).

١. ينظر: الإمام المهدي المنتظر عليه السلام نُصِبَ عينيك كأنك تراه، د. محمد حسين علي الصغير، ط ١، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ٢٠٠٩، ص ١٨.
٢. ينظر: الإمام المهدي المنتظر عليه السلام نُصِبَ عينيك كأنك تراه، ص ٤٣، ٨٥.
٣. ينظر: الإمام المهدي والظواهر القرآنية - دراسة تستعرض الحركات الإصلاحية عبر التاريخ من خلال الرؤية القرآنية وتقارنها مع حركة الإمام المهدي عليه السلام، محمد السند، ط ١، مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام، مطبعة زيتون، النجف الأشرف ١٤٣١ هـ، ص ٢٦-٣٣.
٤. ينظر: الإمام المهدي المنتظر عليه السلام نُصِبَ عينيك كأنك تراه، ص ٤١-٤٥.
٥. الإمام المهدي المنتظر عليه السلام نُصِبَ عينيك كأنك تراه، ص ٤١.

مع لحاظ أنّ الخفاء والغيبة لا يتنافيان مع كمال حجّية الإمام ﷺ فهما من السنن التاريخية ذات الارتباط بمسيرة الأنبياء والمصلحين<sup>(١)</sup>؛ ذلك بأنّ الغيبة تأتي لتكون (خطة تدرجية لإحكام المشروع الإلهي في إقامة الدولة الكبرى حتّى تمامية الشرائط بظهوره)<sup>(٢)</sup> بلحاظ أنّها لا تتنافى مع الوظائف الإصلاحية ومسؤولياتها ومهامّها<sup>(٣)</sup> التغييرية؛ فلا ينبغي أن يخطر ببال أنّها (انسحاب من ميدان العمل)<sup>(٤)</sup>، بل هي (تدبير وتكتيك من النشاط في السطح المعلن إلى النشاط الخفي كي يفسح له المجال بشكل أرحب وأوسع ليمارس أداء دوره)<sup>(٥)</sup>. وهي من جهة أخرى حالة من حالات الاستعداد لقيادة شاملة تتوخّى تغييراً كونياً عاماً يكون الإنسان فيه أداة وهدفاً؛ إذ إنّها بطبيعة الحال في مفهومها العام (مفهوم حضاري قرآني يستعرضه لنا القرآن الكريم في المصلحين الإلهيين والحجج الموعود ببعثهم لإنقاذ البشرية)<sup>(٦)</sup>.

وغير بعيد عن هذا ما كان قد شهدته الساحة النبوية من تدبير وتنظيم من دون لحاظ الهوية؛ فإنّ غير واحد من الأنبياء ﷺ قد مارس حضوراً فعلياً مؤثراً في مجتمع ما مع غياب هويته النبوية، أو انسحابه النسبي عن واقع

١. ينظر: الإمام المهدي والظواهر القرآنية - دراسة تستعرض الحركات الإصلاحية عبر التاريخ من خلال الرؤية القرآنية وتقارنها مع حركة الإمام المهدي ﷺ، ص ١٩-٢٦.
٢. الإمام المهدي المنتظر ﷺ نُصب عينيك كأنك تراه، ص ٨٨.
٣. ينظر: الإمام المهدي والظواهر القرآنية - دراسة تستعرض الحركات الإصلاحية عبر التاريخ من خلال الرؤية القرآنية وتقارنها مع حركة الإمام المهدي ﷺ، ص ٨٣.
٤. الإمام المهدي المنتظر ﷺ نُصب عينيك كأنك تراه، ص ٨٧.
٥. الإمام المهدي والظواهر القرآنية - دراسة تستعرض الحركات الإصلاحية عبر التاريخ من خلال الرؤية القرآنية وتقارنها مع حركة الإمام المهدي ﷺ، ص ٣٠٧-٣٠٨.
٦. ينظر: الإمام المهدي والظواهر القرآنية - دراسة تستعرض الحركات الإصلاحية عبر التاريخ من خلال الرؤية القرآنية وتقارنها مع حركة الإمام المهدي ﷺ، ص ٣٥.



الإدراك الحسي واعتزاله<sup>(١)</sup>؛ إذ إنَّ (ستار الخفاء يعطي كمال الحيوية وكمال الحرية في الحركة والنشاط والقيام بأنَّ ما يمكن من المسؤولية)<sup>(٢)</sup>.  
 ومن ثمَّ فإنَّ غيبة الإمام عليه السلام تمثَّل ضرباً من (التدبير الإلهي الذي يوصله درجة فدرجة إلى منصَّة الظهور)<sup>(٣)</sup> فالشهود، وعلى هذا أنَّ الإمام عليه السلام ينعقد بينه وبين الأنبياء عليهم السلام شبه كبير في بلورة الفكر الإنساني في طريق التغيير<sup>(٤)</sup> والإصلاح؛ ليكون ذلك في نسق من متطلبات تنفيذ البرامج الإلهية متصل. ومن الضرورة بمكان تأكيد أنَّ الإمام المهدي عليه السلام ليس فكرة مجردة، أو أملاً يداعب المشاعر المسلمة، فيستريح عنده المسلمون من حالات توثرهم النفسي عندما تتكالب عليهم المحن، بل المهدي عليه السلام إنسان حي يعيش مع الناس ويشهد همومهم وآلامهم، ويتربَّح مثلهم اليوم الموعود. غير أنَّ حركة التاريخ ومتطلبات التغيير الحضاري الشامل هي ما دعت إلى أن يكون غائباً ذا عمر طويل؛ ذلك بأنَّ هذا العمر المتماهي، والانتظار الطويل يتطلَّبه الدور التاريخي الفريد الذي يتنظر هذا الإمام، فينبغي أن يكون مسلَّحاً بشعوره النفسي الكبير، متوغَّلاً في التاريخ كي تيسَّر له فرصة هذا التغيير الحضاري الشامل، وتصغر أمامه الكيانات والحضارات<sup>(٥)</sup>؛ فينطلق لتأسيس حضارة قوامها العدل والتكافل الإنساني.

١. ينظر: الإمام المهدي والظواهر القرآنية - دراسة تستعرض الحركات الإصلاحية عبر التاريخ من خلال الرؤية القرآنية وتقارنها مع حركة الإمام المهدي عليه السلام، ص ٤٣-٨٢، ٣٠٧.
٢. الإمام المهدي والظواهر القرآنية - دراسة تستعرض الحركات الإصلاحية عبر التاريخ من خلال الرؤية القرآنية وتقارنها مع حركة الإمام المهدي عليه السلام، ص ٤٥.
٣. الإمام المهدي والظواهر القرآنية - دراسة تستعرض الحركات الإصلاحية عبر التاريخ من خلال الرؤية القرآنية وتقارنها مع حركة الإمام المهدي عليه السلام، ص ٧٤.
٤. ينظر: حياة الإمام المنتظر المصلح الأعظم - دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي، تحقيق: مهدي باقر القرشي، ط ١، دار جواد الأنثمة، بيروت ٢٠٠٨، ص ١٧.
٥. ينظر: بحوث في الإمام المهدي، محمد باقر الصدر، تحقيق: د. عبد الجبار شرارة، ط ١، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، قم ١٩٩٦، ص ٣٦-٣٩، ٥٩-٨٧.



أمّا ظهوره فحتمية عقلية، فضلاً عن أنّه ضرورة فلسفية؛ ذلك بأنّه ممثّل الفيض الإلهي الذي لا ينبغي أن ينقطع أو يتخلّف عن عالم الإنسان، ولا سيما ما يتّصل بانتشاله من الضلالة إلى الهدى<sup>(١)</sup>. ومن جهة أخرى تمثّل قضية غيبة الإمام المهدي عليه السلام مردوداً إيجابياً يتجسّد في تأكيدها عدم مرغوبة الظلم، وضرورة الاستعداد وامتلاك المقومات لمكافحته، فضلاً عن أنّ القضية المهدوية تعمل على إنتاج الشدّة إلى فكرة العدل والاستقامة، ووجوب تحقّقهما على الأرض<sup>(٢)</sup>.

## ٢- فتور الوحي والغياب المهدي وظهوره:

تتضمّن سورة (الضحى) المباركة إشارة إلى (فتور الوحي)، وتتضمّن أيضاً الدلالة الرمزية على مظاهر التكيّف النبوي مع هذه الفترة من خلال توظيف عناصر الكون في المنظومة القسمية التي تحفل بها هذه السورة<sup>(٣)</sup>؛ لإنتاج غرضها العالمي إنتاجاً رمزياً مكثفاً.

يُروى أنّ الوحي القرآني قد انقطع عنه صلى الله عليه وآله بعد نزول أوائل سورة (العلق) المباركة فترة من الزمن، ما كان منه صلى الله عليه وآله غير أن يلازمه في هذه الفترة حزن شديد<sup>(٤)</sup>. وكانت سورة (الضحى) المباركة هي ما نزل به الروح الأمين بعد ذلك<sup>(٥)</sup>.

١. ينظر: حياة الإمام المنتظر المصلح الأعظم - دراسة وتحليل، ص ١٤-١٥.

٢. ينظر: روائع محاضرات الوائلي، مركز الإمام الحسن للتحقيق والدراسات، ط ١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، بيروت ٢٠٠٨، ص ٦٦.

٣. ينظر: التفاعلية المعرفية بين مهيمنة فترة الوحي والسيرة النبوية - مقارنة سياقية في سورة الضحى المباركة، د. محمد جعفر العارضي، ضمن كتاب نظرية السياق بين التوصيف والتأصيل والإجراء، تحرير: د. محمد عبد العزيز عبد الدايم، د. عرفات فيصل المناع، سلسلة لأن، ط ١، مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، لندن ٢٠١٥، ص ٢١٦-٢٢٢.

٤. ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ط ١، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤١٣ هـ، ص ٢٠/٢٥١.

٥. ينظر: الكشف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل، ص ٤/٢٦٣.





ومن اللازم أن أذكر أن هذا الانقطاع يصح أن يقوم دليلاً على إلهية الخطاب القرآني؛ فيكون من الردود<sup>(١)</sup> الواقعية<sup>(٢)</sup> على مقولات بشرية الظاهرة القرآنية<sup>(٣)</sup>؛ ذلك بأن هذا الوحي لو كان من نفسه ﷺ، أو علمه إياه أحد لما انقطع عنه وهو يريد ويعيش حالة الألم لفراقه والشوق إليه<sup>(٤)</sup>.

تعالج هذه السورة المباركة ظاهرة (فتور الوحي) بتوظيف القسم، واللفت إلى الظاهرة الطبيعية الكونية المتمثلة بتعاقب الليل والنهار، وانتظام حركتهما، وتواليهما من دون أن يحدث هذا اضطراباً في النظام الكوني، واختلالاً في حركته من جهة، والحياة الإنسانية المرتبطة بهذا النظام من جهة ثانية، إذ تحرص السورة المباركة حرصاً شديداً على إخبار الرسول الأكرم ﷺ أن ما يحدث من (فترة الوحي) ورجوعه يمثّلان ظاهرة طبيعية<sup>(٥)</sup> أيضاً، ينبغي التعاطي معها على نحو من الاطمئنان كبير<sup>(٦)</sup>. يقول تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ (الضحى: ١-٣).

وهنا (يُقسم الله سبحانه بهذين الآيتين الرائقين الموحين، فيربط بين ظواهر

١. هنالك ردود متنوعة يذكرها الدارسون. ينظر: علوم القرآن - دروس منهجية، رياض الحكيم، ط ٢، دار الهلال، النجف الأشرف ٢٠٠٤، ص ٧٩-٩٥.

٢. ينظر: التفاعلية المعرفية بين مهيمنة فترة الوحي والسيرة النبوية - مقارنة سياقية في سورة الضحى المباركة، (بحث)، ص ٢١٥.

٣. هذه من شبهات المستشرقين التي تصدّى العلماء لردّها. ينظر: علوم القرآن، محمد باقر الحكيم، ط ١، مؤسسة شهيد المحراب للتبليغ الإسلامي، النجف الأشرف ٢٠٠٥، ص ١٧٦-١٩٠.

٤. ينظر: من هدى القرآن، محمد تقي المدرسي، ط ٢، مكتبة العلامة محمد تقي المدرسي، ص ١٨/١٦٨، الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ط ٣، دار الفكر، بيروت ١٩٦٨، ص ١٤٧.

٥. ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة عبد الرحمن، ط ٢، دار المعارف، مصر ١٩٦٩، ص ٢٠/١.

٦. ينظر: التفاعلية المعرفية بين مهيمنة فترة الوحي والسيرة النبوية - مقارنة سياقية في سورة الضحى المباركة، (بحث)، ص ٢١٧.



الكون ومشاعر النفس. ويوحى إلى القلب البشري بالحياة الشاعرة المتجاوبة مع هذا الوجود الجميل الحي، المتعاطف مع كل حي<sup>(١)</sup>؛ لتتأكد الدلالة في هذا السياق الحاني على (أن الرسول ﷺ عزيز مكرم عند ربّه لا يهمله ولا يحفوه، وأنّ صيّب تكريم الله ما يزال يتوالى فيضه فيرتقي به في درجات القرب ويوالي عليه نعمته حتّى يحصل له الرضا)<sup>(٢)</sup>.

ومن الملاحظ أنّه (تظهر الموافقة الدلالية والإيحائية التعبيرية أولاً في هذا القسم بين المُقسَم به (الضحى)، و﴿اللَّيْلُ إِذَا سَجَى﴾ والمُقَسَم عليه ﴿مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾؛ فتخلق السورة المباركة بهذه الموافقة ترابطاً حسيّاً بين القسم وجوابه)<sup>(٣)</sup>؛ لغرض خلق حالة من حالات خطاب الذات بما يبعث على التأمل، وإعادة إنتاج هذه الظاهرة الكونية فكريّاً، بما ينسجم مع أدوات التحول الحياتي المستشرف لما يأتي من مراحل المسيرة الرسالية.

معنى هذا أننا أمام دعوة للذات لاستلها ما يمكن استلهاه من الدمج بين (فتور الوحي) والظاهرة الطبيعية التعاقبية من جهة، والاستعداد لاستدعاء هذا الدمج التطميني وقراءة ما سيحدث مستقبلاً في ضوءه من جهة ثانية. يظهر أنّ القسم في سورة (الضحى) المباركة يأتي ليُمثّل منظومة متماسكة تكون مصداقاً وميداناً لملاحظة عناصر الحوار المتفاعل بين السماء والأرض، من خلال صياغة الخاصّة القرآنية في هذا السياق على نحو متفرّد يحقق معطيات حدث (فتور الوحي) والأثر المتبغى من توظيفه توظيفاً سياقياً قرآنيّاً يفتح على مظاهر حياتية وفكرية متنوعة.

١. في ظلال القرآن، سيد قطب، ط ١١، دار الشروق، بيروت، ص ٨ / ٥٦.

٢. القسم في اللغة وفي القرآن، محمد المختار السّلامي، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٩، ص ٩٥.

٣. التفاعلية المعرفية بين مهيمنة فترة الوحي والسيرة النبوية - مقارنة سياقية في سورة الضحى المباركة، (بحث)، ص ٢١٧.



ومن أهمّ هذه المظاهر في هذا السياق مسألة انفتاح ذلك على امتداد الخطّ النبوي، ولفت الانتباه إلى أنّ هذا الامتداد قد يكون مألوفاً ظاهراً، وقد يتجلى في حالة الغياب من خلال آثاره الوجدانية والعقائدية بلحاظ انتظار الخلاص به، وما يخلقه غيابه من حالة التفاضل بضرورة تحقق الإصلاح. ويكون ذلك على نحو من البشري، وتأكيد الانتفاع من الغياب<sup>(١)</sup>، وتأثير ذلك في الإشارة إلى استقرار الحياة بلحاظ دمج ثنائية القسم النهاري بالليلي<sup>(٢)</sup>.

ويمكن النظر في انقطاع الوحي أو غيابه المرحلي على أساس أنّه تمهيد لانتظار غياب آخر يكون في مستقبل الأيام، أو توقُّع غياب مرحلي أيضاً يدخل في صلب تركيب العملية الرسالية والعقدية. بمعنى أنّ هذا الانقطاع يؤسّس لحالة كبرى ومهمّة، ويريد أن يؤكّد قضية مفادها أنّ الغياب بوصفه ظاهرة سيكون مظهراً أصيلاً ورئيساً من مظاهر العقيدة ومسيرة التغيير والإصلاح. مع لحاظ أنّ الغياب بحد ذاته (يحقق حالة من المران والتفكير)<sup>(٣)</sup>، والرغبة في كنه أسرار الغياب فضلاً عن الغائب، ناهيك عن أنّه يستلزم انتظاراً بما يشبه المشاركة في إنتاج الظهور على نحو الاعتقاد به مرّة، والترويج والتمهيد له مرّة أخرى.

تظلّ في هذا السياق إشارة (الضحى) إلى رسالة النبي الخاتم ﷺ تأتي بلحاظ مضامينها الإنسانية الخالدة التي هي مضامين تتناغم مع المعطيات الحياتية. أمّا ما يتصل بمفهوم (الليل) فهو ظرف موحش عندما يدلّ على

١. ينظر: التفاعلية المعرفية بين مهيمنة فترة الوحي والسيرة النبوية - مقارنة سياقية في سورة الضحى المباركة، (بحث)، ص ٢٢٣.

٢. ينظر: الأقسام في القرآن الكريم - دراسة منبسطة حول الأقسام الواردة في الكتاب العزيز، جعفر السبحاني، ط ١، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، إيران ١٤٢٠ هـ، ص ١٧٦.

٣. التفاعلية المعرفية بين مهيمنة فترة الوحي والسيرة النبوية - مقارنة سياقية في سورة الضحى المباركة، (بحث)، ص ٢١٧.

انقطاع مصدر الهدى، ومظهره الأرضي من جهة، وقد يدلُّ على ابتعاد البشرية من مسلمين، وغير مسلمين عن روح الهدي النبوي، وجوهر الدين الإلهي الحق، وانشغالهم بفهم بشري للدين قد يكون مشوّهاً من جهة أخرى. ومن الضروري تأكيد أن هذه الإشارة هي ما يتناسب مع معطيات التحليل الدلالي الموسّع من جهة، ومع تقنيات التوظيف القرآني الساعي إلى خلق أجواء من الثراء الدلالي المرتبط بمعطيات التوسع الفكري، الذي ينظر في العملية اللغوية بلحاظ تداولي لا ينفصل عن الحدث المجتمعي، وإنتاجه بما يحقق تمهيداً لسانياً مطلوباً لقضية الإسلام الكبرى، تتكفّل به اللسانية القرآنية في أطوارها الأولى من جهة أخرى.

ولمّا وظّف - النص - العناصر الطبيعية السماوية للدلالة على المعادل الأرضي فإنه يشير إلى الانتقال من الحالة الفردية إلى الحالة الجماعية ذات الأفق العالمي؛ إذ تظهر (آفاق التفاعل مع الآخر الإنساني على نحو حياتي. من دون أن يغيب تفاعلها الكوني، وأثرها في إنتاج التكامل الإنساني)<sup>(١)</sup>.

من هنا ألحظ القضية الكبرى التي أحسب أنّها الهدف المغزوي المستقبلي الذي أرادته سورة (الضحى) المباركة متمثلاً بغياب ممثّل الفكر النبوي؛ فوظّفت له الحدث الآني متمثلاً بانقطاع الوحي عن الرسول الأكرم ﷺ. وكان ذلك ضرباً من تحضير النفوس لمثل هذا الغياب وصولاً إلى الإيمان به والتمهيد لظهوره، على مستوى المستقبل البشري، في السعي إلى التغيير من خلال ظهور ما كان غائباً ليمارس قيادته وفعله الحيّاتي المؤثر على نحو علني ومباشر.

ومن جهة أخرى - وهي على غاية كبرى من الأهمية - فإن هذا يكون توثيقاً قرآنياً لحدث بحجم حدث الغياب المهدوي وظهوره. ولأنّه ضرورة من

١. التفاعلية المعرفية بين مهيمنة فترة الوحي والسيرة النبوية - مقارنة سياقية في سورة الضحى

المباركة، (بحث)، ص ٢٢٢.



ضرورات الدين قرنه الخطاب القرآني رمزاً بالوحي وفتوره في أوائل الدعوة إلى الدين؛ ليضمن الإشارة العقديّة الكبرى إلى ارتباط الدين به بلحاظه المستقبلي، وليحرص من خلال هذه الإشارة على ضرورة مداومة النظر العقلي في آيات الخطاب القرآني لتوحي الدلالة الرمزية على القضية المهدوية هنا أو هناك.

### ٣- أقسام سورة (الشَّمْس) والظهور المهدوي:

يشغل القسم القرآني السورة المباركة ليتضمّن مجموعة من الإشارات والرموز؛ إذ يمثّل القسم في سياق هذه السورة المباركة نسقاً دلاليّاً مكثّفاً ومتراكباً. واللافت أن سورة (الشَّمْس) المباركة قد امتلأت بالقسم، وهيمن على نسقها. يقول تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ٤ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ٨﴾ (الشمس: ١-٨).

ولعلّ إقامة مقارنة رمزية بين أجواء السورة وأقسامها من جهة، والظهور المهدوي ومعطياته من جهة ثانية يمكن العمل عليها من خلال قراءة العلاقة الرمزية التضافية بين (الشَّمْس) و(النَّفْس) في سياق السورة المباركة، وقراءة الحشد الفعلي الحركي في أقسامها، وذلك من خلال التالي:

#### أ - الشمس والنفس وثنائية الظهور والغياب:

يأتي الاقتران بين الشمس والنفس في موضع واحد في الخطاب القرآني، ذاك هو ما كان من توظيفهما في سياق سورة (الشَّمْس) المباركة. ويظهر واضحاً أنّ القسم في هذا السياق كان بعناصر بصرية؛ ما يخلق صورة حركية ذهنية محسوسة. مع لحاظ أن السياق يتحوّل بهذه العناصر الطبيعية إلى عناصر معنوية. بمعنى أن القسم يكسبها بعداً روحياً، ويجعل منها قابلة للترميز والإيجاء.

يبدو أن القسم بهذه العناصر بلحاظ وجودها الكوني النظامي. وبلحاظ إحالتها إلى الفعاليات الحياتية التي تتضمّننها يأتي ليمثّل تمهيداً للقسم بالنفس

من جهة، واستثماراً لمهمة عبادية<sup>(١)</sup> من جهة ثانية. والمقسم بها عارف بها وبأسرارها محيط بدقائق أمورها؛ فهو خالقها من جهة، وهي دالة على أنّ مصدر هذا الكلام وهذه المعرفة ليس بشرياً، وهذا إعجاز ودعوة إلى التوحيد والإيمان.

تنوّع السورة المباركة وهي سورة قَسَمِيَّة على قصرها بين عناصر الضياء والظلمة المادية والمعنوية. وتنظم في علاقات حميمة أو تسببية مع مضمون القسم في صدر السورة المباركة.

إنّ هذه النَّفس يريدُها الخطاب القرآني أن تكون شمساً تُضيء مسيرة الحياة الإنسانية، تتمثّل فيها قيم الصّلاح والإصلاح والعلم والتسامح والأمل والنظام والعدل، فالشَّمْسُ في حركتها عادلة منتظمة. وهذه الشَّمْسُ يريدُها الخطاب القرآني للعالم، وهذه النَّفس للعالم أيضاً؛ ما يعني أنّ الأرض بلحاظ المغزى لا يمكن أن تخلو من ممثّل السماء فيها، حيث المصلح الذي يتمثّل جوانب الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والإدارية؛ فتكون هذه السورة المباركة من السور التي تتكلّم على قضية الإسلام الكبرى التي تتمثّل في نشر العدل، والإصلاح، وإزاحة الجور، والظلم العالمي، وإحلال العدل العالمي الذي ينهل من العدل الإلهي. وهذا يقارب ما تعمل عليه الشمس في نشرها الضياء.

من هنا يظهر أنّ هذه السورة المباركة ترمز -من بين ما ترمز إليه- إلى تلكم القضية الكبرى، ورسم ملامح الشخصية التي تنهض بأعباء التغيير وإقام العدل.

نحن أمام عناصر ضياء سماوية وعناصر ظلمة أرضية، ف يريد الخطاب القرآني أن يبدّد الظلمة الأرضية، ويستبدل بها نوراً سماوياً إلهياً تشرق الأرض كلّها بنوره وتزدهر الحياة.

١. ينظر: التفسير البنائي للقرآن الكريم، د. محمود البستاني، ط ١، مجّع البحوث الإسلامية، مشهد



واللافت أنَّ العناصر الضيائية النورية تتخذ من الشَّمْس مركزاً لها تستمدُّ منه ضياءها. وكأنَّ هذا يشير إلى أنَّنا نتطلَّع إلى شخصية (شمسية) منقذة تختزل -ويجب أن يكون تطلُّعنا مثل هذه الشخصية حسب- فيها كلُّ رغبات الإصلاح والتغيير، شخصية مركزية في مسيرة حياة الإنسانية على هذه الأرض التي بدأت مشرقة بالإنسان وأضحت مظلمة به، وستعود به مشرقة إشراقة تؤهِّلها للإشراق الأخرى.

الشمس والأرض والإنسان هذا المثلث المعارفي المتصل المنفصل. هذا المثلث الطيفي الذي هو في حقيقته مؤلَّف من أجزاء متقابلة مفارقة لكنَّها متحدة متسقة متناسقة الأدوار والمراحل. تظهر الأرض وهي تتوق إلى الشمس، والأرض تتوق إلى الإنسان (النَّفْس).

والحياة التي يسعى إلى إنتاجها الخطاب القرآني حياة تفيض إشعاعاً وهدى ورحمة ونفعاً؛ فيتحوَّل الإنسان إلى مصدر إشعاع فكري في الحياة والحبِّ والشجاعة والوفاء والتضحية، وتحوَّل إلى محطة وحدة تتوحَّد عندها الإنسانية. تتضمَّن السورة المباركة مشروع الإصلاح والإصلاح وتقدِّم أدواته الفكرية؛ إذ تهيات النفس لتكون جزءاً من مشروع السماء في الأرض، ولتكون أداة من أدوات تحقيق هذا المشروع النهضوي الإنساني العام بعد أن تمثَّل الإنسان مشروع النهضة الخاصَّة، فنهض بذاته وهذبها ودرَّبها وزهَّدها بمجموع الممارسات الروحية والرياضات الأخلاقية، وتلقَّى العلم النافع، وجعل العقل يتولَّى الزمام؛ فصار مؤهَّلاً أن يقوم مقام الأمة فيستخلص همومها وعذاباتها فيصلح واقعها بفعله اليومي، وفعله الفكري، وفعله الموقفى المفصلي الذي تفرضه اعتبارات المرحلة، وما يصبطُ فيها من صراعات ونزعات تروم الجنوح عن الجادَّة أو جنحت فعلاً.

ومن الإشارة أن السياق القرآني في هذه السورة المباركة (أقسم هنا بشيء من العالم العلوي والعالم السفلي)<sup>(١)</sup> من جهة، وجاء أيضاً القسم من جهة ثانية (بما هو آلة التفكير في ذلك وهو النفس)<sup>(٢)</sup> بلحاظ وجودها العبادي<sup>(٣)</sup>. ولعلّ الفحوى في الجمع بين هذين القسمين تتمثل في (لفت الانتباه إلى الظاهرة الكونية التي تجسّد معنى الإنسان ودلالة وجوده في الحياة، متمثلة في كونه يمارس تجربة العمل العبادي في وجوده ضمن الظاهرة الكونية، وهذه التجربة هي كونه يحمل نفساً أو قلباً أو عقلاً أو دوافع ذات قابلية على تمييز الحقائق)<sup>(٤)</sup>؛ فتظهر الدلالة الكبرى في هذا السياق على (تحديد مسؤوليتنا حيال الوجود)<sup>(٥)</sup>. وعلى الرغم من أن النَّفْس في هذا السياق هي النفس التي (أنشأها وأبدعها مستعدة لكمالها)<sup>(٦)</sup>، فإنّ ذلك لا يمنع من أن تكون ذات إحياء بنشرها الكمالات، وتبنيها لمشروع الصلاح والإصلاح. ولا سيما أن الله تعالى قد خصّها بالقسم هنا. وهي تحتمل أن تكون (إشارة إلى نفس معينة ذات أهمية)<sup>(٧)</sup>. وتأتي هنا مسألة كبرى هي أن القسم في السياق القرآني يتحوّل إلى مظهر من مظاهر الدعوة إلى التوحيد وتكريس هذا في النفس الإنسانية من خلال عرض مكنونات العالمين العلوي والسفلي والحثّ على التفكير فيهما وصولاً إلى

١. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، مكتبة ومطابع النهضة الحديثة، المملكة العربية السعودية، ص ٤٧٨ / ٨.

٢. البحر المحيط / ٨ / ٤٧٨.

٣. ينظر: التفسير البنائي للقرآن الكريم، ص ٣٥٢ / ٥.

٤. التفسير البنائي للقرآن الكريم، ص ٣٥١ / ٥.

٥. التفسير البنائي للقرآن الكريم، ص ٣٥٢ / ٥.

٦. تفسير أبي السعود، محمد بن محمد العمادي، وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، ط ١، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩، ص ٤٣٣ / ٦.

٧. منّة المنان في الدفاع عن القرآن، محمد الصدر، تحقيق: مؤسّسة المنتظر لإحياء تراث آل الصدر، ط ١، دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام، بيروت ٢٠١٢، ص ١٥٦ / ٢.





الخالق العظيم لهذه العوالم فالوصول إلى التوحيد<sup>(١)</sup>.

ولعلَّ القسم هنا جاء للدلالة على كثرة الانتفاع بالمقسم به<sup>(٢)</sup>، والشَّمْسُ هنا هي التي تجلِّي الظلمة<sup>(٣)</sup>. مع لحاظ (أنَّه أقسم بالنهار في أكمل حالاته)<sup>(٤)</sup>. والليل هو الذي يغشى الشَّمْسُ<sup>(٥)</sup>. ومن جهة أخرى يظهر (أنَّ الظواهر الكونية المذكورة تجسّد الحياة بكل معطياتها المادية والجمالية التي يتمُّ تكيّف الإنسان من خلالها)<sup>(٦)</sup>.

ومن الملاحظ أنَّ القسم بالشَّمْسُ بحد ذاته مثل التفاعل الحياتي وحالة التغيير المصاحبة لهذا التفاعل، إذ جاءت (هذه الأقسام بالشَّمْسُ في الحقيقة بحسب أوصاف أربعة ضوءها عند ارتفاع النهار وقت انتشار الحيوان وطلب المعاش وتلو القمر لها بأخذه الضوء وتكامل طلوعها وبروزها وغيبوبتها بمجيء الليل)<sup>(٧)</sup>. مع إمكان دلالة (الشَّمْسُ) و(القَمَر) دلالة ذات انتشار معنوي كبير؛ ذلك بأنَّ لهذين المفهومين مجموعة من المصاديق التي إن لحظ مشروعها المعنوي<sup>(٨)</sup>، فإنه يفتح الباب واسعاً أمام مقولة: إنَّ الآفاق المعنوية منظورة هنا، ولا سيما مظاهر الإصلاح والتغيير، وما يكتنفهما من معطيات وأدوات ظاهرة وباطنة.

١. ينظر: مفاهيم القرآن - دراسة الأمثال والأقسام في القرآن الكريم، جعفر سبحاني، ط ٣، مؤسسة

الإمام الصادق عليه السلام، إيران ١٤٢٥ هـ، ص ٩/٤٥٠.

٢. ينظر: التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: أحمد قصير العاملي،

ط ١، مكتب الإعلام الإسلامي، قم ١٤٠٩ هـ، ص ١٠/٣٥٦.

٣. البحر المحيط ٨ / ٤٧٨.

٤. البحر المحيط ٨ / ٤٧٨.

٥. البحر المحيط ٨ / ٤٧٨.

٦. التفسير البنائي للقرآن الكريم، ص ٣٥٠-٣٥١.

٧. البحر المحيط ٨ / ٤٧٨.

٨. ينظر: مئة المئان في الدفاع عن القرآن، ص ٢ / ١٤٥-١٤٦.

والتعاطي الرمزي مع (الشَّمْس) و(القَمَر) في سياق السورة المباركة قد وصل بهما إلى الدلالة على ثنائية المعلّم والتلميذ، وما يدور بينهما من فعل تعلّم الحقيقة<sup>(١)</sup>. وهذا من مظاهر الانتشار المعنوي التي يمكن أن تكون مقارنة إصلاحية توعوية ذات أسس رمزية كبرى. غير أنّها من المنظور الدلالي الذي لا يُعَدُّم في لسانية الخطاب القرآني. ومن هنا تأتي قراءة آفاق التلازم الرمزي بين مظاهر الدلالة في السورة بوصفها الكليّ ومهامّ الإمام المهدي ﷺ في نشر العلم والخير والعدل.

ومثلما ظهر في سورة (الضُّحَى) المباركة التحوُّل بعنصر الظلام إلى عنصر ضياء جاءت سورة (الشَّمْس) المباركة لتجعل من عناصر النور تشتغل لتضيء عنصرًا واحدًا هو الإنسان (النَّفْس). واللافت أنّ عناصر الظلام هنا أقل فاعلية وأثراً. والجليل أنّها تمثّلت في عنصرٍ واحدٍ (الليل) في حين تعدّدت وتنوّعت عناصر الضياء.

يظهر أنّ مظاهر الإصلاح كلّها تسعى إلى إصلاح النفس الإنسانية وتهذيبها؛ فعلى الإنسان أن يستجيب لإرادة هذه المظاهر التي تملأ عليه الآفاق، ويعيش هو بسببٍ منها، هذا من جهة. وتمثّل هذه العناصر مخلوقات بديعة تدعو الإنسان إلى أن ينظر فيها نظر متفكّر متأمل سائل من جهة أخرى؛ وصولاً إلى أنّها لا تصدر إلّا من خالق مبدع؛ ولما كانت متسقة متكاملة الجمال والجلال فهي تصدر من خالق مبدع واحد.

و(الأَرْض) في سياق القسم تشير بلحاظ معنوي إلى العقل والنَّفْس<sup>(٢)</sup>، ولا ينفكُّ اتصالها بلحاظ مادي بالشَّمْس، ولا يمكن أن يخطر ببال أحد أنّها تستغني عنها؛ فتأتي إشارة النص إلى أنّ الإنسان لا يمكن له أن يحيى بعيداً

١. ينظر: منّة المنان في الدفاع عن القرآن، ص ١٤٦-١٤٧.

٢. ينظر: منّة المنان في الدفاع عن القرآن، ص ١٥٥.



عن الله تعالى، بعيداً عن العدل، والحق، والتفكير في ظهورهما وآليات انتظار تحققهما في عالم الإنسان. وفي ملمح اجتماعي إشاري لا يمكن له أن يحيى بعيداً عن أخيه الإنسان، فكلُّ يحتاج إلى الآخر، مثلما هي عناصر الكون تتنظم في منظومة متكاملة، فعلى الإنسان أن يتعلّم منها درساً تنظيمياً إدارياً يتمثل في تكامله مع الآخرين، وتعاونه بعيداً عن الإقصاء، والإلغاء.

ويمكن أن يقال في هذا السياق: إنّ الضياء يثور على الظلام فكرياً ومادياً. ويظهر الرمز من خلال مقارنة ذلك إلى بناء الإنسان؛ فهذا البناء المادي يهدف إلى وضع نموذج للبناء الروحي من طريق إشارته إلى أنّ النفس عليها أن تتمثّل في البناء المحيط وتكتشف خفاياه وتتفع به.

السورة المباركة تتكلم بلحاظ وحيها الدلالي على الذات التي تصنع المجد والتاريخ والنفعة للعباد والبلاذ، وتجعل ذلك متاحاً يومياً، فهي لا تقتصر في خطابها على إنسان يصنع التاريخ صنفاً مرحلياً، بل تشير إلى إنسان يصنع التاريخ بفعله اليومي المعيش كما تفعل الشمس فهي فاعلة في الحياة يومياً. وهذا ما يستلزم إنساناً يتبادّ عمره، ويعيش الحياة على نحو من الغياب يناسب هذا التهادي والطول وإن لم يكن يستلزمه، والتطلع إلى الظهور في كلّ آن. ما يعني أنّه في مسيرة حياة الإمام المهدي (ع) كانت السرية هي غطاء لتأمين أداء دوره الفاعل وتأثيره<sup>(١)</sup> في إدارة الحياة وإنتاجها على نحو جديد.

### ب- حركية الأقسام وتجليات الظهور والعدل:

يقود النظر في أقسام سورة (الشمس) المباركة إلى أنّها أقسام ذات خصائص أسلوبية دلالية حركية بامتياز. بمعنى أنّها جاءت متلازمة مع منظومة فعلية

١. الإمام المهدي والظواهر القرآنية - دراسة تستعرض الحركات الإصلاحية عبر التاريخ من خلال

الرؤية القرآنية وتقارنها مع حركة الإمام المهدي (ع)، ص ٤٥.

تتكامل وتتضافر في إنتاج المعنى على المستوى العرفي والمستوى الرمزي. وما كان اسماً مقسماً به فقد استعمل والحركة ملحوظة فيه.

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾: ينظر القسم هنا إلى الشمس بلحاظ حركتها؛ ذلك بأنه يلفت إلى وقت من أوقاتها المعهودة. مع لحاظ إشارة هذا الوقت إشارة رمزية إلى الهداية والرحمة<sup>(١)</sup> والعدل.

﴿وَالقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا﴾: في هذا المقطع من القسم يشير الخطاب القرآني إلى تلو القمر للشمس، في حركة دائبة منتظمة. ولعلّه يريد المرتبة (في الاستدارة وكمال النور)<sup>(٢)</sup>. ولا تُعدم الإشارة في هذه الحركة؛ ذلك بأنها تشير رمزاً إلى التعليم<sup>(٣)</sup>، والهداية أيضاً. وهذه الإشارة الدلالية مرتبطة بطبيعة الحال بما للقمر من إشارة معنوية مرر ذكرها.

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾: العلاقة بين النهار والشمس علاقة ظاهرة. غير أنّ تجلية النهار للشمس تبعث على التأمل الذي يملك القياد الموصل إلى أنّ التجلية للأرض<sup>(٤)</sup> رمزاً إلى مقولات معنوية كالجهاالة، والذنوب<sup>(٥)</sup>، وانقطاع الأمل؛ فيكون الرمز بضرورة الانتظار وحمية الظهور لمن يجلي هذه الظلمات وينشر العدل والنور.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾: تتصاعد الدلالة الرمزية في استعمال ﴿يَغْشَاهَا﴾؛ لتصل إلى الدلالة على (غشيان الفجور الأرض)<sup>(٦)</sup>؛ فيرتبط هذا بما يزيله في

١. ينظر: منّة المنان في الدفاع عن القرآن، ص ٢ / ٦٩، ١٤٥.

٢. تفسير أبي السعود، ص ٦ / ٤٣٣.

٣. ينظر: منّة المنان في الدفاع عن القرآن، ص ٢ / ١٤٧.

٤. ينظر: تفسير أبي السعود، ص ٦ / ٤٣٣.

٥. ينظر: منّة المنان في الدفاع عن القرآن، ص ٢ / ١٤٧.

٦. الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، ط ١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت،

لبنان ١٩٩٧، ص ٢٠ / ٢٩٧.



آخر الزمان على نحو من التبشير التمهيدي في ضوء ارتباطه بآيتي ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾، و﴿وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ ذات الدلالة رمزاً على بسط الخير والعدل.

ولعلّ من مظاهر الحركة في هذه المنظومة القسمية الكبرى أنّها مرتبطة في سياقها بالدلالة على (أنّ العمل الصالح ومجاهدة النفس كي لا تسترسل مع هواها، هو طريق السلامة والنجاة، وأنّ الارتخاء إلى الشهوة، والأثرة، والعناد، هو طريق الشقاء)<sup>(١)</sup>.

وهذه التجليات الحركية الهادية العادلة الرحومة بمجملها هي تجليات كبرى يكون الإمام المهدي ﷺ من أكبر مصاديقها وأعلاها؛ فهو يعيش حركة عمر مستمر يواكب فيه أحداث الحياة، ويتنظر أن يفعل فعله الإصلاحية الكبير.



**ALMAUOOD**

[www.m-mahdi.com/almauood](http://www.m-mahdi.com/almauood)

[almauood@m-mahdi.com](mailto:almauood@m-mahdi.com)

## أقوال بعض الفرق في الغيبة والرد عليها

أحمد عبد الله حميد العلياوي

### المقدمة:

تعد الدراسات المتعلقة بالعقيدة المهدوية من الدراسات المهمة في التاريخ الإسلامي والتي لم يكن لها نصيب وافر ما قبل العام (٢٠٠٣م) في الجامعات العراقية أو في البحوث والدراسات الأكاديمية أو الدراسات العليا في أقسام التاريخ، ولم يكن ما كتب بهذا الموضوع قبل هذه المدة متاحاً بصورة عامة للاطلاع عليه، وخلال العقد والنصف المنصرم ما بعد العام المذكور أتيحت الفرصة للخوض في هذا الموضوع وطرحت الكثير من الكتب والدراسات في خارج الوسط الأكاديمي وداخله في داخل العراق وخارجه حيث تناولت الكثير من حيثياتها، وكذلك فتح المجال للاطلاع على ما كتب في القضية المهدوية ما قبل التاريخ أعلاه، وقد اطلعنا على عدد من الدراسات التي كتبت في هذا المجال في الأوساط الأكاديمية، وجدنا أن بعضاً منها بحث القضية المهدوية والغيبة ووقوعها وأسبابها وحياة الإمام المهدي عليه السلام إلا أن الدراسات لم تركز في أهم جزئية من تلك القضية، وهي إثبات الغيبة ووقوعها أو أنها ليست بالأمر الطارئ على البشرية، أي إنها لم تركز بصورة مباشرة على إثبات وقوع الغيبة بالثاني عشر من الأئمة عليهم السلام بالرغم من أن بعض الباحثين تناول



هكذا موضوع ضمناً داخل البحوث أو تلك الكتب، وليس موضوعاً رئيساً إذ لا توجد دراسة أكاديمية مستقلة بهذا الصدد، فكان هذا السبب الرئيس لاختيارنا لموضوع الدراسة في هذه الأطروحة.

فكان اختيارنا لموضوع الرواية المهدوية من خلال كتاب إكمال الدين وإتمام النعمة للشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) دراسة تحليلية مقارنة.

يعد الكتاب من أوائل الكتب المصنفة في تاريخ التشيع حول القضية المهدوية ومن الكتب المتقدمة، وقد ألّفه سنة (٣٥٤هـ / ٩٦٥م) أي بعد وقوع الغيبة الكبرى بخمس وعشرين سنة، فهو من أهم كتب الغيبة ويعد مصدراً مهماً نقل رواياته أغلب من ألّف في الغيبة من المتقدمين الذين أتوا بعد عصر الصدوق وعند أغلب المتأخرين، ولم يسبق الصدوق للتأليف في الغيبة سوى النعماني صاحب كتاب الغيبة وقد ألّفه سنة (٣٤٢هـ / ٩٥٣م).

فوقع الاختيار على هذا الكتاب بالدراسة والتحليل فهي محاولة لإخراجه بطريقة بحث أكاديمي على وفق منهج البحث التاريخي تطرح أمام القراء بصورة مبسطة وترجمة المفردات الغريبة في أحاديثه ورواياته والتي من خلالها يمكن فهم الكثير من مواضيع الغيبة، والهدف من الدراسة أيضاً هو إثارة موضوع الكتاب في الوسط الأكاديمي لأهمية موضوعه بخصوص تلك القضية التي يمكن أن نسميها تاريخ المستقبل، أضف إليها شمولية الكتاب لاحتوائه على مواضيع تاريخية متنوعة.

انتظمت هذه الدراسة بتمهيد وخمسة فصول وخاتمة وثلاثة ملاحق وقائمة بالمصادر والمراجع وملخص للموضوع باللغة الانكليزية، وقد وضعنا في بداية كل فصل مقدمة توضيحية لموضوع الفصل أو عدد رواياته. والبحث الذي بين يديك - عزيزي القارئ - مستل منها.



أقوال بعض فرق الغيبة وردها<sup>(١)</sup>،<sup>(٢)</sup>:

أولاً - قول الكيسانية<sup>(٣)</sup>، في الغيبة:

ينقل المصنف رأي الكيسانية في الغيبة، ويقول: إنهم يدعون هذه الغيبة لمحمد بن الحنفية عليه السلام، ويروي في ذلك أبياتاً شعرية للسيد الحميري في ذلك حسب معتقد الكيسانية وكان الحميري<sup>(٤)</sup>، حينها منهم قال:

١. بحث مستل من دراسة قَدَّمها طالب الدكتوراه أحمد عبد الله حميد بعنوان (الرواية المهدوية من خلال كتاب إكمال الدين وإتمام النعمة للشيخ الصدوق - دراسة تحليلية مقارنة)، وحازت على درجة (الامتياز) في جامعة المستنصرية.

٢. ذكرت هذه المواضيع في بداية الكتاب من قبل المصنّف، إذ لعله كان يرى من المناسب أن تكون في مقدمة المواضيع في كتابه، حيث كان زمانه القريب على بداية عصر الغيبة الكبرى فيه الكثير من النقاشات والخلافات حول الغيبة وفكرتها وصاحب الغيبة، هذا فضلاً عن الإشكالات حول الإمامة بصورة عامة، لذا وضعها مقدمة لكتابه قبل أن يطرح الأخبار والروايات التي تتحدث عن الغيبة، وأغلبها تدور مواضيعها عن سبب الغيبة أو أنّ أباه لم ينص عليه، أو أنه لم يولد بعد، وبعض هذه الفرق تسوق الغيبة في شخصيات غير الإمام المهدي عليه السلام، وقد طرحنا مع هذه الردود المطروحة على أقوال تلك الفرق حول الغيبة بعض الأحاديث لموضع حاجتها هنا، وسنضع ردود المصنّف ونضع بعض الاستدلالات بما ورد من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام مع محاولة إعطاء فكرة تحليلية مع كل إشكال.

للاطلاع على جميع ما طرحه المصنّف بتفاصيله من إشكالات وشبهات وردود، ينظر: الصدوق، إكمال الدين: ج ١، ص ٥٢ - ١٣٩.

٣. فرقة تقول بإمامة محمد بن الحنفية لأنه كان صاحب راية أبيه يوم البصرة فسُمّوا بالكيسانية، وقيل إنهم سُمّوا بالكيسانية نسبة إلى المختار الثقفي الملقب بكيسان، وقيل إنّ الإمام علي عليه السلام لُقّب بذلك وكان المختار يقول بإمامة محمد بن الحنفية دون أخويه، للمزيد ينظر: النوبختي، الحسن بن موسى (من أعلام القرن الثالث) - فرق الشيعة: ط ١، منشورات الرضا عليه السلام، (بيروت، ٢٠١٢م)، ص ٥٨ - ٥٩؛ المسعودي، مروج الذهب: ج ٣، ص ٧٧ - ٧٨؛ الشهرستاني، الملل والنحل: ج ١، ص ١٥٦ - ١٦٣؛ وللسيد الخوئي بيان على مجمل الأخبار الواردة في المختار الثقفي بأنه نسب إلى الكيسانية، والقول باطل، فإن محمد بن الحنفية لم يدع الإمامة لنفسه حتّى يدعو المختار الناس له، ينظر: معجم رجال الحديث: ج ١٩، ص ١٠٩ - ١١٠.

٤. الصدوق، إكمال الدين: ج ١، ص ٥٤.



ألا إن الأئمة من قريش  
علي والثلاثة من بنيه  
فسبّ سبب إيمان وبر  
وسبّ<sup>(١)</sup> لا يذوق الموت حتّى  
يغيب فلا يرى عنا زماناً  
ولاة الأمر أربعة سواء  
وهم أسباطنا والأوصياء  
وسبّ قد حوته كربلاء  
يقود الجيش يقدمه اللواء  
برضوى<sup>(٢)</sup> عنده غسل وماء<sup>(٣)</sup>

ويقول الصدوق: إن السيد الحميري بقي ضالاً يعتقد الغيبة في محمد بن الحنفية حتّى لقي الإمام جعفر بن محمد عليه السلام ورأى علامات الإمامة وشاهد فيه دلالات الوصية، فسأله عن الغيبة فذكر له أنها حق وهي تقع في الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام وأخبره بموت محمد بن الحنفية، وأن الإمام الباقر عليه السلام شهد دفنه فرجع السيد الحميري واهتدى على يد الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وقال بغيبة الإمام الحجة عليه السلام<sup>(٤)</sup>، وقال بعدها قصيده طويلة في غيبة القائم عليه السلام مما جاء فيها:

بأن ولي الأمر والقائم الذي  
له غيبة لا بد أن يغيبها  
تطلع نفسي نحوه بتطرب  
فصلّي عليه الله من متغيب<sup>(٥)</sup>

ثم يقول المصنف: إن الراوي لهذا الحديث يدعى حيّان السراج<sup>(٦)</sup> من الكيسانية،

١. والمقصود هنا محمد بن الحنفية كما هو معروف تاريخياً بعد أحداث كربلاء واستشهاد أغلب أولاد أمير المؤمنين عليه السلام ولم يبقَ منهم سوى محمد بن الحنفية.
٢. يقال إنه جبل في المدينة والنسبة إليه رضوي، وهو على يمين مكة من جهة المدينة، ينظر: الحموي، معجم البلدان: ج ٣، ص ٥١.
٣. ينظر: الحميري، ديوان السيد الحميري: ص ٢٠ - ٢١؛ الصدوق إكمال الدين: ج ١، ص ٥٤.
٤. إكمال الدين: ج ١، ص ٥٥.
٥. الحميري، ديوان السيد الحميري: ص ٤٩؛ الصدوق، إكمال الدين: ج ١، ص ٥٥؛ المفيد، الإرشاد: ص ٣٥٧.
٦. لم أعثر له على ترجمة سوى أن اسمه حيّان السراج والتقى بالإمام الصادق عليه السلام وحديثه بشأن محمد بن الحنفية، ينظر: الكشي، رجال الكشي: ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

ومتى صح موت محمد بن الحنفية بطل أن تكون الغيبة التي رويت في الأخبار واقعة به<sup>(١)</sup>، ومن الدلالة هنا على بطلان قولهم هو الشاعر السيد الحميري الذي كان يقول بقولهم في الغيبة، وبعد أن أتضح له الأمر وعرف الحق على يد الإمام الصادق عليه السلام اهتدى وخالف مقالتهم، فيعد رداً عليهم من شخص كان منهم ودحض قولهم بشعره بعد هدايته.

وما أساس قولهم هذا إلا لا اعتقادهم أن إمامهم محمد بن الحنفية لم يمت وأنهم لم يحصروا الإمامة في الأئمة من أبناء علي وفاطمة عليهما السلام، وجعلت الإمامة بعد الحسن والحسين عليهما السلام في محمد بن الحنفية، وكانوا يعتقدون أنه لم يمت وأنه بجبل رضوى، بين نمر وأسد يجرسانه ومعه رزقه إلى وقت خروجه وزعموا أن السبب في غيبته أن هذا تدبير من الله، وأنه يعود بعد الغيبة فيملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً<sup>(٢)</sup>.

وأخرج المسعودي ما رواه الصدوق عن الكيسانية بقولهم في إمامة محمد بن الحنفية عليه السلام وقسماً من أشعار الحميري توضح قولهم في الغيبة بأنها في محمد بن الحنفية<sup>(٣)</sup>، ونقلت تلك الأخبار الواردة عند الصدوق في مصادر أخرى بتصريف وبعضها باختصار<sup>(٤)</sup>، ونقل الشهرستاني ما ورد عن السيد الحميري من شعر وأقوال الكيسانية في محمد بن الحنفية كما وردت عند الصدوق<sup>(٥)</sup>.

١. الصدوق، إكمال الدين: ج ١، ص ٥٥ - ٥٧.

٢. الشهرستاني، الملل والنحل: ج ١، ص ١٥٨؛ صيام، محمد يوسف محمود، المهدي المتظر عند فرق الشيعة، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الحرة (هولندا، ٢٠١٠م): ص ١٤٧-١٤٨، (منشورة على شبكة الانترنت).

٣. ينظر: مروج الذهب: ج ٣، ص ٧٨.

٤. ينظر: الطبري، بشارة المصطفى: ص ٣٦٦ - ٣٦٨؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٢، ص ٧٨ - ٧٩؛ الكلبيكاني، منتخب الأثر: ص ٢٢٠، ص ٢٦١؛ الفياض، نزار، الإمام محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام بن الحنفية:

١، دار الحوراء، (بغداد، ٢٠٠٥م)، ص ١١٨ - ١٢٨.

٥. ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل: ج ١، ص ١٥٨.



ويروي الصدوق احتجاجاً للإمام الصادق عليه السلام حين دخل عليه حيّان السراج فقال له: «يا حيّان، ما يقول أصحابك في محمد بن الحنفية»؟ قال: يقولون إنه حي يرزق، فقال الصادق عليه السلام: «حدثني أبي عليه السلام أنه كان فيمن عاده في مرضه وفيمن غمضه وأدخله حفرتة وزوّج نساءه وقسّم ميراثه»، فقال: يا أبا عبد الله إنما مثل محمد بن الحنفية في هذه الأمة كمثل عيسى بن مريم شبّه أمره للناس، فقال الصادق عليه السلام: «شبّه أمره على أوليائه أو على أعدائه»؟ قال: بل على أعدائه، فقال: «أترعم أن أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام عدو عمّه محمد بن الحنفية»؟ فقال: لا، فقال الإمام الصادق عليه السلام: «يا حيّان، إنكم صدفتم عن آيات الله وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٧]».

وأخرج الكشي مثل الرواية وفيها بعد أن كتب محمد بن الحنفية وصيّته حتّى قال الإمام الباقر لولده الصادق عليه السلام، والتي يحدث بها حيّان: «فما برحت حتّى غمّضته وغسلته وكفّته وصلّيت عليه ودفنته»، ثم يكمل الإمام الصادق عليه السلام حديثه لحيّان: «فإن كان هذا موتاً فقد والله مات»، قال: فقال لي [يقصد حيّاناً] رحمك الله شبّه على أبيك، قال: فقلت: سبحان الله أنت تصدّف على قلبك، فقال لي: وما الصدّف على القلب؟ قال: قلت: الكذب<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ما مات محمد بن الحنفية حتّى أقرّ لعلي بن الحسين عليه السلام، وكانت وفاة محمد بن الحنفية سنة أربع وثمانين من الهجرة»<sup>(٢)</sup>، وفي خبر يرويه الصدوق عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: «دخلت على محمد بن الحنفية وقد اعتقل لسانه»<sup>(٣)</sup> فأمرته بالوصية فلم يجب، قال فأمرت بطست

١. رجال الكشي: ص ٢٢٤.

٢. إكمال الدين: ج ١، ص ٥٧ - ٥٨.

٣. اعتقل لسانه، أي لم يقدر على الكلام، ينظر: الرازي، مختار الصحاح: ص ١٨٨.



فجعل فيه الرمل فوضع فقلت له: خط بيدك، قال: فخط بيده في الرمل ونسخت أنا في صحيفة»<sup>(١)</sup>.

وأورد الكشي مثلها باختلاف يسير تعطي وضوحاً أكثر في المعنى، منها: محادثة الإمام الصادق عليه السلام مع حيّان السراج فقال له: «يا حيّان، أليس من تزعم ويزعمون وتروي ويروون لم يكن في بني إسرائيل شيء إلا وهو في هذه الأمة مثله»؟ قال: بلى، فقلت: «هل رأينا ورأيتم وسمعنا وسمعتم بعالم مات على أعين الناس فنكح نساؤه وقُسمت أمواله وهو حي لا يموت»؟ فقام ولم يرد عليّ شيئاً<sup>(٢)</sup>.

وخير دليل على بطلان قول الكيسانية والواضح فيها التشويه والطعن في مذهب الإمامية، وخير دليل أيضاً على ولاء محمد رسول الله ﷺ للأئمة عليهم السلام هو قول الإمام الصادق عليه السلام: «مامات محمد بن الحنفية حتى أقرّ لعلي بن الحسين عليه السلام»<sup>(٣)</sup>، حتى يكفينا من هذا ردّاً ما ورد عن محمد بن الحنفية نفسه أنّه سأله أبو خالد الكابلي هل هو الإمام فقال: عليّ وعليك وعليّ كل مسلم علي بن الحسين عليه السلام<sup>(٤)</sup>.

باعتبار أنّ الإمامة ممتدة في نسل الإمام الحسين عليه السلام من ولده علي بن الحسين عليه السلام وكذلك قول الإمام الباقر عليه السلام: «فأمرته» أي إنه متأكد بطاعته

١. إكمال الدين: ج ١، ص ٥٨.

٢. رجال الكشي: ص ٢٢٣.

٣. روي أن محمد بن الحنفية ابتهل هو والإمام علي بن الحسين عليه السلام في أمر الإمامة قرب الحجر في مكة حتى دعا الله الإمام السجاد عليه السلام قرب الحجر لينطق بالوصية فنطق بلسان عربي قال: «اللهم إنّ الوصية والإمامة بعد الحسين بن علي إلى علي بن الحسين ابن فاطمة ابنة رسول الله»، فانصرف محمد بن علي بن الحنفية وهو يتولى علي بن الحسين عليه السلام، ينظر: القمي، الإمامة والتبصرة: ص ٦٢؛ الطبرسي، سيرة المعصومين عليه السلام: ص ٢٦٣.

٤. الراوندي، الخرائج والجرائح: ج ١، ص ٢٦١.



للمعصومين عليهم السلام وحتى لم يقدر بالكلام خطَّ بيده على الرمل امتثالاً لأمر الإمام المعصوم وهو على فراش الموت، وكذلك احتجاج الإمام الصادق عليه السلام على السراج بتقسيم الأموال وتزويج النساء، فكيف يكون حياً؟ وخروجه منه دون أي رد، وكذلك قول الإمام وفعله حجة حين يغسله ويكفنه ويدفنه بيده، ما هي إلا حجَّتا إخلاص ابن الحنفية للإمام للمعصوم وتجهيزه عند موته، ويكفي نفياً لقول الكيسانية بقول الصدوق صحة موت محمد بن الحنفية - وقد تواتر الخبر في موته بغض النظر عن اختلاف وقتها<sup>(١)</sup> -، وبموته يثبت بطلان حجتهم وقولهم بغيبته.

ثانياً - قول الناوسية<sup>(٢)</sup> في الغيبة:

أخرج الصدوق خبر الناوسية بأنها قالت بأمر الغيبة فاعتقدوها جهلاً منهم في الإمام الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام حتى أبطل الله قولهم بوفاته عليه السلام وبقيام الإمام الكاظم عليه السلام مقام أبيه<sup>(٣)</sup>.

ويكفي في ردع قولهم هو وفاة الإمام الصادق عليه السلام حيث دُوِّن تاريخ وفاته في مصادر الفريقين في المدينة المنورة في شوال سنة (١٤٨ هـ / ٧٦٥ م) وله من العمر (٦٥ سنة)، استمرت إمامته (٣٤ سنة) ودفن بالبقيع<sup>(٤)</sup>، وكذلك يبطل قولهم من خلال القاعدة التي وضعها الإمام الصادق عليه السلام حين قال: «إذا توالى

١. قيل إنه توفي سنة (٨١ هـ) ودفن بالبقيع وصلّى عليه ابان بن عثمان بن عفان؛ للمزيد حول حياة محمد بن الحنفية، ينظر: ابن سعد، طبقات ابن سعد: ج٧، ص ٩٣ - ١١٧؛ الأصفهاني، حلية الأولياء: ج٣، ص ١٧٤ - ١٧٩؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان: ج٤، ص ١٦٩ - ١٧٣.

٢. قيل إنهم أتباع رجل يدعى ناووس من أهل البصرة اسمه عجلان بن ناووس، ينظر: النوبختي، فرق الشيعة: ص ١١٤.

٣. إكمال الدين: ج١، ص ٥٩.

٤. النوبختي، فرق الشيعة: ص ١١٣؛ الطبرسي، سيرة المعصومين عليهم السلام: ص ٢٧٦؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان: ج١، ص ٣٢٧.



ثلاثة أسماء محمد وعلي والحسن كان رابعهم قائمهم<sup>(١)</sup>، وهذه القاعدة لا تنطبق بهذا التسلسل إلا بعد الإمام محمد الجواد وعلي الهادي والإمام العسكري ثم القائم بن الحسن العسكري عليه السلام.

ثالثاً - قول الواقفة<sup>(٢)</sup> في الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في الغيبة:

قالت هذه الفرقة بأن الغيبة وقعت في الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، فأبطل الله تعالى قولهم بإظهار موته وموضع قبره، ثم بقيام الرضا علي بن موسى عليه السلام بالأمر بعده وظهور علامات الإمامة فيه مع ورود النصوص عليه من آباءه عليهم السلام<sup>(٣)</sup>.

استشهد الإمام الكاظم عليه السلام لخمس بقين من رجب سنة (١٨٣ هـ / ٧٩٩ م) وعمره (٥٥ سنة) ومدة إمامته (٣٥ سنة)<sup>(٤)</sup>، وقد نص الإمام الكاظم علي ولده الرضا عليه السلام من بعده في كثير من المناسبات وأمام أصحابه وأشار فيها إلى الرضا عليه السلام، ومنها أنه بعث يوماً إلى أصحابه وقال: «أتدرون لم دعوتكم؟ فقالوا لا، فقال: «اشهدوا أن ابني هذا وصيي والقيّم بأمري وخليفتي من بعدي...»<sup>(٥)</sup>، وقد أجمع أصحاب أبيه بالإمامة إليه إلا من شذّ منهم من الواقفة، والسبب الظاهر في ذلك طمعهم في ما كان في أيديهم من الأموال في

١. النعماني، الغيبة: ص ١٨٥؛ المسعودي، إثبات الوصية، ص ٢٨١.

٢. فرقة وفتت علي إمامة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وقالت: إنه لم يمّت وإنه حي ولا يموت حتّى يملك شرق الأرض وغربها ويملاها عدلاً كما ملئت جوراً، وإنه القائم المهدي، للمزيد ينظر: النوبختي، فرق الشيعة: ص ١٢٩ - ١٣١.

٣. الصدوق، إكمال الدين: ج ١، ص ٥٨.

٤. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٤١٤؛ الطبرسي، سيرة المعصومين عليهم السلام: ص ٢٩٦؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان: ج ٥، ص ٣١٠؛ ابن الصباغ، الفصول المهمة: ص ٢٣٠.

٥. الكليني، الكافي: ج ١، ص ١٩٠.



مدّة حبس الإمام الكاظم عليه السلام وما كان عندهم من ودائعهم، فحملهم ذلك على إنكار وفاته وإنكار خليفته من بعده، وقد فسد قولهم المخالف للمعقول وانقرضوا والحمد لله<sup>(١)</sup>.

ثم يذكر الصدوق ثلاث روايات طويلة تشير إلى حادثة وفاة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في أحدها يذكر أنه حضر لمشاهدته - بعد أن توفي - أكثر من خمسين رجلاً بأمر السندي بن شاهك<sup>(٢)</sup>، ليشهدوا على وفاته بعد أن كشفه لهم وأمرهم بتغسيله وتكفينه، ثم صلى عليه بن شاهك ودُفن، وفي رواية أخرى تقول: قد أشرف على تكفينه وتغسيله سليمان بن أبي جعفر<sup>(٣)</sup> هو وولده وغلماؤه ولم يذكر فيها من صلى عليه وفي الثالثة قيل: إنه اطلع عليه سبعون رجلاً ممن يعرفونه من شيعة وغسله وكفنه سليمان بن أبي جعفر<sup>(٤)</sup>.

وذكرت نفس الأخبار في التغسيل والتكفين وقيل: إن ابن شاهك أدخل عليه جمعاً من الفقهاء والناس من بغداد ليشهدوا على موته ثم وضع على الجسر ببغداد ونظر الناس في وجهه، وأن من تولى تجهيزه هو سليمان بن أبي جعفر ودفن في مقابر قريش<sup>(٥)</sup>، وخير دليل على نفي تلك الرواية هي الرواية التي قال فيها السندي بأنه سأل الإمام الكاظم عليه السلام حين حضرته الوفاة أن يأذن له

١. الطبرسي، سيرة المعصومين عليهم السلام: ص ٣١٤ - ٣١٦.

٢. يعرف بأبي نصر من موالى أبي جعفر المنصور، ولأه الرشيد أمر مدينة دمشق يعرف بكونه إنساناً ذميمة

الخلق، سندياً كاسمه، توفي سنة مائتين وأربع في بغداد، ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام: ج ١٤، ص ١٨٥.

٣. سليمان بن المنصور العباسي بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، يعرف بأبي أيوب الهاشمي، ينظر:

البغدادي، تاريخ مدينة السلام: ج ١٠، ص ٣١.

٤. الصدوق، إكمال الدين: ج ١، ص ٥٩ - ٦١.

٥. الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٩١ - ٩٣؛ الطبرسي، سيرة المعصومين عليهم السلام: ص ٣١٢؛

المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٨، ص ٢٢٧.





في تكفينه، فأبى وقال: «إنّا أهل بيت مهور نساءنا وحج نائلنا وأكفان موتانا من طاهر أموالنا، وعندي كفني وأريد أن يتولّى غسلِي وجهازي مولاي فلان فتولّى ذلك منه»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث طويل للإمام الكاظم عليه السلام يحدث فيه المسيب<sup>(٢)</sup> وكان موكلاً به، دعاه قبل وفاته بثلاثة أيام ومما جاء في حديثه قال: «... فإن علياً ابني هو إمامك ومولاك بعدي، فاستمسك بولايته فإنك لن تضل ما لزمته... وأن هذا الرجس السندي بن شاهك سيزعم أنه يتولّى غسلِي ودفني، هيهات هيهات أن يكون ذلك أبداً...»، ثم يقول المسيب وقد حضر تغسيل الإمام عليه السلام وتكفينه: فوالله لقد رأيتهم بعيني وهم يظنون أنهم يغسلونه فلا تصل أيديهم إليه ويظنون أنهم يحنطونه ويكفونونه وأراهم لا يصنعون شيئاً، ورأيت ذلك الشخص يتولّى غسله وتحنيطه وتكفينه وهو يُظهر لهم المعاونة لهم وهم لا يعرفونه، فلما فرغ من أمره قال لي ذلك الشخص: «يا مسيب مها شككت فيه فلا تشكنّ فيّ، فإنني إمامك ومولاك وحجة الله عليك بعد أبي عليه السلام، يا مسيب مثلي مثل يوسف الصديق عليه السلام ومثلهم مثل إخوته حين دخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون، ثم حمل عليه السلام حتى دُفن في مقابر قريش...»<sup>(٣)</sup>.

أي إن القوم قد شُبّه لهم أنهم يغسلونه، وذلك بحضور الإمام الرضا عليه السلام بينهم وهم يعتقدون أنهم يغسلونه، لكن الإمام عليه السلام هو من يغسله، وفي كلا

١. الأصفهاني، مقاتل الطالبين: ص ٤١٧ (رواه مختصراً)؛ المفيد، الإرشاد: ص ٣٨٠؛ الطبرسي، سيرة المعصومين عليهم السلام: ص ٣١٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج ٦، ص ٢٧٤؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٨، ص ٢٣٤.

٢. لم أعثر له على ترجمة له، والظاهر من الرواية أنه أحد الحراس الموكلين بحراسة الإمام عليه السلام، وكان يدور بينهما حديث حتى تأثر بالإمام وأصبح من المواليين له.

٣. الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ٩٦؛ الطبرسي، دلائل الإمامة: ص ١٥١؛ البحراني، مدينة المعاجز، ص ٣٦٩؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٨، ص ٢٢٤.

الحالين فإن الرواية تثبت وفاة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ونصّه على ابنه من بعده ودليلها أيضاً ما روي عن المسيب، وقال الصدوق في أحد كتبه ردّاً على الواقفة على إمامة موسى بن جعفر عليه السلام الذين يزعمون أنه حي وينكرون إمامة الرضا عليه السلام ويحتجون بحديث للإمام الصادق عليه السلام قال: «الإمام لا يغسله إلا الإمام»، وتقول الواقفة لو أن الرضا إمام لغسل أباه وأن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام غسّله غيره، ويردّ بعد هذا الحديث الصدوق قائلاً: لا حجة لهم علينا في ذلك لأن الصادق عليه السلام إنما نهى أن يغسل الإمام إلا من يكون إماماً، فإن دخل من يغسل الإمام في نيه فغسله لم يبطل ذلك إمامة الإمام بعده.

ولم يقل عليه السلام أن الإمام لا يكون إلا الذي يغسل من قبله من الأئمة عليهم السلام فبطل تعلقهم علينا بذلك على أننا قد روينا...، وأن الرضا عليه السلام قد غسّل أباه موسى بن جعفر عليه السلام من حيث خفي على الحاضرين لغسله غير من اطلع عليه، ولا تنكر الواقفة أن الإمام يجوز أن يطوي الله تعالى له البعد حتى يقطع المسافة البعيدة في المدة اليسيرة<sup>(١)</sup>.

وفي مكان آخر من الكتاب يشير المصنف إلى ردّ على الواقفة بقوله: ومذهبنا في غيبة الإمام في هذا الوقت لا يشبه مذهب الممطورة<sup>(٢)</sup> في موسى بن جعفر لأن موسى مات ظاهراً ورآه الناس ميتاً ودفن دفناً مكشوفاً ومضى لموته أكثر من مائة وخمسين سنة، لا يدّعي أحد أنه رآه ولا يكتابه ولا يرأسه، ودعواهم أنه حي، فيه إكذاب الحواس التي شاهدته ميتاً وقد قام بعده عدّة أئمة فأتوا من العلوم بمثل ما أتى به موسى عليه السلام وليس في دعوانا هذه غيبة الإمام إكذاب للحس ولا محال ولا دعوى تنكرها العقول ولا تخرج من العادات وله

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ٩٧ - ٩٨.

٢. وهو لقب أطلق على بعض الواقفين على موسى بن جعفر عليه السلام، ينظر: القمي، المقالات والفرق:



إلى هذا الوقت من يدّعي من شيعته الثقات المستورين أنه باب إليه وسبب يؤدي عنه إلى شيعته أمره ونهيه ولم تطل المدة في الغيبة طويلاً يخرج من عادات من غاب، فالتصديق بالأخبار يوجب إمامة ابن الحسن عليه السلام... كما جاءت الأخبار في الغيبة فإنها مشهورة متواترة وكانت الشيعة تتوقعها وترجاهها، كما يترجون بعد هذا قيام القائم عليه السلام بالحق وإظهار العدل<sup>(١)</sup>.

وهنا الصدوق يحتج عليهم بموت الإمام، وقد ذكر الأخبار في ذلك، وقد رآته الناس ظاهراً عند موته موضوعاً على الجسر وأنه دفن علناً أمام الناس ولحين كتابته لهذه الأخبار كان قد مضى من الوقت مائة وخمسون سنة ولم يدّع أي شخص أنه شاهده أو يكتبه أو يراه، ومن هذا دليل آخر ورد في بعض الأخبار قيل إن سبب المنادة على الجسر على وفاة الإمام أن قوماً ادّعوا أنه هو القائم وأن حبسه هي غيبته، فحين توفي الإمام عليه السلام ووضع جثمانه الطاهر على الجسر ببغداد ونظرت إليه الناس حتى نودي عليه هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة أنه هو القائم الذي لا يموت فانظروا إليه، فنظر إليه الناس فشاهدوه قد توفي<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية ينقلها الصدوق فيها احتجاج على الواقفة قال رجل للإمام الرضا عليه السلام: إن عندنا رجلاً يذكر أن أباك حيٌّ وأنت تعلم من ذلك ما تعلم؟ فقال عليه السلام: «سبحان الله مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يمّت موسى بن جعفر؟ بلى والله لقد مات وقسّمت أمواله ونكحت جواريه»<sup>(٣)</sup>.

والرواية أثبتها المصنف في عيون أخبار الرضا عليه السلام<sup>(٤)</sup>، فموت الإمام

١. الصدوق، كمال الدين: ج ١، ص ١٠٩.

٢. المفيد، الإرشاد: ص ٣٨٠؛ المازندراني، مناقب آل أبي طالب: ج ٤، ص ٣٥٣.

٣. الصدوق، كمال الدين: ج ١، ص ٥٩ - ٦١.

٤. الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ٩٨؛ العطاردي، مسند الإمام الرضا عليه السلام: ج ١، ص ١٥٤.

الكاظم عليه السلام واشتهار موته عند الناس ومدفنه وخبر تغسيله والشاهد عليه من الموالين والمبغضين وهو نفسه أخبر بالنص على ابنه من بعده وقد شهد به كثير من أصحابه ما هو إلا دليل على بطلان قول الواقفة.

رابعاً - قول الواقفة<sup>(١)</sup> في الإمام الحسن العسكري عليه السلام في الغيبة:

وهذه الفرقة ادّعت على الإمام الحسن بن علي بن محمد عليه السلام أن الغيبة وقعت به لصحة أمر الغيبة عندهم وجهلهم بموضعها وأنه القائم المهدي، فلما صحّت وفاته عليه السلام بطل قولهم فيه وثبت بالأخبار الصحيحة التي قد ذكرها في هذا الكتاب أن الغيبة واقعة بابنه عليه السلام دونه، ويروي بعدها رواية طويلة تتحدّث عن صفات ومناقب الإمام الحسن العسكري عليه السلام<sup>(٢)</sup>، وخبر وفاته بسامراء في شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين وما حصل بعد وفاته من أحداث<sup>(٣)</sup>.

ويحتج أحد المؤرّخين على قولهم بأن الغيبة قد وقعت بالإمام العسكري عليه السلام، يقول: بما أنهم اعترفوا بموته، فمن أين لهم العلم بحياته، وإذا جاز خلويوم من الإمام عليه السلام فيجوز شهراً، بل دهرأ، بل أبداً، وهذا اعتزال عن رأي الإمامية وخروج عنها إلى مذهب الخوارج والاحتجاج على قولهم: (لا نثبت وجود ولد لم نشاهده)، والرد عليهم بأنه إذا قامت الدلالة أغنت عن المشاهدة، وإذا لزمنا المشاهدة لإثبات أي شيء عندهم، وإلا انتفى وجوده، فهذا ينفي وجود الرب والأنبياء السالفة والأئمة الذين لم نشاهدهم، وكثيراً من الموجودات غير المشاهدة، وهذا دخول في الجهل، وإنكارهم باطل على أن لا عقب له، وذلك

١. للمزيد ينظر: النوبختي، فرق الشيعة: ص ١٥١ - ١٧١.

٢. للمزيد عن مناقب الإمام الحسن العسكري عليه السلام ينظر: ابن حمزة، الثاقب في المناقب: ص ٥٥٩ - ٥٧٩.

٣. الصدوق، إكمال الدين: ص ٦١ - ٦٥.



بعد قيام الأدلة من النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام على وجوده<sup>(١)</sup>.

وبحسب احتجاج المصنّف بوفاة الإمام العسكري عليه السلام وما ثبت من روايات عن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام بأن الأئمة اثنا عشر، وكذلك تواتر الروايات بوجود الخلف بعد العسكري عليه السلام وأنه الغائب، يبطل قول هؤلاء الواقفة، ويكفي ردّاً عليهم قول الإمام العسكري عليه السلام بالحادثة المشهورة عندما اجتمع عنده أربعون رجلاً يسألونه عن الخلف بعده حتى عرض عليهم الغلام وقال: «هذا إمامكم بعدي وخليفتي عليكم أطيعوا [أطيعوه]»<sup>(٢)</sup> ولا تفترقوا من بعدي في أديانكم فتهلكوا، أما إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا...»<sup>(٣)</sup>، فيكون ذلك حجة على من قال: إن الغيبة وقعت في غير القائم عليه السلام من الأئمة عليهم السلام، وما قول الواقفة إلا لجهلهم أو عنادهم، ولعلّ هذه الفِرَق جاءت نتيجة الصراعات بعد استشهاد الإمام العسكري عليه السلام وما بدر من اعتراضات جعفر أخيه وتحركات السلطة، وهذا ما حذر منه الإمام العسكري عليه السلام من الافتراق بعده، وخير دليل على ذلك أنّهم اشتبهوا والتبس عليهم الأمر، فوقفوا عليه، وذلك من خلال قول بعض الواقفة حينما سُئِلوا عن الأمر: وما تقولون في الإمام، أهو جعفر أم غيره؟ قالوا: لا ندري ما نقول في ذلك، أهو من وُلد الحسن أم من إخوته فقد اشتبه علينا الأمر، إنّنا نقول إنّ الحسن بن علي كان إماماً وقد توفي، وأنّ الأرض لا تخلو من حجة، ونتوقف ولا نتقدم على شيء حتى يصح لنا الأمر ويتبين<sup>(٤)</sup>.

١. البياضي، الصراط المستقيم: ج ٢، ص ٢٧٦ - ٢٧٧.

٢. كمال الدين: ص ٤٣٥.

٣. الطوسي، الغيبة، ص ٣٥٧؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٥١، ص ٣٤٦.

٤. النبوختي، فرق الشيعة: ص ١٦٦.

### خامساً - قول المعتزلة<sup>(١)</sup> في الغيبة:

أخرج الصدوق ما كتبه بعض الإمامية إلى أبي جعفر بن قبة الرازي<sup>(٢)</sup> كتاباً يسألونه عن مسائل عدّة بمقالة المعتزلة، منها: مسائل عن الغيبة، فيها قول المعتزلة وردّ في مضمونها بأن الحسن العسكري عليه السلام مضى ولم ينص، فقد ادّعوا دعوى يخالفون فيها وهم محتاجون إلى أن يثبتوا صحّتها، وقولهم لو كان الحسن بن علي عليه السلام قد نصّ على من تدعون إمامته لسقطت الغيبة؟ والجواب هنا: أن الغيبة لا تعني العدم، فقد يغيب الإنسان في بلد يكون معروفاً فيه ومشاهداً لأهله ويكون غائباً عن بلد آخر، وقد يكون الإنسان غائباً عن قوم دون قوم وعن أعدائه لا عن أوليائه، فيقال إنه غائب ومستتر وإنما قيل غائب عن أعدائه وعمّن لا يوثق بكتمان أمره من أوليائه، وأن الإمام عليه السلام ليس مثل آبائه عليهم السلام ظاهراً وللخاصة والعامّة وأولياؤه، مع هذا ينقلون خبر وجوده وغيبته وهم عندنا ممن تجب بنقلهم الحجة، ونقلوا ذلك، كما نقلوا إمامة آبائه وإن خالفهم مخالفوهم فيها ومثلها كما وجب بنقل المسلمين صحة آيات النبي صلى الله عليه وآله وإن خالفهم مخالفوهم من أهل الكتاب أو المجوس<sup>(٣)</sup>.

ويمكن الرد هنا على هذه الجزئية، فأما النص عليه فمتواتر من جهة آبائه وإن قولهم: إن أباه لم ينص عليه وكأنهم لم يطلّعوا على أخبار آبائه عليهم السلام عنه، ومنها قول أبيه: «كأني بكم قد اختلفتم بعدي في الخلف منّي، أمّا إن المقرّ بالأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنكر لولدي، كمن أقرّ بجميع أنبياء الله ورسله ثم أنكر نبوة محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، والمنكر لرسول الله كمن أنكر جميع الأنبياء،

١. ويسمون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالعدلية، ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل: ج ١، ص ٦٥ - ٩٨.

٢. أبو جعفر محمد بن عبد الرحمن بن قبة الرازي متكلم عظيم القدر حسن العقيدة كان معتزلياً وتبصّر،

ينظر: النجاشي، رجال النجاشي: ٣٦١ - ٣٦١.

٣. الصدوق، إكمال الدين: ج ١، ص ٧٩ - ٨٠.

لأن طاعة آخرنا كطاعة أولنا، والمنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا، أما أن لولدي غيبة يرتاب فيها الناس إلا من عصمه الله»<sup>(١)</sup>.

أمّا المخالفة بشأن الغيبة فيرد عليهم وكأن الرازي هنا يقول لهم: لا تكونوا كالمجوس وأهل الكتاب حين خالفوا نبوة الرسول ﷺ، وكما صح عندنا إمامة آبائه عليه السلام بالنقل، وأضف عليها الأخبار الكثيرة في ولادته وسترها وكذلك خفاؤه في حياة أبيه حرصاً على حياته حتى عرضه على بعض خاصته ليثبت حجته ويعلمهم بالخلف من بعده، ردّ الرازي أن غيبة الشخص لا تعني نفيه، وما نقل يدلنا عليه، وكما قيل في الروايات من وقوع الغيبة فيه هي الخوف من القتل وأنه يعمل على وفق وصية معهودة من رسول الله ﷺ وتطبيقها يحتم الغيبة، فتصدقون ما ورد عن جدّه وآبائه عليه السلام في مسائل شتى، وتكذبون القول بشأن الإمام الغائب وأنه مولود وغائب، بما صحّ بذلك الكم الوارد من الروايات حتى وإن صدق من بينها رواية واحدة فلا يعقل تكذيبها كلها. ويورد النوبختي مقالة الشيعة في الغيبة من المناسب طرحها هنا بمضمونها بأنه نحن مسلمون بإمامة الحسن العسكري عليه السلام ومعترفون بأن له خلفاً قائماً من صلبه وهو الإمام بعده، وهو غائب حتى يظهر ويعلن أمره ويأذن الله بذلك ويأمر بما يريد من ظهوره وخفائه ولا يجب البحث عن ذلك فهو خائف مستور بستر الله وكشفه دون أوانه هو إباحة لدمه ودمائنا وفي ستر ذلك والسكوت عنه حقنها، ويظهره الله إذا شاء لأنه أعلم بتدبيره في خلقه وأعرف بمصلحتهم<sup>(٢)</sup>.

ويطرح المصنف إشكالية أخرى للمعتزلة، بقولهم: إذا ظهر كيف يعرف أنه محمد بن الحسن بن علي عليه السلام؟ ويجب عنها بجوابين:

١. الرازي، كفاية الأثر: ص ٤١٤؛ الطبرسي، سيرة المعصومين عليه السلام: ص ٤٢٨.

٢. فرق الشيعة: ص ١٦٨.



الأول: بأنه يجوز ذلك بنقل من تجب بنقله الحجة من أوليائه كما صحّت إمامته عندنا بنقلهم.

وجواب آخر: أنه قد يجوز أن يظهر معجزاً يدل على ذلك<sup>(١)</sup>.

ويختم كلامه - المصنّف - بردّ لابن قبة على المعتزلة بقوله: (لم يبعث الله ﷺ بأضعاف من بعث من الأنبياء ﷺ ولم يبعث في كل قرية نبياً، وفي كل عصرٍ ودهرٍ نبياً أو أنبياء إلى أن تقوم الساعة؟ ولم يبيّن معاني القرآن حتّى لا يشك فيه شاك؟ ولم تركه محتملاً للتأويل؟ وهذه المسائل تضطرهم إلى جوابنا)<sup>(٢)</sup>.

لعل ابن قبة هنا يريد أن يقول: إن هذا كله متعلق بالإمام القائم ﷺ وغيبته الذي سيوضح كل هذا عند ظهوره، وحتّى الإشكالات التي ترد على غيبته ولم يرد عليها بتمام الرد أو لم يقتنع البعض بالردود التي طرحت عليها فتكون القناعة التامة بظهوره وعلى يديه، وأمّا نفيهم بعدم وجود النص، فمع هذا الكم من الروايات فيعد إنكارهم هذا جحوداً، فهم الأقرب لعصر طرح تلك الروايات، ونحن اليوم أبعد منهم زمناً ونعترف بتلك الروايات في النص عليه، وكما أنّهم غير مجبرين على تصديقها إن وجد أحد منهم اليوم، فكذلك لسنا مجبرين على قبول ادّعائهم كونها لا تستند على شيء سوى الإنكار، فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قلت يا رسول الله أمنا آل محمد، المهدي، أم من غيرنا؟ فقال رسول الله ﷺ: لا، بل منّا، يختم الله به الدين كما فتح بنا، وبنا يُنقذون من الفتن كما أنقذوا من الشرك...»<sup>(٣)</sup>.

١. الصدوق، إكمال الدين: ج ١، ص ٨١.

٢. الصدوق، إكمال الدين: ج ١، ص ٨٢.

٣. الاربلي، كشف الغمة: ج ٣، ص ٢٧٣؛ الصباغ، الفصول المهمة: ص ٢٨٨؛ البحراني، غاية المرام: ج ٧، ص ١١٢.



سادساً - الرد على الزيدية<sup>(١)</sup> فيما قالوه في الإمامة والغيبة:

١ - في كلام لأحد المشايخ الشيعة في الرد على الزيدية:

لم يذكر اسم هذا الشيخ الذي يوضح القول بغيبة صاحب الزمان ﷺ على أن غيبته مبنية على القول بإمامة آبائه عليهم السلام، والقول بإمامة آبائه مبني على القول بتصديق النبي محمد ﷺ وإمامته، وهذا باب شرعي لا عقلي ومبني على الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (النساء: ٥٩)، وأن جميع الزيدية والإمامية اتفقوا على أن رسول الله ﷺ قال: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعِترَتِي أَهْلَ بَيْتِي، وَهُمَا خَلِيفَتَانِ مِنْ بَعْدِي، وَأَنْتُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّىٰ يَرْدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»، بأن تقام بينات الله بقبول الحجة على الناس من بعد الرسول كما في صفة رسوله في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (يوسف: ١٠٨)، ومراد الحديث ظاهراً ومكشوفاً علينا أن نعتقد بأن الكتاب لا يخلو من مقرون به من عترة الرسول ﷺ يعرف التأويل والتنزيل، فالحديث يوجب ذلك، وما دام في الأرض من حاجة به إلى مدبر وسائس ومعلم من آل إبراهيم لقوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ (آل عمران: ٣٤)، وقد صح أن الرسول ﷺ وأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام منه، أي من تلك الذرية التي بعضها من بعض، وكانت الإمامة من صلب الحسين عليهم السلام ومن يقوم مقامه، لذا دلَّت الآية على ما دلَّت عليه السنة<sup>(٢)</sup>.

والواضح من رد هذا الشيخ على الزيدية أنهم يريدون الإمام ظاهراً لا غائباً.

١. وهم اتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ساقوا الإمامة في أولاد مولانا فاطمة عليهم السلام إلا أنهم جوزوا أن تكون الإمامة في كل فاطمي عالم وزاهد وشجاع وسخي خرج بالإمامة أن يكون إماماً سواء كان من أولاد الحسن أو الحسين عليهم السلام، ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل: ج ١، ص ١٦٣ - ١٦٩.

٢. الصدوق، إكمال الدين: ج ١، ص ٨٢ - ٨٣.

وأما ما هو سبب غيبته؟ فهو يوضح سبب الغيبة بما صح من آباءه عليهم السلام، وأن الإمام القائم عليه السلام من ذرية الإمام الحسين عليه السلام بما صحَّ من القرآن بأنه ذرية بعضها من بعض، وأنهم من ذرية إبراهيم عليه السلام، وكذلك هذا ما صح من السنة الشريفة، ويردّهم بالقول إن اعتقدوا بما ورد في قوله، فواجب عليهم الاعتقاد بالإمام الغائب، وزيادة على ذلك تعزيزاً لرد الشيخ في سبب غيبته أنه يخاف على نفسه القتل وغيرها بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وآبائه عليهم السلام منها قول أبي عبد الله عليه السلام: «**إن لصاحب هذا الأمر غيبة فليتنق الله عبداً ويتمسك بدينه**»<sup>(١)</sup>.

ويعطينا هذا الحديث تصوّراً واضحاً أن من يشكك بهذا الأمر فهو غير متمسك بدينه، وعليه أن يتقي الله ولا يشك، وخير دليل واضح أن الأئمة عليهم السلام كل واحد منهم أقرّ بالذي بعده، فنصدّق به ونهتدي بهديه، حتّى وصل الأمر أن الإمام الهادي عليه السلام أيضاً نصّ على ولده العسكري عليه السلام وصدّق الأمر بإمامته، وكذلك هو حال العسكري عليه السلام بما نصّ على ولده القائم عليه السلام فالمصدق بحال أبيه وأنه إمام معصوم مفترض الطاعة يجب عليه التصديق بما يقوله.

وفي خبر ينقل عن زيد بن علي يدحض احتجاجهم هذا بأنهم يريدون الإمام مشهوراً، وذلك حين حدث رجل يدعى أبا بكر الحضرمي قال زيد: ليس الإمام منّا من أرخى عليه ستره وإنّا الإمام من أشهر سيفه، قال له أبو بكر الحضرمي: يا أبا الحسن [يقصد زيدا] أخبرني عن علي بن أبي طالب عليه السلام أكان إماماً وهو مرخى عليه ستره، أو لم يكن إماماً حتّى خرج وشهر سيفه؟ فلم يجب زيدُ فردّد عليه ذلك ثانياً وثالثاً كل ذلك لا يجيب بشيء، فقال أبو بكر الحضرمي: إن كان علي بن أبي طالب عليه السلام إماماً فقد يجوز أن يكون بعده

١. الكليني، الكافي: ج ١، ص ٢٠٦.



إمام وهو مرخى عليه ستره، وإن كان علي عليه السلام لم يكن إماماً وهو مرخى عليه ستره فأنت ما جاء بك هاهنا؟<sup>(١)</sup>.

٢ - وفي اعتراض آخر للزيدية وجوابه:

يقولون في اعتراضهم ويطعنون بالقول إن الأئمة اثنا عشر وهذا قول أحدثه الإمامية وولّدوا فيه أحاديث كاذبة، ويرد مصنّف الكتاب هنا بأن الأخبار في هذا الباب كثيرة نقلها المخالفون من أصحاب الحديث إذ يروى عن عبد الله بن مسعود أن جماعة قد عرضوا عليه مصاحفهم وفيهم فتى شاب قال له: هل عهد إليكم نبيكم صلى الله عليه وآله كم يكون من بعده خليفة، قال: إنك لحدث السن وأن هذا شيء ما سألتني عنه أحد قبلك، نعم عهد إلينا... أن يكون بعده اثنا عشر خليفة بعدد نقيب بني إسرائيل.

ونقل الخبر في هذا عن رسول الله صلى الله عليه وآله بطرق مستفيضة قال: يلي هذه الأمة اثنا عشر... كلهم من قريش وكلهم لا يرى مثله.

وبعضهم روى (اثنا عشر خليفة) وبعضهم (اثنا عشر أميراً) فصحّ هذا عند الإمامية بذكر الأئمة الاثني عشر، أخباراً صحيحة عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام<sup>(٢)</sup>. قالوا أيضاً: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد عرف أئمة الأئمة الاثني عشر، فلم ذهبوا يميناً وشمالاً وخطبوا هذا الخطب العظيم؟

والرد هنا من المصنّف عليهم بما مضمونه: بأنكم قلتم إن رسول الله صلى الله عليه وآله استخلف علياً عليه السلام ونصّ عليه وبيّن أمره، فلماذا أكثر الأمة ذهبت عنه وتباعدت منه، وإن قلتم لا، إن رسول الله صلى الله عليه وآله لم ينص علياً عليه السلام فلم أودع ذلك في كتبكم وتكلّمتم به، فإن الناس قد يذهبون عن الحق وإن كان واضحاً،

١. المازندراني، مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ٣٢٠.

٢. الصدوق، إكمال الدين: ج ١، ص ٨٥ - ٨٦؛ وقد نقل الصدوق في هذا أخبار كثيرة أوردناها في عدة مناسبات في الفصول السابقة من الأطروحة عنه وعن غيره من المصنّفين.

وعن البيان وإن كان مشروحاً كما ذهبوا عن التوحيد إلى الإلحاد<sup>(١)</sup>.  
ويطرح الصدوق بنفس السياق اعتراضين آخرين بالطعن بصحة خبر أن  
الأئمة اثنا عشر، والتي يصرون فيها على أن القول بالاثني عشر خبر غير  
صحيح، تركنا ذكرهما توخيّاً للاختصار وتشابه الاعتراضات وطول الردود  
عليها<sup>(٢)</sup>، ويختتم المصنّف حديثه بالرد على إشكال الطعن الوارد عن الزيدية  
بأن الأئمة ليسوا كما تدّعي الشيعة اثني عشر فيقال لهم: أفيكذب رسول الله ﷺ في  
قوله إن الأئمة اثنا عشر. فإن قالوا إن رسول الله ﷺ لم يقل هذا القول، قيل لهم:  
إن جاز لكم دفع هذا الخبر مع شهرته واستفاضته وتلقي طبقات الإمامية  
إياه بالقبول، فما أنكرتم ممن يقول: إن قول رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه»،  
ليس من قول الرسول<sup>(٣)</sup>.

وهذا الموضوع مفرغ منه في أحاديث الاثني عشر وأسماء الأئمة والرد عليهم  
واضح في أعلاه وخاتمة في الرد أنهم يكذبون ما ورد عن رسول الله ﷺ، وما  
غاية هذا الإنكار إلا لجهل القائلين به، وما كانت هذه الأفكار والجحود بحق  
أهل البيت ﷺ إلا تنفيذاً لرغبة السلطات الحاكمة المعاصرة لأزمتهم، وأفكار  
وضّعها أشخاص معدودون بقيت لما بعدهم وصدّقها من صدّقها لجهلهم  
بحقائق الأمور، وصدّقوا تلك البدع المضلة من الزيدية أو من غيرهم، فإن  
كان الاعتراض لغرض الاستعلام والمعرفة فلا بأس به وإلا كان من الضلال.  
أمّا الوارد في احتجاج المصنّف في أنّهم إن كذبوا خبر الاثني عشر هل  
يتمكنون من نفي حديث الرسول ﷺ في قوله: «من كنت مولاه فعلي مولاه»  
أو إنكاره؟ وهذا الخبر قد أثقلت المصادر في نقله وتواتره، ولا يوجد ما يرد

١. إكمال الدين: ج ١، ص ٨٦.

٢. للاطلاع عليها ينظر: إكمال الدين: ج ١، ص ٨٨ - ٩٥.

٣. الصدوق، إكمال الدين: ج ١، ص ٩٥.



هذا القول، حتى أنه ورد في مصادر الفريقين عن السنة<sup>(١)</sup> والشريعة<sup>(٢)</sup>، وحادثته مشهورة في حجة الوداع والمعروف بحديث الغدير وخبره مشهور عند جميع المسلمين بمختلف طوائفهم.

٣ - اعتراض للزيدية وجوابه:

يقولون إن الإمامية تقول جعفر بن محمد عليه السلام نص علي ابنه إسماعيل وأشار إليه في حياته، ثم أن إسماعيل مات في حياته فقال: ما بدا لله في شيء كما بدا له في إسماعيل ابني؟ فإن كان خبر الاثنا عشر صحيحاً فكان لا أقل من أن يعرفه جعفر بن محمد، ويعرفه خواص شيعته، لئلا يغلط هو وهم هذا الغلط العظيم.

والرد هنا يقال لهم: بم قاتم إن جعفر بن محمد عليه السلام نص علي إسماعيل بالأمة وما ذلك الخبر ومن رواه ومن تلقاه بالقبول، فلم يجدوا إلى ذلك سبيلاً، وإنما هذه حكاية ولدها قوم قالوا بإمامة إسماعيل<sup>(٣)</sup> ليس لها أصل، لأن الخبر بذكر الأئمة الاثني عشر عليهم السلام قد رواه العام والخاص عن النبي صلى الله عليه وآله وعن الأئمة عليهم السلام، والحديث المروي عن الصادق عليه السلام «ما بدا لله...» فإنه يعني ما ظهر لله أمر كما ظهر في إسماعيل ابني إذا ختمه في حياته ليعلم بذلك أنه ليس بإمام بعدي<sup>(٤)</sup>، وهنا بدا لي أي مثل القول بدا لي شخص أي ظهر لي والبدا إذا نُسب إلى الله تعالى كان بمعنى الإبداء والإظهار، لا الظهور بعد الخفاء، لأن هذا الأخير يلزم منه نسبة الجهل إلى الله تعالى، وهو باطل بكل وضوح، ولذا ورد

١. ابن ماجه، سنن ابن ماجه: ص ٣٧، حديث (١٢١)؛ الترمذي، سنن الترمذي: ج ٦، ص ٧٩، حديث (٣٧١٣).

٢. الصفار، بصائر الدرجات: ص ١٥٨؛ الكليني، الكافي: ج ١، ص ١٧٢.

٣. ويسمون الإسماعيلية قالوا إن الإمام بعد جعفر الصادق عليه السلام ابنه إسماعيل، ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل: ج ١، ص ١٧٥.

٤. كمال الدين: ص ٨٦.



عنه عليه السلام قال: «من زعم أن الله يبدو له في شيء اليوم لم يعلمه أمس فابروا منه»<sup>(١)</sup>.

وتعصيماً للرد الوارد هنا ورداً على قولهم بإمامة إسماعيل يروى عن أبي بصير قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فذكروا الأوصياء وذكرت إسماعيل فقال: «لا والله، يا أبا محمد ما ذاك إلينا وما هو إلا إلى الله تعالى ينزل واحداً بعد واحد» وقال: «أترون الموصي منّا يوصي إلى من يريد؟ لا والله، ولكن عهد من الله ورسوله صلى الله عليه وآله لرجل فرجل حتى ينتهي الأمر إلى صاحبه»<sup>(٢)</sup>، وكذلك يكفي رداً من الإمام الصادق عليه السلام هو نصّه على الإمام بعده إذ قال لجماعة من أصحابه: «استوصوا بابني موسى خيراً فإنه أفضل ولدي ومن أخلف بعدي، وهو القائم مقامي والحجة لله تعالى على كافة خلقه بعدي»<sup>(٣)</sup>.

وفي شرح المازندراني لهذه الأخبار: هذا حين اعتقد بعض الشيعة أن إسماعيل هو وصي لأبيه بعده فلذلك قال الإمام الصادق عليه السلام بعد موت إسماعيل: «ما بدا لله في شيء كما بدا له في إسماعيل ابني» وليس معناه أن الله تعالى رجع عن الحكم بإمامته بعد أبيه وبداله بداء ندامة، وإنما أن الله تعالى ما أظهر شيئاً كان مخفياً للخلق، مثل ما أظهر من عدم إمامة ابني إسماعيل إذ اخترمه وأماته قبلي ليعلم الناس أنه ليس بإمام<sup>(٤)</sup>.

ثم أكمل الصدوق الرد على قولهم بأنه كيف ينص الإمام الصادق عليه السلام على إسماعيل بالإمامة مع قوله فيه: «إنه عاص لا يشبهني ولا يشبه أحداً من آبائي»، وفي حديث «والله لا يشبهني ولا يشبه أحداً من آبائي»، وفي رواية عن

١. الصدوق، إكمال الدين: ج ١، ص ٨٧.

٢. الكليني، الكافي: ج ١، ص ١٦٦.

٣. الطبرسي، سيرة المعصومين عليهم السلام: ص ٣٠٢.

٤. شرح الكافي: ج ٦، ص ٨٩.



الوليد بن صبيح قال: جاءني رجل فقال لي: تعال حتّى أريك ابن الرجل قال: فذهبت معه قال: فجاء بي إلى قوم يشربون، فيهم إسماعيل بن جعفر، قال: فخرجت مغموماً فجئت إلى الحجر، فإذا إسماعيل بن جعفر متعلّق بالبيت يبكي قد بلّ أستار الكعبة بدموعه، قال: فخرجت اشتد، فإذا إسماعيل جالس مع القوم فرجعت فإذا هو آخذ بأستار الكعبة قد بلها بدموعه، قال: فذكرت ذلك لأبي عبد الله عليه السلام فقال: «لقد ابتلي ابني بشيطان يتمثل في صورته» وقد روي أن الشيطان لا يتمثل في صورة نبي ولا في صورة وصي نبي فكيف ينص عليه بالإمامة مع صحة هذا القول منه فيه<sup>(١)</sup>.

ونقلت نفس هذه الرواية في مصادر أخرى<sup>(٢)</sup>، ولعلّ البكاء والتعلّق بأستار الكعبة لعلمه بفعل الشيطان وتشبهه بصورته لغرض الطعن بحجة الله: الإمام الصادق عليه السلام في أحد أبنائه، وكذلك تعد دليلاً على أن الشيطان لا يتمثل في صورة نبي أو وصي على حد القول الوارد عند الصدوق وخاصة الأئمة المعصومين عليهم السلام بأن الله أذهب عنهم الرجس، ولم أقف على الروايتين الأولى والثانية عند غيره وإن قلنا بصحة الرواية بأن قال: «لا يشبهني ولا يشبه أحداً من آبائي»، فهذا من المعقول كونه لا يشبههم في العصمة والإمامة، وهذا دليل على أنه ليس الإمام بعده، وإن صدقت الرواية القائلة بأنه عاص فهذا أيضاً يثبت أنه ليس الإمام بعد أبيه، فأفعاله لا تشبه أفعال المعصوم، والغريب في هذا كله وفي أمر الزيدية هنا أنهم يحتجون بمقالة الإسماعيلية في الإمامة وكأنهم ليس عندهم حجة يحتجون بها، أي يستخدمون عقيدة غيرهم ليدفعوا بها غايتهم، وما هذا إلا دليل على ضعفهم ووهن مقاتلتهم، وكأنهم من الإسماعيلية وليسوا الزيدية.

١. إكمال الدين، ج ١، ص ٨٧ - ٨٨.

٢. ينظر: القمي، الإمامة والتبصرة: ص ٧١؛ المازندراني، مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ٣٢٧.



٤ - اعتراض آخر للزيدية وجوابه:

قالوا: بأي شيء تدفعون إمامة إسماعيل وما حجتكم على الإسماعيلية القائلين بإمامته؟

ويدفع المصنف هذا الاعتراض: بأننا ندفع إمامته بما ذكر من الأخبار الواردة بالنص على الاثني عشر وبموته في حياة أبيه، فالأخبار الواردة بالنص على الأئمة عليهم السلام ذكرناها في هذا الكتاب - كمال الدين -، وأمّا ما ورد في موت إسماعيل يروى عن سعيد بن عبد الله الأعرج<sup>(١)</sup> قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لما مات إسماعيل<sup>(٢)</sup> أمرت به وهو مسجى أن يكشف عن وجهه فقبلت جبهته وذقنه ونحره، ثم أمرتهم فغطوه، ثم أمرت به فغسل، ثم دخلت عليه وقد كفن، فقلت: اكشفوا عن وجهه، فقبلت جبهته وذقنه وعودته، ثم قلت: درجوه»، فقلت بأي شيء عودته؟ قال: «بالقرآن»، ثم يشير المصنف هنا إلى أن هذا الخبر فيه فائدة هي أنه قال أمرت به فغسل ولم يقل غسلته، وفيه ما يبطل إمامة إسماعيل لأن الإمام لا يغسله إلا إمام، ويروى أنه حين مات إسماعيل وانتهى أبو عبد الله عليه السلام إلى القبر قعد إلى جانب القبر ولم ينزل في القبر، وقال: «هكذا صنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإبراهيم ولده»، وينقل المصنف بعدها عدة أخبار للإمام الصادق عليه السلام عند موت ابنه إسماعيل، منها أنه جزع لموته وقيل

١. سعيد بن عبد الله الأعرج مولى بني هاشم الكوفي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، ينظر: الطوسي،

رجال الطوسي: ص ٢١٥؛ الخوئي، معجم رجال الحديث: ج ٩، ص ١٠٩ - ١١٠.

٢. وردت الكثير من الأخبار التي تؤكد موته في حياة أبيه بمنطقة العريض في المدينة ودفن بالبيع، ينظر:

البخاري، سر السلسلة العلوية، ص ٣٥؛ المفيد، الإرشاد: ص ٣٥٨؛ الطبرسي، سيرة المعصومين عليهم السلام:

ص ٢٩٤؛ لم أجد مصدر يثبت وفاته بالتحديد سوى أنها تذكر أنه توفي قبل أبيه وفي حاشية بعض

الكتب ذكر أن وفاته سنة (١٣٣هـ)، ينظر: البخاري، سر السلسلة العلوية، ص ٣٥ هامش رقم (٢)؛

النوبختي، فرق الشيعة: ص ١١٤، هامش رقم (٢).





إنه كتب على كفنه «إسماعيل يشهد أن لا إله إلا الله»<sup>(١)</sup>.

أورد المصنّف نفس الرواية في كتاب آخر له، وكذلك أخرجها بعض المتأخرين في خبر موت إسماعيل<sup>(٢)</sup>، وخير دليل في الرد نفسه الذي يورده المصنّف أنه الإمام الصادق عليه السلام أمر بغسله ولم يغسله لأن المعصوم من الأئمة الاثني عشر عليه السلام لا يغسله إلا معصوم حتّى لا تثبت حجة بأنه غسّله، والواضح أن الإمام الصادق عليه السلام يلمح لهم بأنه ليس من المعصومين، وهذا ليس طعنًا في إسماعيل وإنما كرامة له أن يقف أبوه الإمام الصادق عليه السلام على غسله وتكفينه ويعوذه بالقرآن وكشف عن وجهه وقبّله مرتين قبل أن يكفن، ثم بعد أن كفن وأمر بفتح الكفن وشاهده من حضر يؤكّد ذلك.

وفي خبر عن موت إسماعيل يكفي ردًا على هذا كله وما ورد في شأن الحاضرين في موته يذكر أن الإمام الصادق عليه السلام دعا بثلاثين رجلاً عند وفاة إسماعيل وفيهم داوود بن كثير الرقي<sup>(٣)</sup> وأبو بصير، وأمر داوود بكشف وجه إسماعيل فقال: «تأمّله يا داوود فانظره أحيّ هو أم ميت؟» فقال: بل ميت، فجعل يعرض على رجل رجل حتّى أتى على آخرهم، فقال عليه السلام: «اللهم اشهد»، ثم أمر بغسله وتجهيزه ثم قال: «يا مفضل احسر عن وجهه» فحسر عن وجهه فقال: «أحيّ هو أم ميت؟ انظروه اجمعكم»، فقال: بل يا سيدنا ميت، فقال: «شهدتم بذلك وتحققتموه؟» قالوا: نعم، وقد تعجبوا من فعله، فقال: «اللهم اشهد عليهم»، ثم حمل إلى قبره، فلما وضع في لحده، قال: «يا مفضل اكشف عن وجهه»، فقال للجماعة: «انظروا أحيّ هو أم ميت؟» فقالوا: بل ميت يا ولي الله، فقال: «اللهم اشهد فإنه سيرتاب المبطلون: ﴿يُرِيدُونَ

١. الصدوق، إكمال الدين: ج ١، ص ٨٨ - ٩١.

٢. ينظر: الصدوق، من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ١١٢؛ العاملي، وسائل الشيعة: ج ٣، ص ٢٩٨؛ المجلسي،

بحار الأنوار: ج ٤٧، ص ٢٤٧؛ البروجردي، جامع أحاديث الشيعة: ج ٣، ص ٦.

٣. من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، ينظر: الطوسي، رجال الطوسي: ص ٢٠٣.

لِيُطْفِرُوا نُورَ اللَّهِ»، ثم أومى إلى موسى عليه السلام وقال: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨]، ثم حثوا عليه التراب، ثم أعاد علينا القول فقال: «الميت المكفن المحنط المدفون في هذا اللحد من هو»؟ قلنا: إسماعيل ولدك، فقال: «اللهم اشهد»، ثم أخذ بيد موسى فقال: «هو الحق ومعه ومنه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها»<sup>(١)</sup>.

٥ - اعتراض آخر للزيدية وجوابه:

قالوا: إن الإمامية اختلفت بعد أن مضى الحسن بن علي عليه السلام، فمنهم من زعم أن ابنه كان ابن سبع سنين، ومنهم من قال: إنه كان صبياً أو رضيعاً، وكيف كان فإنه لا يصلح للإمامة ورئاسة الأمة ومدبر جيوشها والمقاتل عنهم والذاب عن حوزتهم، لأن الصبي الرضيع والطفل لا يصلح لمثل هذه الأمور إذ لا يمكنه إدارة هذه الأمور أو غيرها؟

والجواب هنا من المصنف: أنهم نسوا كتاب الله تعالى، ولولا ذلك لم يرموا الإمامية بالباطل، وأنهم نسوا قصة عيسى عليه السلام وهو في المهد حين يقول: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ (مريم: ٣٠-٣١)، وكذلك القول في يحيى عليه السلام وقد أعطاه الله الحكم صبياً، فإن جحدوا ذلك فقد جحدوا كتاب الله، ومن لم يقدر على دفع خصمه إلا بعد أن يجحد كتاب الله فقد وضح بطلانه<sup>(٢)</sup>.

٦ - في عدد من اعتراضات للزيدية على نسبه وإمامته:

قد شك الناس في صحة نسب هذا المولود إذ أكثر الناس يدفعون أن يكون للحسن بن علي عليه السلام ولد.

١. المازندراني، مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٣٢٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ٢٥٤؛ الأمين، أعيان

الشيعة: ج ٣، ص ٣١٧.

٢. الصدوق، إكمال الدين: ج ١، ص ٩٥ - ٩٦.



فيقال لهم: قد شك بنو إسرائيل في المسيح ورموا مريم بما قالوا: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ (مريم: ٢٧)، فتكلم المسيح ببراءة أمّه ﷺ فقال: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (مريم: ٣٠)، فعلم أهل العقول أن الله ﷻ لا يختار لأداء الرسالة مغمور النسب، كذلك الإمام إذا ظهر كان معه من الآيات الباهرات والدلائل الظاهرات ما يعلم به أنه بعينه دون الناس هو خلف الحسن بن علي ﷺ.

وقال بعضهم: ما الدليل على أن الحسن بن علي العسكري توفي؟  
والجواب عن هذا بأن الأخبار في موته كثيرة<sup>(١)</sup>.

ونضع رداً على الإشكاليين السابقين مع ما وضح من ردود مقارنة لتكلم عيسى ﷺ بوقت مناسب للدفاع عن أمره وعن والدته أمام بني إسرائيل وهو في المهدي، وكذلك الإمام ﷺ وذلك في لحظة تقدم جعفر للصلاة على أبيه أراد الدفاع عن قضيته وتكلم أمام الحاضرين وله من العمر خمس سنوات، حتى أنهم لم يكونوا يعرفونه من قبل، ولعلهم نقلوا تلك الحادثة في مواطن كثيرة وقال: «تأخريا عم، فأنا أحق بالصلاة على أبي»، فتأخر جعفر وقد اربد وجهه واصفر، فتقدم الصبي وصلى عليه...<sup>(٢)</sup>، وفيه إشارات بأنه يا جعفر أنا ابن أخيك حين قال: «يا عم» أمام الحاضرين، وهذا أبي وأنا أصلي عليه ليثبت حجته، ولا يوجد لديه إخوة، وكذلك فيها إثبات لموت الإمام العسكري ﷺ.

والرد على كونه صبياً إذ كيف له بشؤون الحكم أو الإمامة؟  
فحسب قول المصنف في رده: فقد جحدوا القرآن، أي إنهم يردون قول

١. الصدوق، إكمال الدين: ج ١، ص ٩٦.

٢. ابن حمزة، الثاقب في المناقب: ص ٦٠٧ - ٦٠٨ النجفي، منتخب الأنوار المضيئة: ص ٢٨١ - ٢٨٤؛ البحراني،

مدينة المعاجز: ج ٧، ص ٦١١ - ٦١٤.



القرآن الكريم في يحيى عليه السلام: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (مريم: ١٢)<sup>(١)</sup>، وعلى هذا الأساس ورد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «يكون هذا الأمر في أصغرنا سنّاً وأجملنا ذكراً ويورثه الله علماً ولا يكله إلى نفسه»<sup>(٢)</sup>، أمّا إمامته في صغر سنّه فكذلك من آباءه عليه السلام الإمام الجواد عليه السلام خلف أباه وعمره ثماني سنوات وبقيت إمامته سبع عشرة سنة<sup>(٣)</sup>.

ثم ينقل المصنّف اعتراضاً للزيدية بقوله: (فقال قائل منهم: فهلا دلكم تنازع أم الحسن وجعفر في ميراثه أنه لم يكن له ولد؟ لأننا بمثل هذا نعرف من يموت ولا عقب له أن لا يظهر ولده، ويقسم ميراثه بين ورثته؟) وردّاً على هذا الاعتراض يقال: بأن تدبير الله تعالى في أنبيائه ورسله وخلفائه ربما يجري على ما هو معهود وما هو معتاد، وربما يجري خلاف المعتاد فلا يحمل أمرهم في كل الأحوال على العادات كما لا يحمل أمر المسيح عليه السلام على العادات<sup>(٤)</sup>، والمعروف أن المسيح جرى في أمره غير المعتاد كما هو حال البشرية ومنها كما حصل في ولادته، فلعل هذا الطرح للتشبيه فيه أن أمر الإمام الحجة عليه السلام سيكون خلاف ما هو معهود وما هو معتاد عليه في كثير من أموره، وهذا بتدبير الله تعالى على وفق المصلحة المتبغاة وفق التخطيط المعد له، ومنها عدم ظهوره علناً للمطالبة بميراثه وذلك للحفاظ عليه من المخاطر المحدقة به.

يقول الشيخ المفيد عن هذه الجزئية (بأنه لا ولد له) إنها نشأت من إنكار جعفر بأن لا ولد لأخيه وُلد في حياته، واستحواذه على التركة بدعوى

١. ابن كثير، تفسير القرآن: ج ٥، ص ٢١٦.

٢. السلمى، عقد الدرر، ص ١٠٩؛ المرعشي، شرح إحقاق الحق، ج ٢٩، ص ٢٧٨.

٣. الطبرسي، سيرة المعصومين أ: ص ٣٤٢؛ ابن الصباغ، الفصول المهمة: ص ٢٦٣.

٤. الصدوق، إكمال الدين: ج ١، ص ٩٧.



استحقاقها بميراثه حتى جرى ما جرى من حبس الجواري، ليتأكد هل بقي ولد أخيه يقول: (هذه ليست شبهة يعتمدها عاقل في ذلك فضلاً عن حجة، لا تفاق الأمة على أن جعفر لم تكن له عصمة الأنبياء فيمتنع عليه لذلك إنكار حق ودعوى باطل، بل كان من جملة الرعية التي يجوز عليها الزلل ويعتريها السهو ويقع منها الغلط ولا يؤمن منها تعمد باطل ويتوقع منها ضلال)<sup>(١)</sup>، أي إن التشبيه هنا بإنكار هذا المولود هو ومن يقول بهذه الشبهة فحاله كحال جعفر، فهو أساس من قال بها وانطلقت منه وأشاعها طمعاً في الميراث.

وفي رد آخر للشيخ المفيد حول الوصية والنص على الإمام بعد الحسن العسكري عليه السلام وذلك من خلال الوصية التي عهد بها الإمام العسكري عليه السلام إلى والدته بأمر الوقف وصدقاته وأنه لم يذكر بها الإمام بعده وأسند النظر فيها إلى والدته دون غيرها، فهذا ليس بشيء يعتمد على إنكار ولد له قائم من بعده، وذلك لأن غرضه من هذا هو إخفاء ولادته وستر حاله، مع اضطراره إلى شهادة بعض خواص الدولة العباسية على الوصية وغيرهم من الشهود حتى أثبتت وصيته عند قاضي الزمان، فيكون ذلك لغرض إبعاد أنظارهم عنه وعدم التنبه إلى ولده بعده.

ويقول: فإن جاز له<sup>(٢)</sup> أن يشك في هذا لم لا يجوز أن نشك في كل من يموت ولا عقب له ظاهراً؟

والجواب على هذا: أننا لا نشك في أن للإمام الحسن العسكري عليه السلام ولداً، وذلك بشهادة من أثبت وشهد بأن له ولداً من الفضلاء والشيعة الأخيار<sup>(٣)</sup>،

١. المسائل العشرة في الغيبة: ص ٥٧.

٢. في بعض النسخ بدلاً من (له) (لنا أن نشك).

٣. لعلّه يقصد هنا هم الأشخاص الذين أطلعهم الإمام العسكري عليه السلام على ولده منذ ولادته وفي صباه في حياة أبيه حتى أنهم نقلوا أخبار مشاهدته لهم وكيف أطلعهم الإمام عليه السلام على ولده المستور، وحكوا حوادث تلك المشاهدات وكذلك الأشخاص الذين التقى بهم الإمام الحجة نفسه عليه السلام في زمن الغيبة الصغرى أو الكبرى.

والشهادة التي يجب قبولها هي شهادة المثبت لا شهادة المنكر، ويعطي مثلاً على هذا وهي قصة موسى عليه السلام لأن الله أراد أن ينجي بني إسرائيل من العبودية ويصير دينه على يديه غضاً طرياً أوحى إلى أمه: ﴿فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص: ٧)، فلو أن أباه عمران مات في ذلك الوقت فإن الحكم في ميراثه كالحكم في ميراث الإمام الحسن عليه السلام، ولم يكن هذا دلالة على نفي الولد، وخفي على مخالفتنا فقالوا: إن موسى ليس حجة في ذلك الوقت وقالوا: إن الإمام عندنا حجة، ونحن إنما شبَّهنا ولادة موسى وغيبته بولادة الإمام المهدي عليه السلام وغيبته، وكذلك غيبة يوسف عليه السلام حيث لم يقف على خبره أبوه مع قرب المسافة بينهما لولا تدبير الله ودخول إخوته عليه فعرفهم وهم له منكرون، وكذلك شبَّهنا أمر حياته بأصحاب الكهف حيث لبثوا ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعاً وهم أحياء<sup>(١)</sup>. والأخبار في هذا الباب كثيرة من النص على ولادته وإمامته وأسباب خفاء مولده وطول عمره كما هو وارد في التاريخ وليس بغريب.

ويعلق الشيخ المفيد على شبهة مماثلة فيقول: (وقد أجمع العلماء من الملل على ما كان من ستر ولادة إبراهيم الخليل عليه السلام ذلك بتدبير أبيه وأمّه في إخفاء أمره عن ملك زمانه لخوفهم عليه منه وبستر ولادة موسى بن عمران عليه السلام وبمجيء القرآن بشرح ذلك على البيان والخبر أن أمّه ألقته في اليم... فما الذي ينكر خصوم الإمامية من قولهم ستر الحسن عليه السلام ولادة ابنه المهدي عن أهله وبني عمّه وغيرهم من الناس وأسباب ذلك أظهر من أسباب ستر من عددناه وسميناه... والخبر بصحة ولد الحسن عليه السلام قد ثبت بأوكد ما تثبت به أنساب الجمهور من الناس إذا كان النسب يثبت بقول قابلة، ومثلها من النساء اللاتي جرت عاداتهن بحضور ولادة النساء وتولي معاونتهن

١. الصدوق، إكمال الدين: ج ١، ص ٩٧.



عليه وباعتراف صاحب الفرائض وحده بذلك دون سواه وبشهادة رجلين من المسلمين على إقرار الأب بنسب الابن منه، وقد ثبتت أخبار عن جماعة من أهل الديانة والفضل والورع والزهد والعبادة والفقهاء عن الحسن بن علي عليه السلام أنه اعترف بولده الإمام المهدي عليه السلام وأذنهم بوجوده ونصّ لهم على إمامته من بعده وبمشاهدة بعضهم له طفلاً وبعضهم له يافعاً وشاباً كاملاً وإخراجهم إلى الشيعة بعد أبيه الأوامر والنواهي والأجوبة عن المسائل وتسليمهم له حقوق الأئمة من أصحابه<sup>(١)</sup>.

ثم يقول المصنف: (فإن قالوا بعدم صحة ما طرحنا وأن هذه أمور لا دليل على صحتها معهم؟

فالجواب عن هذا في الأخبار وما أسند عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، فإن قيل: كيف التمسك به ولا نهتدي لمكانه ولا يصله أحد؟ حينها يقال لهم: أن نتمسك بالإقرار بإمامته وبالنجباء القائلين بإمامته والمثبتين لولادته وولايته المصدقين في النص عليه وباسمه ونسبه من أبرار الشيعة العالمين بالكتاب والسنة لما صح وروده عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، وقد دلت الدلائل على طاعة هؤلاء الأئمة الأحد عشر عليهم السلام الذين مضوا ووجب القعود معهم إن قعدوا والنهوض معهم إن نهضوا والاستماع منهم إن نطقوا وعلينا أن نفعل كل ما دلت عليه الدلائل<sup>(٢)</sup>.

والرد واضح مما يورده المصنف بأنه يقول: إن واجب الالتزام حاصل بما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام وما قالوا بحقه وإمامته، وبحسب الاعتقاد أن هذا الرد وجهٌ للزيدية كونهم يعتقدون بإمامة من مضى من آبائه فيحتج عليهم بأنه يجب الالتزام بما قالوه كونهم مفترضي الطاعة على من

١. المسائل العشرة في الغيبة: ص ٥٤ - ٥٥.

٢. الصدوق، إكمال الدين: ج ١، ص ٩٧ - ٩٨.



يقول بإمامتهم، وكون اعتراضاتهم هنا هي رد على ما أخبر به الأئمة عليهم السلام، فالواجب هو التسليم والطاعة لهم، وقد بينوا للناس أمر القائم والغيبة كما بينوا غيرها من الأمور وأخذها الناس، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «أبى الله أن يجري الأشياء إلا بالأسباب، فجعل لكل شيء سبباً وجعل لكل سبب شرحاً، وجعل لكل شرح مفتاحاً، وجعل لكل مفتاح علماً، وجعل لكل علم باباً ناطقاً، ومن عرفه عرف الله، ومن أنكره أنكر الله، ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن»<sup>(١)</sup>، فالواجب طاعتهم بكل ما أخبروا به ومنها القضية المهدوية والغيبة والابتعاد عن التشكيك بما صح وروده عنهم كأن يؤخذ بعض كلامهم ويترك بعضه، وهنا القائل بهذا كالمشكك بعصمة الأئمة عليهم السلام.

٧ - اعتراض آخر للزيدية ورده:

يعترض الزيدية هنا معتمدين قول الواقفة بأنهم يعارضون الإمامية في موت موسى بن جعفر عليهما السلام ويقولون: إنكم قلتم هذا بالعرف والمشاهدة، وقد أخبر الله تعالى في شأن عيسى عليه السلام: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ﴾ (النساء: ١٥٧)، وقد رآه القوم بحكم المشاهدة، وإنهم رأوه مصلوباً، فليس بمنكر مثل ذلك في سائر الأئمة الذين قال بغيبتهم طائفة من الناس؟

والجواب عن هذا: بأن ليس الأئمة عليهم السلام في هذا كسبيل عيسى عليه السلام حيث ادّعت اليهود قتله وكذبهم الله في ذكره بقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup> وأئمتنا عليهم السلام لم يرد في شأنهم أنهم شُبِّهوا وإنما ذلك من قول الغلاة، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله بقتل أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «إنه ستخضب هذه من هذا»، وأخبر كذلك بقتل الحسين عليه السلام وأخبر بمن بعدهما من الأئمة

١. الصفار، بصائر الدرجات: ص ٢٨.

٢. الصدوق، إكمال الدين: ج ١، ص ٩٨.





إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فالمخبرون بموت الأئمة عليهم السلام هم النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام واحداً بعد واحد، والمخبرون بقتل عيسى عليه السلام هم اليهود، فالكذب على المخبرين بموتهم غير جائز لأنهم معصومون وهو على اليهود جائز<sup>(١)</sup>.

الرد المطروح أعلاه فيه حجة قوية، أي إن من قال: إن عيسى عليه السلام قتل وصلب هم اليهود وصدقتم هذا وتحتجون به بالرغم من كون قضية عيسى عليه السلام في ثوابت الإسلام أنه رفعه الله تعالى، والزيدية أو الواقفة باحتجاجهم هذا كأنهم لا يعلمون بهذا الأمر أو لا يعترفون به أو فسروه برأيهم به، وأمّا موت الأئمة عليهم السلام فإنه أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وصح عندهم، والدليل أيضاً أن الأئمة كل واحد منهم ينص على الذي بعده، فأمر الزيدية في طرح احتجاجاتهم، فيه نوع من الإرباك من باب أنهم يعترفون ببعض الأئمة ومن باب يحتجون بقول غيرهم من الفرق، وإن صح القول بأن الاحتجاجات هذه تنسب لهم، فهذا ينم عن جهلهم بالأمر كله وافتقار حججهم، أمّا قول الواقفة الذي يحتج به الزيدية في وفاة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فقد ثبت بالتواتر في أخبار وفاته وأثبت بعضه في قول الواقفة مسبقاً.

ويضع الشريف المرتضى رداً على قول تلك الفرق السابقة القائلة في الغيبة في غير محلها حيث يسميها (الفرق الشيعية البائدة)، بعد أن يثبت الأصل في إمامة صاحب الزمان عليه السلام والقول بغيبته، منها الرد على الكيسانية القائلة بإمامة محمد بن الحنفية وأنه صاحب الزمان عليه السلام، والناوسية القائلة بأن الإمام الصادق عليه السلام هو المهدي عليه السلام، ثم الواقفة القائلة بأن المهدي المنتظر هو موسى بن جعفر عليه السلام [ويمكن أن نضع معها الزيدية كونها تحتج بمقالة تلك

١. الصدوق، إكمال الدين: ج ١، ص ٩٨ - ٩٩.

الفرق] يقول: (لأن العلم بموت ابن الحنفية كالعلم بموت أبيه وإخوته عليهم السلام وكذلك العلم بوفاة الصادق عليه السلام كالعلم بوفاة من توفي من آباءه وأجداده وأبنائه عليهم السلام...) (١).

وللطوسي رحمته الله تعليق عام على كل الفرق المشككة هنا بما يشابه الإشكالات المطروحة عند الصدوق رحمته الله، بعد أن يذكر عدّة روايات، وي طرح استدلالات كثيرة يقول في نهايتها: (فقولهم يفسد بما دللنا عليه أن الأئمة عليهم السلام اثنا عشر فهذا القول يجب إطراحه) (٢) على أن هذه الفرق كلّها قد انقضت بحمد الله، ولم يبقَ قائل يقول بقولها، وذلك بطلان هذه الأقاويل) (٣).

١. المقنع في الغيبة: ص ٣٧ - ٣٩.

٢. من أصل طرح وأطرحه وطرحه وال طرح، وتعني لا حاجة لأحد فيه، ينظر: ابن منظور: ج ٨، ص ١٣٧.

٣. الغيبة: ص ٢٢٨.

## الخاتمة:

وما أثبت من خلال ما طرحه المصنف وما أخرج في الدراسة من إشكالات واعتراضات وأقوال في الغيبة من قِبَل أصحاب الفِرَق وبعض المشكِّكين قد ردَّ عليها الشيخ الصدوق أو طرح ما ورد عند غيره من إشكالات مع ردودها أضفنا عليها بعض التحليلات والردود التي تبطل حجج أصحاب الفِرَق في الغيبة، وقد توضح بعض من تلك الإشكالات، ويمكن التوسع بهذا الموضوع أكثر مما طرح إلا أن محاولة التزامنا بما طرح في الكتاب جعله يقف عند هذا الحد، ومع ذلك أعتقد أن موضوع الإشكالات والاعتراضات يحتاج إلى وقفة من الباحثين المختصين على تلك الإشكالات بالرغم من أنها طرحت في أزمنة سابقة وقد يعتقد البعض أنها قد انتهت، إلا أنها تطرح اليوم بأشكال وصيغ أخرى من قضية اليأس من الظهور ولطول الأمد، فيمكن أن ينتج منها دراسة موسَّعة قد تسعف المتحيرين في قضية الغيبة وصاحبها ﷺ.



**ALMAUOOD**

[www.m-mahdi.com/almauood](http://www.m-mahdi.com/almauood)

[almauood@m-mahdi.com](mailto:almauood@m-mahdi.com)

## أسلوب الاستفهام في دعاء الندبة (دراسة أسلوبية)

فائزة عبد الزهرة جامل السكيني

### المقدمة:

انفتح دعاء الندبة على تنويع مدهش، وتعددية هائلة بإظهار الهدف من إرسال الأنبياء والرسل ﷺ، حفل بتركيز كبير من أجل إظهار التأسف واللوعة لفقد الإمام ﷺ، وفيه ثقافة عالية على البناء واللغة، لقد حمل دعاء الندبة نزعة خطابية تستنهض القارئ (الداعي) بنحو المستغيث الحائر اللائذ بفناء بقية الله ﷺ، لصلته بالعترة وبالله تعالى وبجميع الأنبياء والمرسلين ﷺ، فهو الملاذ الأخير الذي يلجأ إليه المضطر، بل الذي يجب أن يلجأ إليه في كل حين، لأنه إمام زماننا وهو حي يرزق، فتكرار الاسم (أين) يستدعي بوجوب ندبة الإمام ﷺ وإلحاح على أن نراه ونشكو إليه ما يلئم بنا من المظالم والجور. ومما تجدر الإشارة إليه أن الأمر بالدعاء يأتي بأمر الله ﷻ بقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠)، لذا فالداعي يتوجه لربه ببقيته في مطلع هذا المقطع بقوله «أين بقية الله» فالتوجه لله ﷻ ببقيته وبقية حبيبه محمد ﷺ، فهم - محمد وآل محمد ﷺ - علة الوجود، وقد بقي ابنهم صاحب العصر والزمان ﷺ، والملقب بالمهدي، فتوجه لله ﷻ به، ونكي ونستصرخ وندب من أجل



ظهوره ومن أجل أن ينزل الفيض الإلهي والرحمة لعباده، ومن أجل الاتصال بالحضرة الإلهية بسيل من الكلمات الممزوجة باللواعج والانكسارات النفسية التي ولدتها الذنوب، وقد قال رسول الله ﷺ: «أعجز الناس من عجز عن الدعاء وأبخل الناس من يبخل بالسلام»<sup>(١)</sup>.

وقد ورد دعاء الندبة في عدة مصادر قديمة أقدمها المزار الكبير للمشهدي الذي كان وما زال موضع عناية العلماء، وفي مصباح الزائر وإقبال الأعمال للسيد علي بن طاووس، وغيرها من المصادر.

اعتمدنا في بحثنا عن النسخة المنقولة في مفاتيح الجنان للقمي، طبعة بيروت، علماً أننا لم نجد دراسة حديثة تناولت دعاء الندبة بشكل كامل، وقد اقتصرنا في بحثنا هذا في فصل ندبة صاحب العصر والزمان ﷺ وقد وجدنا أن أسلوب الاستفهام قد شكّل منبراً أصيلاً يُعبرُ به عن الفجيعة والألم لفقد الإمام ﷺ وعدم ظهوره لنا، ولما يحوي هذا الأسلوب من قوة بلاغية يديها نص بلا منازع، استطاع أن يضيف إلى النص آفاقاً توثقت علاقتها بالنص وصلتها بالحياة، فالاستفهام أسلوب تعبير يملك مستوى أدائياً عالياً بمقدوره التكيّف مع مختلف الانفعالات والنوازع الذاتية، لقد استلهم من أسلوب الاستفهام آفاهه اللغوية الثرة للتعبير عن اللوعة والحرمان من عدم رؤية الإمام ﷺ واستمرار فترة الغيبة.

فكان المبحث الأول: الأنماط الصورية للاستفهام في الدعاء، فكان اسم الاستفهام + اسم الفاعل، واسم الاستفهام + اسم المفعول.  
أمّا المبحث الثاني: فكان الظواهر الأسلوبية في الدعاء، وفيه تناولنا التكرار والحذف، ثم الخاتمة ونتائج البحث.

١. الأصول من الكافي: الكليني: ٢/٤٦٨.



ومما هو جدير بالذكر أن من فضل الله ﷻ أن يبقى الإمام ﷺ حياً مدخراً إلى اليوم الموعود يعيش بيننا ويتعرف على أخبارنا وتعرض عليه أعمالنا، فالانتظار من صفات المؤمن، ومن هنا أكّدت الروايات ثواب الانتظار، عن الإمام الرضا عليه السلام عن آباءه عليهم السلام، قال: «قال رسول الله ﷺ: أفضل أعمال أمتي انتظار فرج الله تعالى»<sup>(١)</sup>، وقال علي بن الحسين عليه السلام: «انتظار الفرّج من أعظم الفرّج»<sup>(٢)</sup>، وقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «من ثبت على ولايتنا في غيبة قائمنا أعطاه الله أجر ألف شهيد مثل شهداء بدر وأحد»<sup>(٣)</sup>.

لقد ذخر الله ﷻ الإمام ﷺ للتغيير الشامل، لأن وظيفته مرتبطة بوظيفة جميع الأنبياء والأوصياء عليهم السلام بل هي النتيجة الحتمية لكل الرسالات السماوية. إن هذه المسؤولية العظيمة جداً وهذا الدور القيادي الكبير الذي صعب على العقل إدراكه لشدته وعظيم بأسه والقدرة التي تفوق طاقة البشر وطاقة العقول، لا أحد قادر على أن يؤديها على أكمل وجه سوى الإمام المهدي ﷺ. لذا فهو وجه الله ﷻ، نجد أن دعاء الندبة هو دعاء يقدم عصارة منذ بدء الخليقة إلى الآن، لذا فهو منظومة كاملة لكل أعمدة مشروع الإمام المهدي ﷺ. يبين ارتباط المشروع المهدي بهوية الدور النبوي والدور الولوي، ليرسم لنا وظائف المؤمن وما ينبغي أن يعمل به وما يقدم للمشروع المهدي، لأن الشياطين تريد أن تجند المؤمن بطرق خفية وطرق غير مرئية يريدون أن يجمدوه ويخزلوه ساعة بعد ساعة ويشغلوهم عن الارتباط بالمشروع المهدي، لذا يحتاج المؤمن إلى ترويض متواصل أساسه الاستشعار بوجود الإمام ﷻ وأن لا يغفل عن ذكر الله تعالى وعن ذكر الإمام المهدي ﷻ، وأن يؤدي ما يريده إمام زمانه منه من

١. بحار الأنوار: ٥٢: ١٢٣.

٢. كمال الدين: ٣٣٠، الاحتجاج: ٣: ٥٠، بحار الأنوار: ٣٦: ٣٨٧.

٣. بحار الأنوار: ٥٢: ١٣٦.

العمل الصالح ومساعدة الناس والالتزام بأحكام الدين، وكل ما يمت للدين بصلة، مما يسرُّ الله ووصيه الغائب الحاضر ﷺ.

**التمهيد: التعريف بالاستفهام وأغراضه بشكل مختصر:**

الاستفهام نمط تركيبى من الجمل الإنشائية الطلبية، فهو طلب العلم عن شيء لم يكن معلوماً أصلاً، وهو مشتق من مادة (فهم)، وقد عرفه ابن منظور بقوله: (الفهم معرفتك الشيء بالقلب، وفهمت الشيء: عقلته وعرفته، وفهمت فلاناً وأفهمته وتفهم الكلام: فهمه شيئاً بعد شيء واستفهمه: سأله أن يفهمه، وقد استفهمني الشيء، فأفهمته وفهمته تفهيماً)<sup>(١)</sup>، وقال ابن قتيبة (واستفهمته سألته الإفهام)<sup>(٢)</sup>، فالاستفهام في أصل اللغة هو: طلب الفهم وكذا في اصطلاح النحويين أيضاً، لكنه عند السيوطي (ت ٩١١ هـ): (طلب الأفهام)<sup>(٣)</sup>.

وللاستفهام أدوات متعددة ومختلفة في تصنيفها أيضاً حيث تنقسم إلى (حروف) و(أسماء وظروف)، وسنقتصر في دراستنا هذه على الظرف (أين) وهو ظرف يستعمل للسؤال عن المكان، وهو اسم، وإن غنى هذا المقطع من دعاء الندبة بهذا الاسم الاستفهامي هو ما دفعني للخوض في هذا البحث المتواضع، علماً أنه قد تخرج صيغ الاستفهام عن معانيها الحقيقية إلى معانٍ أخرى، تُفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال ومن أهم هذه المعاني ما يلي: التقرير: (وهو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقرّ عنده)، وكذلك الأمر والنهي، والتسوية، والاستثناس، والتبكيث، والتهويل، والتخويف، والاستبعاد، والتفخيم والتعظيم، والتعجب، والتهكّم، والسخرية، والتهديد والوعيد، وغيرها.

١. ابن منظور: لسان العرب، مادة (فهم).

٢. ابن قتيبة الكوفي الدينوري: ٣٦٠.

٣. جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن: ٢٩٤.





فالاستفهام المجازي، يكون السائل عالماً فيه بما يسأل عنه، لكنه يقصد فيه معنى من المعاني المجازية، التي يفهمها المتلقي من السياق اللغوي عند تأمل النص، وفقهه، وسبر ما يمكن وراءه من معانٍ وأسرار.

وفي بحثنا نجد أن البنية التركيبية للجملة الاستفهامية لم تأت على نسق واحد، بل جاءت بنسقين متكونة من اسم الاستفهام مع اسم الفاعل في النسق الأول، ومع اسم المفعول في النسق الثاني، فكان قوام البحث معتمداً على الجملة الاسمية، ذلك أن هذه الجملة في أصل وضعها تفيد ثبوت الوصف لموصوفه، وقد تمثل هذا في نسبة صفات الإمام عليه السلام فهي ليست صفات وقتية غير ثابتة فيه، بل هي موجودة فيه على الدوام، وهذه سمة أسلوبية امتاز بحثنا فيها ضمن هذا الفصل من ندبة الإمام عليه السلام.

### المبحث الأول: الأنماط الصورية للاستفهام في الدعاء:

#### ١- اسم الاستفهام + اسم الفاعل:

يعد هذا النمط أكثر الأنماط التصورية، إذ بلغ ثلاثاً وعشرين مرة في المقطع المختار من الدعاء، واسم الفاعل: هو عبارة عن صيغة تختزل في طياتها عنصرين، وهما: الحدث والذات القائمة بذلك الحدث، فيبني على هذين العنصرين، وهذه القيمة الدلالية تُعدّ قرينة معنوية، تُسهم إسهاماً فاعلاً في التعرف على هذه الصيغة، فمتى ما وجدنا اسماً يحمل هذه السمات حكماً عليه بالفاعلية، ويُصاغ من الأصول المجردة على وزن فاعل<sup>(١)</sup>، وفيما زاد عليها على صيغة المضارع بميم مضمومة وكسر ما قبل الآخر<sup>(٢)</sup>، وهي قرينة لفظية للدلالة عليه.

١. ينظر: المقتضب: ٢/٢٠٢، وشرح المفصل: ٦/٨٥.

٢. ينظر: المقرب: لابن عصفور: ٤٩٨، وشرح ابن الناظم ٤/٣١٢٣، وشرح الرضي على الكافية: ٣/٣٢٧، وشرح الحدود في النحو: الفاكهي: ٩٠، تصريف الأسماء، محمد الطنطاوي: ٨٥.



ويُعدّ اسم الفاعل من الصيغ التي تنطوي ضمن تراكيب اللغة العربية وإمكاناتها المتنوعة في مجال التعبير عن الزمن، بالصيغ الفعلية المجردة والمزيدة، وبالتراكيب، وبيعض الأسماء ومنها اسم الفاعل.

«أين بقية الله التي لا تخلو من العترة الهادية»:

البقية بمعنى الباقي أي: ما أبقى الله تعالى<sup>(١)</sup>، وبقية اسم من أسائه الشريفة، والندبة للميت والحي الغائب، وبقية اسم خاص مختص بصاحب العصر عليه السلام وهذا الاسم الأول في فصل نديته عليه السلام فلم يبق من كل الأنبياء والمرسلين عليهم السلام والأوصياء أحد إلا البقية الباقية، بقية تنسب إلى الله تعالى، فهو تعالى لا يترك الأرض من حجة إما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مستوراً، لا يوجد غير الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام، يأتي اسم الفاعل في قوله الهادية: أي بقية الله الهادي للأمة الذي لا يمكن أن تخلو الأرض منه ولو خلت ساعة لذهب الوجود وانعدم، وكذلك في قوله «دابِر» في المقطع «أين المُعدّ لقطع دابر الظلمة»، الدابر الأصل، وقال ابن بُرْزج: دَابِرُ الأمرِ آخره، ودُبْرُ الأمرِ آخره، ودُبْرُ الأمرِ ودُبْرُهُ آخره، ودَابِرُ القومِ آخر من يبقى منهم ويجيء في آخرهم<sup>(٢)</sup>.

وفي «محيي» في المقطع «أين محيي معالم الدين»:

أي بظهور القائم عليه السلام.

وفي «قاصم» و«المعتدين» في المقطع «أين قاصم شوكة المعتدين»، القصم:

دَق الشيء، يقال للظالم: قَصَمَ اللهُ ظهْرَهُ، القَصْمُ: كسر الشيء الشديد حتى يبين، قَصَمَهُ يَقْصِمُهُ قَصْماً فانْقَصَمَ وتَقَصَّمَ كَسَرَهُ كَسْراً<sup>(٣)</sup>.

١. مجمع البيان: ٥: ٢٤٩.

٢. لسان العرب (دبر): ٥: ٢٠٩.

٣. لسان العرب (قصم): ١٢: ١٢٤.



وفي «هادم» المقطع «أين هادم أبنية الشرك والنفاق»، هدم: الهدم إسقاط البناء يقال هدمته هدماً وهدم ما يهدم<sup>(١)</sup>.

وفي «مبيد» في المقطع «أين مبيد أهل الفسوق والعصيان والطغيان»:

بَادَ يَبِيدُ يَبِيداً وَيُبِيدُ أَي: هَلَكَ<sup>(٢)</sup> فالإمام ﷺ يُهْلِكُ الفاسقين ولا يترك لهم باقية بظهوره الشريف المبارك، لأنهم تجاوزوا الحد بطغيانهم لأن معنى الطغيان الوارد في المقطع: هو مجاوزة الحد، وكل شيء جاوز المقدار والحد والعصيان فهو طاغ، وأطغيته جعلته طاغياً، وطغنا السيل: ارتفع حتى جاوز الحد في الكثرة<sup>(٣)</sup>. وفي «حاصد» في المقطع «أين حاصد فروع الغي والشقاق»:

وحصدهم بالسيف: استأصلهم<sup>(٤)</sup>، والحصاد بالفتح والكسر: قطع الزرع<sup>(٥)</sup>، ذلك أن الإمام ﷺ يستأصلهم من جذورهم، والتعبير بالحصاد يشير إلى كثرة هؤلاء ويشير إلى قدرة الإمام العالية لمحوهم من الأرض والقضاء عليهم من الأصل.

ويأتي اسم الفاعل أيضاً في كلمة «طامس» في المقطع «أين طامس آثار الزينغ والأهواء»:

ومعنى كلمة طمس: إزالة الأثر بالمحو<sup>(٦)</sup>، عند ظهور الإمام ﷺ.

وفي «قاطع» في المقطع «أين قاطع حبال الكذب والافتراء»:

والقَطْعُ: إبانةٌ بعض أجزاء الجرم من بعضٍ فضلاً قَطَعَهُ يَقْطَعُهُ قِطْعاً وقَطِيعَةً وقُطُوعاً، والقَطْعُ مصدر قَطَعْتُ الحبلَ قِطْعاً فانقَطَعَ، والمِقْطَعُ بالكسر ما يُقْطَعُ به الشيء وقَطَعَهُ واقْطَعَهُ فانقَطَعَ<sup>(٧)</sup>.

١. المفردات: ٢١٣.

٢. المصباح المنير (ب ي د): ٧٠.

٣. المصباح المنير (ط غ ي): ٣٦١.

٤. شرح دعاء الندبة، الشيخ رحيم الفضلي: ٢٨٦.

٥. مجمع البحرين مادة (حصد): ٣: ٢٧.

٦. المفردات: ٤٠٣.

٧. لسان العرب (قطع): ١٢: ١٣٨.



بظهور الإمام ﷺ يهتدي الناس إلى طريق الحق والصدق بوحي أصيل بعيد عن الانحراف والتزييف والانحراف السائد قبل الظهور، فأهل البيت ﷺ هم آل الله وبهم تمّ الدين ويسود العدل بعيداً عن الافتراء والكذب على الرعية، بظهوره يقطع كل الأكاذيب إذ الحق لا يكاد يُعمَل به إلا بعد ظهوره ﷺ.

بدأت القائمة بعد ذلك بحملات الإمام المهدي ﷺ بعد أن مهّدت بـ: أين بقيّة الله المهديّ ﷺ من آل محمد ﷺ الذي لا تخلو العترة الهادية منه، يبدأ بمراحل التطهير.

أول شيء يبدأ به هو القطع إذ من أسماؤه القاطع لكل مظاهر الانحلال والافتراء الموجود.

واسم الفاعل في «مبيد» المقطع «أين مبيد العتاة والمردة»: وبَادَ يَبِيدُ يبدأ إذا هلك<sup>(١)</sup>.

والعتي هاهنا مصدر للعتو وهو التمرد في العصيان وقيل يبدأ بالأكثر جرماً فالأكثر<sup>(٢)</sup>.

وفي مفردة «مستأصل» في المقطع «أين مستأصل أهل العناد والتضليل والإحاد»:

واستأصلته قَلَعْتَهُ بِأُصُولِهِ وَمِنْهُ قِيلَ اسْتَأْصَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْكُفَّارَ أَي أَهْلَكَهُمْ جميعاً<sup>(٣)</sup>، والمعروف أن العنيد هو الذي لا يأخذ بالنصيحة والموعظة بل يأخذ برأيه وهواه ويعدل عن طريق الحق والصواب، لِيُضِلَّ وَيُلْحِدَ فِي دِينِهِ.

ليأتي اسم الفاعل في مفردتي «معز» و«مذل» المقطع «أين معز الأولياء ومذل الأعداء»:

١. لسان العرب (بيد): ٢: ١٨٨.

٢. مجمع البيان: ٦: ٣٩٢.

٣. المصباح المنير مادة (ا ص ل): ٢٠.



العزُّ في الأصل القوة والشدة والغلبة والعزُّ والعِزَّة الرفعة والامتناع والعِزة لله وفي التنزيل ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون: ٨)، أي له العِزة والغلبة سبحانه<sup>(١)</sup>، أمَّا الذل فهو نقيض العز: ذل يذل ذُلًّا وذِلَّةً وذِلالةً ومَذَلَّةً فهو ذليل بين الذل والمذلة من قوم أذلاء وأذلة وذلال<sup>(٢)</sup> فأعداء الدين والرسالة المحمدية يُذلُّهم الإمام القائم ﷺ عند ظهوره.

وفي كلمة «جامع» في المقطع «أين جامع الكلمة على التقوى»:

و(الجامع) من أسماؤه تعالى، وهنا (إشارة إلى خصوصية من خصائص دولة الإمام المهدي ﷺ وهي تجريد الإنسان من جميع العبوديات على اختلاف الأشكال وتكون العبودية لله تعالى)<sup>(٣)</sup> أي لا يبقى يهودي ولا نصراني ولا صاحب ملة إلا صار إلى الإسلام.

وكذلك يأتي اسم الفاعل في مفردة «المتصل» في المقطع «أين السبب المتصل بين الأرض والسماء»:

ولبيان معنى هذا المقطع نجد أن (السبب: الحبل الذي يصعد به النخل وجمعه أسباب... وسُمِّي كل ما يتوصَّل به إلى شيء سبباً...، ومعناه أن الله تعالى أتاه من كل شيء معرفة وذريعة)<sup>(٤)</sup>.

ويأتي أيضاً اسم الفاعل في مفردة «صاحب» في المقطع «أين صاحب يوم الفتح وناشر راية الهدى»:

والمعنى هنا (صاحبه يصحبه صحبة بالضم وصحابة بالفتح وصاحبه عاشره والصاحب جمع الصاحب مثل راكب وركب والأصحاب جماعة الصاحب)<sup>(٥)</sup>.

١. مجمع البحرين مادة (ولا): ١: ٣٠٣.

٢. لسان العرب (ذلل): ٦: ٤٠.

٣. شرح دعاء الندبة، الشيخ رحيم الفضلي: ٢٩٣.

٤. المفردات: ٢٨٩.

٥. لسان العرب (صاحب): ٨: ٢٣٧.



أمّا «ناشر راية المهدي» أي بمعنى (ينشر راية رسول الله ﷺ لا ينشرها بعد يوم الجمل إلا القائم)<sup>(١)</sup>.

واسم الفاعل في مفردة «مؤلف» في المقطع «أين مؤلف شمل الصلاح والرضا»:

وهنا (ألفتُ الشيء وألفتهُ بمعنى واحد لزمته فهو مؤلفٌ ومألوفٌ وألفتُ الظباء الرملَ إذا ألفتَه)<sup>(٢)</sup>.

وفي «الطالب» في «أين الطالب بذحول الأنبياء وأبناء الأنبياء»:

ويأتي (وجدان الشيء وأخذه والطلبه ما كان لك عند آخر من حَقَّ تطلبه به والمطالبة أن تُطالب إنساناً بحق لك عنده ولا تزال تتقاضاه وتُطالبه بذلك)<sup>(٣)</sup>، فالإمام ﷺ بظهوره يثارُ للأنبياء ﷺ وأبناء الأنبياء لما تعرضوا له

من القتل والتعذيب، تأتي مفردة مرة أخرى مكررة في المقطع «أين الطالب بدم المقتول بكربلاء» وهنا (طلب الدم أي طلب الثأر والذي يطلب بدم

الإمام الحسين ﷺ وأهل بيته من أعدائه هو الإمام المهدي ﷺ لأن الإمام هو الوارث الشرعي للإمام الحسين ﷺ ويطلب بدمه بأمر من الله تعالى)<sup>(٤)</sup>

وقد روى العياشي في تفسيره بإسناده عن سلام بن المستنير عن أبي جعفر ﷺ

في قوله: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوَلِيَّهِ سُلْطَاناً فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾ (الإسراء: ٣٣) قال: «هو الحسين بن علي ﷺ قتل مظلوماً

ونحن أولياؤه، والقائم ﷺ منّا إذا قام طلب بثار الحسين ﷺ فيقتل حتى يقال قد أسرف في القتل، قال: المسمى المقتول الحسين ﷺ ووليه القائم ﷺ،

١. شرح دعاء الندبة، الشيخ رحيم الفضلي: ٣٠٤.

٢. لسان العرب (ألف): ١: ١٣٢.

٣. بحار الأنوار: ٥٢: ٨٤، ورواه في الكافي عن كمال الدين، لسان العرب (طلب): ٩: ١٢٩.

٤. شرح دعاء الندبة، رحيم الفضلي: ٣٠٤.



والإسراف في القتل أن يقتل غير قاتله ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾، فإنه لا يذهب من الدنيا حتى ينتصر برجل من آل رسول الله ﷺ يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»<sup>(١)</sup>.

## ٢- أسلوب الاستفهام + اسم المفعول:

يأتي استعمال اسم المفعول بالدرجة الثانية من حيث الكثرة في هذا المقطع من ندبة الإمام ﷺ، وذلك لاشتراك اسم الفاعل واسم المفعول العاملين والمجردين من (ال) على الدلالة على الزمن الحاضر أو المستقبل، ويدلّان على الزمن الماضي إذا كانا مضافين وغير عاملين، وكذلك يدل اسم الفاعل واسم المفعول العاملين والمعرّفين بـ(ال) على الزمن الماضي أو الحاضر أو المستقبل وفقاً للقرائن السياقية، ويدل اسم الفاعل واسم المفعول على التجدد والحدوث وتدّل المشتقات الأخرى على الثبات، وتوجد علاقة وثيقة بين التجدد والثبات والدلالة الزمنية<sup>(٢)</sup>.

فإذا دلّ الاسم المشتق على التجدد فإنه يصلح للدلالة على الزمن الماضي أو الحاضر أو المستقبل، وإذا دلّ الاسم المشتق على الثبات فإنه لا يصلح للدلالة على زمن مخصوص، وإنما يدلّ على مطلق الزمن<sup>(٣)</sup> أي ثبوت الوصف لموصوفه، لذا فصيغة اسم المفعول، تأتي للدلالة على ثبوت الصفة.

## فمن ذلك مفردة «المعد» في المقطع «أين المعد لقطع دابر الظلمة»:

فالإعداد صفة ثابتة للإمام ﷺ بشكل قطعي، وأعدادته إعداداً: أي هيئاته وأحضرت<sup>(٤)</sup>، ومما هو جدير بالملاحظة نجد في بداية فصل ندبة الإمام المهدي ﷺ تبدأ حملة قوية كبيرة عظيمة لوظائف الإمام ﷺ إذا ظهر، فيبدأ بعملية قطع واستئصال

١. تفسير العياشي: ٢: ٢٩٠.

٢. الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ط١، ج٧ / ٢٧٠.

٣. انظر الجرجاني: دلائل الأعجاز: ج١ / ٥٠٥.

٤. مجمع البحرين مادة (عدد): ٣: ٦٩.



ودحر وطمس وتنظيف كامل من برائن الشرك والإلحاد والظلم ومن الفساد المستشري في البر والبحر والجو، فالإمام عليه السلام عند ظهوره ينهي كل مظاهر الفساد وكل مظاهر الظلم، ذلك أن الله تعالى لم يترك العباد دون أن يكون هناك مصلح يُعدُّ إعداداً تاماً لحمل أمانة عجزت عنها السماوات والأرض، لأن يكون خليفته في الأرض، فالإنسان لم يُخلق عبثاً دون أن يكون هناك رسول من الله تعالى يهديه لدينه ويرشده لما فيه خير الدنيا والآخرة، وقد هيأ الله تعالى لنا الإمام المهدي عليه السلام لهذا الأمر وليكون المشروع المهدوي امتداداً للمشروع المحمدي، وهذا هو مشروع السماء مشروع عقائدي لا يقوم به إلا من اصطفاه الله تعالى وأعدّه لهذا الأمر، و(المُعدّ) من أسماء الإمام عليه السلام، «والمعد لقطع دابر الظلمة»، فكل الأنبياء والمرسلين عليهم السلام والمصلحين لم يُتَّح لهم قطع دابر الظلمة، سوى صاحب الزمان عليه السلام فهو الذي سوف يقطع دابرهم عن بكرة أبيهم لذا فهو المُعدّ، فقطع الإمام عليه السلام قطع كلي وليس جزئياً، وقد أعطى الله سبحانه الإمام المهدي عليه السلام ضماناً بالنصر الكلي وليس الجزئي، هو الذي يقطع دابر المتكبرين من جذورهم هو الذي يقطع دابر الظلمة، يزيل الإمام عليه السلام الشرك والظلم ثم يصلح المجتمع.

ويأتي اسم المفعول في مفردة «منتظر»: «الترقب»، وأصل الرقيب من الترقب وهو أي أن الإمام عليه السلام منتظر أمر الله تعالى بالظهور ليقوم العدل في الأرض ويصلح ما قد فسد منها منذ غياب النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام من بعده وما قام به أهل الإجرام من ظلم وفساد في الأرض التي خلقها الله تعالى للعدل والسلام، ويُعد هذا الاسم من أسماء الإمام عليه السلام المشتهرة ومن معانيها أنه ينتظر خروجه المخلصون، وهذا الاسم يستبطن معنى عميقاً هو الغيبة الطويلة، لماذا نتظر؟ الانتظار لمن؟ إنه للإمام الغائب عليه السلام، انتظار انتهاء الغيبة، انتظار الظهور.





وفي كلمة «المرتجى» في المقطع «أين المرتجى لإزالة الجور والعدوان»:

و(الرجاء من الأمل نقيض اليأس ممدودٌ رَجَاهُ يَرْجُوهُ رَجَواً ورجاءٌ ورجاوةٌ ومرتجاةٌ ورجاةٌ)<sup>(١)</sup>، وهنا إشارة إلى الأمن والأمان الذي يحصل بظهور المولى ﷺ، وهنا يحطّ البحث ركابه ليتنفس الصعداء، فأين رجاء الله تعالى الذي ينتظر طلعه المؤمنون بفارغ الصبر؟ وقد بلغ السيل الزبى، واختنقت العبرة في صدور المؤمنين للقياس صاحب العصر ﷺ، وتغيير الحال الذي ألم بكل بقاع الأرض من الظلم والحرمان، فرجاء المؤمن لا ينقطع أبداً، يطمح أن يدرك زمن ظهور الإمام ﷺ ونيل السعادة في الدارين آنذاك وأن يحظى بحياة كريمة كما يريدتها الله تعالى لعباده بعيداً عن الذل والهوان وسلب الحقوق، بل حياة في كنف الله تعالى وإمامه الموعود المرتجى ﷺ لإحداث التغيير الشامل يحفظ الإنسانية من الانحطاط والدونية المقيتة، يحفظ كرامة الإنسان وعقيدته وفطرته السليمة.

ويأتي اسم المفعول في مفردة «المدخر» في المقطع «أين المدخر لتجديد الفرائض والسنن»:

(ذخر: أصل الادخار إذ تخار، يقال ذخرته، وإذخرته إذا أعددته للعقبى)<sup>(٢)</sup> يشير هذا المقطع من الدعاء إلى (أن القائم ﷺ إذا قام بالأمر يطبق الإسلام كما نزل على جده الرسول الأعظم ﷺ مجرداً عن الاجتهادات والتحريفات التي دخلت عليه فيكون تطبيق الإسلام في دولته المباركة جديد على الناس وقد دلت على ذلك نصوص ومن جملتها)<sup>(٣)</sup>.

في الدعاء المروي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام «وجدد به ما حي من دينك وبُدِّل من حكمك حتى تعيد دينك به وعلى يديه جديداً غضاً»<sup>(٤)</sup>.

١. لسان العرب (رجا): ٦: ١١٨.

٢. المفردات: ٢٣٤.

٣. شرح دعاء الندبة: ٢٧٥.

٤. الصحيفة الرضوية الجامعة: ص ٧٤ دعاء ٩٩.



ذلك أن الإمام عليه السلام هو الامتداد الطبيعي لآل البيت عليهم السلام وما جاءوا به من تطبيق أحكام الله تعالى.

ويأتي اسم الفاعل أيضاً في مفردة «المتخير» في المقطع «أين المتخير لإعادة الملة والشريعة»:

(الملة لغة: الشريعة، والجمع مَلَل، وقد تَمَلَّ، وامتل: دخل في الملة) وقد اختاره الله تعالى من شجرة حبيبه محمد صلى الله عليه وآله، من نسل علي وفاطمة عليهما السلام هذا النسب وهذا القرب من آل البيت عليهم السلام كونهم أهلاً لحمل الرسالة الربانية وكذا هو حال ابنهم الإمام المهدي عليه السلام وأهليته لهذا الدور الإلهي جعل الله تعالى يختاره لإعادة جميع ما شرعه الله سبحانه ويبيئه من الطاعات وترك المحرمات. وكذا الحال في لفظة «المؤمل»، تحمل دلالات ذلك البعد الإلهي المرجو، وقد نقل عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «إن الدنيا لا تذهب حتى يبعث الله رجلاً منا أهل البيت يعمل بكتاب الله»<sup>(١)</sup>.

[فالقرآن الكريم والسنة النبوية تمثل القانون الوحيد الذي يحكم الأرض في دولة الإمام المهدي عليه السلام، وفي مفردة «المقتول» يأتي اسم الفاعل المقطع «أين الطالب بدم المقتول بكريلاء» طلب الدم أي طلب الثأر، والذي يطلب بدم الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته من أعدائه هو الإمام عليه السلام لأن الإمام هو الوارث الشرعي للإمام الحسين عليه السلام ويطلب بدمه بأمر الله تعالى].

وفي مفردة «المنصور» تأتي صياغة اسم المفعول في المقطع «أين المنصور على من اهتدى عليه وافترى»:

(اعتدى فلان عن الحق واعتدى فوق الحق كأن معناه جاز عن الحق إلى الظلم وعدى عن الأمر جازه إلى غيره وتركه)<sup>(٢)</sup>، وهذا النص يبيّن بأن النصر

١. الكافي: ٨: ٣٩٦.

٢. لسان العرب مادة (عدا): ١٠: ٦٦.



سيكون للإمام عليه السلام وأتباعه لا محالة، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «إن الملائكة الذين نصرنا محمدًا عليه السلام يوم بدر في الأرض ما صعّدوا بعد ولا يصعدون حتى ينصروا صاحب هذا الأمر وهم خمسة آلاف»<sup>(١)</sup>، إن القدرة الغيبية وهبها الله للأنبياء والأولياء عليهم السلام لينصرهم بإذنه، إن الله عز وجل نصر رسوله عليه السلام بالملائكة والرعب ودخل العنصر الغيبي أو القدرة الغيبية لأن أمره إلهي، لذا فإن الله عز وجل يزود وليه الحجة عليه السلام بما زود الأنبياء عليهم السلام به ويسخر له كل شيء بإذنه، كما سخر عز وجل لنييه سليمان بن داود عليه السلام الرياح وسخر له جوانب كثيرة من الطبيعة مثل العواصف التي تؤثر في الأرض والصواعق، ولقد كان نبي الله سليمان عليه السلام يتمتع بقدرات غيبية متعددة<sup>(٢)</sup>، لم يخلق الله سبحانه خلقه عبثاً لكي يعيث الظالمون في الأرض فساداً حسب أهوائهم الدنيوية وطاعة شياطينهم دون أن ينزل عليهم عقابه وعدله الذي يطردهم به من رحمته ويكون ذلك بوليّه القائم عليه السلام.

وتأتي المفردة الأخيرة الدالة على اسم المفعول كلمة «المضطر» في المقطع «أين المضطر الذي يُجاب إذا دعا»:

ومعنى المضطر هو الإنسان الذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الأيام<sup>(٣)</sup>، فالإمام وسيلتنا إلى الله عز وجل وشفاعته إلى الله سبحانه تقضي الحوائج، أي إن دعوة الإمام عليه السلام لشخص ما، لا ترد عند الله سبحانه إلا بقضائها لأن دعاء الإمام عليه السلام عند الله سبحانه لا يردّ أبداً فكيف إذا توجه الإمام عليه السلام لربه لقضاء حاجة إنسان ما، وهذا يكون لكل سائل وصاحب حاجة أن يتوجه لله عز وجل بصاحب العصر والزمان عليه السلام، يجب أن يكون الإنسان دوماً في حالة اضطرار قريباً من ربه ووصيه، فمما لا شك فيه أن الإنسان المؤمن يطمح لأن يكون من عباد الله الصالحين والمتقين.

١. تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ٣٨٨.

٢. شرح دعاء الندبة: ٣١٨.

٣. مجمع البحرين مادة (ضرر): ٣: ٢٦٥.

## المبحث الثاني: الظواهر الأسلوبية في الدعاء:

### ١- التكرار:

يفصح التكرار عن تركيز دالّ على أهمية المكرّر وفاعليته الإيجابية، وهذا ما نجده حاضراً في دعاء الندبة في «أين» المكانية لتعبّر عن مصيبتنا الكبرى وهي فقدان إمام زماننا ﷺ وعدم ظهوره لنا، وهذه المعاناة، من لها غير مولانا وسيدنا وحامينا صاحب الزمان ﷺ؟ وسيف الله القاطع من أهل الكفر والشقاق، هنا تأتي الأداة (أين) لتكون القطب والركيزة الأساسية المعبرة عن اللوعة والألم لفقد الإمام ﷺ وما يتجرعه المؤمن من غصة وحسرة الصدر لفقد الطلعة الرشيدة والغرة الحميدة الحاملة لراية النبي الأكرم محمد ﷺ، لقد أحدث تكرار الأداة «أين» الأثر الكبير على الجوانب الدلالية للنص عموماً، وحمل شحنات إيقاعية أدت وظيفة جمالية ووسيلة إلى إثراء الموقف وشحذ الشعور إلى حد إظهار الفجيعة والندبة.

أسهمت الأداة (أين) في هذا المقطع في منح اللغة النبرة الصوتية المتميزة، إذ إن النون من الأصوات المجهورة المتوسطة بين الشدّة والرخاوة أيضاً، وعند النطق به (يعتمد طرف اللسان على أصول الأسنان العليا مع اللثة فيقف الهواء أو يجبس وينخفض الحنك اللين فيتمكن الهواء الخارج من الرتتين من المرور عن طريق الأنف وتذبذب الأوتار الصوتية)<sup>(١)</sup>، ويعد النون من أحرف الذلاقة أيضاً ويذهب بعض الدارسين إلى أنها (أصلح الأصوات قاطبة للتعبير عن مشاعر الألم والخشوع)<sup>(٢)</sup>، ويرى أنه (لولاها ما اهتدى الإنسان إلى وتر وناقوس يرن)<sup>(٣)</sup>، فلذلك طبع صوت النون بالنغم الشجي الذي تعشقه الأذن

١. علم الأصوات كمال بشر: ٣٤٨.

٢. خصائص الأصوات العربية ومعانيها: ١٦٠.

٣. خصائص الأصوات العربية ومعانيها: ١٦٩.



وترتاح إليه النفس، لقد شكل صوت النون قيمة إيقاعية قائمة على التناغم والانسجام الصوتي ما جعل الندبة هنا تأتي بأسلوب لافت ومؤثر ومُشعر في الوقت نفسه بأهميّة الحدث الذي تصوّر في الذهن والذي تمكّن في النفس. ومما هو جدير بالذكر أنّ تكرار الأداة (أين) هنا شكّل مناخاً له القدرة على استفزاز الذائقة الجمالية وبهذا الانتظام المطلق، أي عدم وجود فجوة بين المكوّنات الإيقاعية، لذا جاء تكرار (أين) هنا ليوّظ الإحساس في أنفسنا: ألا تبحثون عن إمامكم؟ ألا تبحثون عن ملك الأرض؟ ألا تبحثون عن منقذكم؟ ألا تستشعرون بوجوده؟ ألا تبحثون عنه؟

في كل مقطع تتكرر (أين) ليأتي بعدها دعاء الندبة بأسماء الإمام المهدي عليه السلام، يا من تعشقون الإمام المهدي عليه السلام وتحبون الإمام المهدي عليه السلام دعاء الندبة يعطيكم قائمة من بعض أسماء الإمام عليه السلام، أي يجب أن نحسّ بوجود الإمام عليه السلام، يجب علينا أن ندعوه ونلوذ به، ونقوي ارتباطنا به ونزور عنه بالنيابة، فذكرنا لإمامنا عليه السلام هو ذكر الله ولدين الله عليه السلام.

أي إن هناك انتظاماً مطلقاً بين مقاطع الدعاء وبين كلماته، وهذه ظاهرة أسلوبية في هذا المقطع، ولعل عدم خلخلة النظام داخل هذه المنظومة وفي شبكة العلاقات التركيبية والصوتية وتوزيع التكرار في ثنايا هذا المقطع أو وجد عنصراً فعّالاً في أسلوبية النص العام للجمل، فجعل من التكرار ملمحاً واضحاً لا غموض فيه، ففيه انزياح عن المألوف والتكرار النمطي.

افتتح التكرار في بدء هذه الندبة بـ«أين بقية الله» فكانت فيها نسبة الإمام عليه السلام في كلمة البقية وهو السبب لندبته ليأتي بعدها التكرار منسوب لصفات هذه البقية الباقية وهو الإمام عليه السلام، فكان المفتوح يشمل لكل الصفات التي جاءت بعده، فكان الوقوف عند مفردة الـ(بقية) تندرج تحتها صفات متعددة، ذلك أن المعنى المكرّر هو استمرار في المشاعر والأحاسيس التي أثارها الموقف الأول

أو هو تعبير عن مشاعر أعمق لم يستطع الموقف الأول أن يحتويها أو يصل إليها، ومن هنا يأتي الموقف الجديد والمعنى المكرر مشعباً بالإثارة والانفعال فيتسع ليشمل دائرة النفس كلها ويتغلغل إلى أعماقها فيستقر بها أو يتلوّن بأحاسيسها فتصبح جزءاً في تشكيل نسيجها، فترسم للقارئ منهاجاً، لمن يريد السير في طريق الهداية والصلاح، وهنا نجد دور التكرار في تماسك النص (يطلق البعض على هذه الوسيلة: الإحالة التكرارية، وتتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد، وهذا التكرار في ظاهر النص يصنع ترابطاً بين أجزاء النص بشكل واضح)<sup>(١)</sup>.

يشكل التكرار عنصراً بنائياً أساساً في الدعاء؛ لأن تكرار الداعي صيغة الاستفهام ذات الوضوح السمعي يمثل منهجاً لمشاعره هو بذاته حال دخوله بوعي الدعاء محضر الحق ﷻ، لذلك يتناسب مغزى التكرار مع نوع الدعاء من تضرع أو ثناء أو مناجاة أو قنوت أو غيرها، وكذلك مع طول الدعاء الشكلي أسلوبياً، نحن نبحت عن إمام زماننا ﷺ المغيب ونشكوله حالنا وما جرى بشريعتنا وديننا، وما قام به الظالمون من الأذى، لذا كان التكرار دالاً على المناسبة فدلالة التكرار على المناسبة في النص الدعائي يمثل قيمة التكرار في تحقيق الإنجاز وأثر الأداء في قوة فعل الكلام وهو أمر يتعلق بطاقة الدعاء الروحية في اتصاله بعالم الغيب، لبلوغ مراتب اليقين في وعي الداعي، إذ يمثل التكرار معطى أساسياً وليس شكلياً لتحقيق إجابة الدعاء وإنجاز الهدف المرجو منه وبغير ذلك لا يصل الداعي إلى مبتغاه.

## ٢ - الحذف:

هو من الأساليب البلاغية التي تهدف إلى (التخفيف من ثقل الكلام وعبء الحديث، ففي الخفة تلك تكمن البلاغة ويسمو الكلام، حتى يصل

١. نحو النص، د: أحمد عفيفي: ١٠٦.



إلى قوة السحر في التأثير)، وقد (تنبه القدماء وعلماء النص المحدثون إلى دور الحذف حيث جعلوه وسيلة من وسائل التماسك النصي، بل تنبه إليه القدماء أيضاً وأفاضوا في الحديث عن قيمته البلاغية والدلالية).

وشرط الحذف أن يكون في الكلام قرينة تدل على المحذوف احترازاً من العبث، يقول عبد القاهر الجرجاني: (هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدر أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين) وهذا ما يضيف أسلوبية جمالية تجعل القارئ يمعن النظر في النص لتقبل المعاني المطروقة في هذا الحذف، وتشد من انتباهه (فالمعنى إذن هو الملجأ الذي يلجئون إليه في تقدير المحذوف، وهو الحكم في إمكان الحذف أو عدمه، ويظهر ارتباط التقدير بالمعنى في اشتراطهم الدليل على المحذوف، كما يظهر ذلك في تقديرهم للمحذوف).

وهنا في بحثنا نجد أن الفاعل محذوف وهو الإمام ﷺ لينوب عنه اسم الفاعل أو اسم المفعول، وهذا لما يوفره أسلوب الحذف من أهمية لحاجات فنية تكمن في تحقيق الدلالة في النص وما يصنعه من توافق واستجابة بين المؤلف ومتلقيه عن طريق إثارة انتباه القارئ وتنشيط خياله، ذلك لأن المتلقي يجد متعة في تحريك حسه ليكشف ما هو غير مكشوف بوضوح لأي قارئ؛ لذلك فإن الحذف وسيلة من وسائل الشد بين القارئ والنص بإشراك القارئ في بلوغ ما يراد إبلاغه إليه، فيلقى إليه بعض الكلام، ويترك له الخوض والبحث عن الباقي، وقد اشتمل بحثنا على حذف الفاعل بدءاً من مطلعته حتى خاتمته.

كما إن اكتمال عناصر الصياغة يدخلها منطقة الشفافية التي يستطيع المتلقي اختراقها سريعاً إلى الناتج الدلالي، فلا تحصل للنفس لذة ولا ذوق بإدراك المعنى، أمّا الحذف فإنه يدخل البنية دائرة الكثافة، بحيث لا يخرقها المتلقي

إلا بعد معاناة، فيكون اكتساب المعنى شبيهاً باكتساب التصور فيزداد الكلام حسناً وتزداد النفس لذة.

كما إن المحذوف إذا بلغ نهاية أوصافه، لم تعد هناك حاجة إلى ذكره للاكتفاء بالصفات الدالة عليه، كنوع من الإيحاء إلى تفرد به، فإن اجتمعت هذه اللواحق الدلالية والنفسية، كان الكلام في قمة بلاغته، بحيث يصير للنفس لذة به<sup>(١)</sup>، إن المتأمل في مجموع البنى الحذفية يؤدي إلى طرح قضية الصياغة وتعبيرها عن الفكر بواسطة اللغة، حيث ينجز الفكر نفسه بالدخول في أشكال تعبيرية ركيزتها الحذف.

### الخاتمة ونتائج البحث:

١- الدعاء عبادة يتعبد بها الناس، ويتخلق بها المؤمنون بالله ﷻ، أول الكلام، ويعتبر دعاء الندبة من الأدعية المعروفة التي لها وقع في القلوب، وفيه ندبة لأهل البيت ﷺ ثم لصاحب الزمان ﷺ.

٢- إن الجانب التاريخي الذي سرده لنا هذا الدعاء ليس له نظير بعد القرآن الكريم، منذ بدء الخليقة إلى خاتم الأوصياء المهدي ﷺ باعتباره المخلص الوحيد الذي بقي رغم أنه مُغَيَّب، وهو ذروة الرسالات ومعيد الشريعة والصراف القويم.

٣- ندبة الإمام ﷺ في المقطع الذي تكرر فيه أسلوب الاستفهام بشكل ملحوظ باسم الاستفهام؛ ليعبر عن اللوعة لفقد الإمام ﷺ وما يلاقي المؤمنون من الظلم والويلات بسبب فقده، فلا يوجد غيره من يعيد الحق وينتقم من الظالمين ويقطعهم من دابهم دون أن تكون هناك أي بقية لهم، لأن ثورته شاملة كاملة وليست جزئية لذلك فهو الأمل الوحيد المتبقي للنجاة.

١. الإشارات والتشبيهات في علم البلاغة، تحقيق عبد القادر حسن: ٣٣.





- ٤- اتكأ الدعاء على اسم الفاعل واسم المفعول إلا أن اسم الفاعل كان له النصيب الأوفر، ذلك أن من مميزاته دلالاته على الثبوت أي ثبوت الصفة في ذات الموصوف.
- ٥- ويوصف أسلوب الدعاء حمل تعبيراً ذاتياً صادقاً؛ فإن طاقته التعبيرية تتناسب مع عمق الانفعال ودلالته؛ فيكون الأثر الانطباعي هو المعادل الموضوعي للذات.
- ٦- وقد أدى التكرار لأسلوب الاستفهام دوراً بارزاً في تدعيم التماسك النصي، وتدعيم البناء الشكلي، لذا شكّل التكرار عنصراً بنائياً في الدعاء جسّد الحالة النفسية والغربة التي يعيشها المؤمنون لفقد إمامهم ﷺ.



**ALMAUOOD**

[www.m-mahdi.com/almauood](http://www.m-mahdi.com/almauood)

[almauood@m-mahdi.com](mailto:almauood@m-mahdi.com)

# قراءة في كتاب الغيبة للنعماني

محمد عبد المهدي سلمان الحلو

## المقدمة:

عقيدة المهدي المنتظر، من الأسس الدينية - التي تعتبر امتداداً واضحاً وبما لا يقبل الشك لعقيدة الإمامة، على مختلف الصعد - الإسلامية، وفي الفكر الشيعي بصورته الخاصة، على أن ذلك لا يعد تجاهلاً لهذه الفكرة عالمياً، فلا بد من وجود مصلح يأخذ بأيدي الناس والأمم إلى ما فيه الخير والصلاح، منقذاً للبشرية من حالة الفوضى والفساد إلى حالة الرشاد والصلاح، وتبعاً لهذه الأهمية ودورها في الفكر الإسلامي، نظراً المختصون من العلماء والخبراء قديمهم وحديثهم في الفرق والمذاهب لهذا الموضوع بما يسد عين الشمس، وكان نصيبنا من البحث، دراسة لأهم الكتب في الفكر الإسلامي الشيعي الإمامي، ولأقدم المصنّفات لعالم من علماء القرن الرابع الهجري، وهو كتاب الغيبة للشيخ أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني الكاتب، المعروف بـ(ابن أبي زينب النعماني)، المتوفي سنة (٣٦٠هـ)<sup>(١)</sup>.

١. أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني الكاتب، المعروف بـ(ابن أبي زينب النعماني)، المتوفي سنة (٣٦٠هـ)، ذكره آغا بزرك الطهراني في أكثر من موضع في موسوعته، وبما أن البحث عن كتاب الغيبة، فقد أورده في الجزء السادس عشر، تحت التسلسل (٣٩٨)، وإنه تلميذ ثقة الإسلام الكليني، توفي بدمشق، وفرغ من كتابه هذا سنة (٣٤٢هـ)، كان اسم الكتاب ملاء العيبة في طول الغيبة وأورده <



وشملت الدراسة، محاولة الإحاطة بالجوانب المعرفية والعلمية في هذا الكتاب، وجاءت على مقدمة وفصلين، تضمن الأول منها قراءة تعريفية بالكتاب والمؤلف، حمل عنوان هوية الكتاب، وتوزعت على مبحثين: الأول، منها شمل غاية الكتاب، والثاني منهجية البحث، في حين تضمن الفصل الثاني، بمباحثه الخمسة، والذي اكتسب عنواناً بـ(مضمون الكتاب)، دارت بين مبحث أول بعنوان: في مقدمة النص، والثاني نظرية الإمامة، والثالث نظرية الغيبة، واختص الرابع منها بنظرية الانتظار، والخامس بزمانية الظهور المقدس، وأهميته.

الفصل الأول: هوية الكتاب:

المبحث الأول: غاية الكتاب:

تعود أهمية كتاب الغيبة إلى مجموعة من الأسباب الخاصة والعامة التي تشرى البحث عن طريق الإشارة إليها:

أ - فهي تهتم بموضوع عام - على الصعيد الإنساني - متعلق بموضوع المخلص الذي تعتقده العديد من الأمم والشعوب، فكرة السيادة للعدالة، وانحسار الظلم، الذي خيم قروناً طويلة، وأحقاباً ممتدة على البشرية، مثلتها

⇒ في الرقم (٦٥٩٦): الطهراني، آغا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ، ج ١٦، ص ٧٩. وقريب منه ما ذكره السيد الخوئي رحمته الله في رجاله في أنه تلميذ ثقة الإسلام الكليني، وقرأ كتابه الغيبة على محمد بن علي الشجاعي: الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث وطبقات الرواة، مؤسسة الإمام الخوئي، النجف الأشرف - العراق، بدون طبعة ولا تاريخ، الكتاب السادس عشر، ص ٢٣١-٣٢٣. تحت التسلسل (٩٩٦٣). ومن الجدير ذكره أن المحقق (فارس حسون كريم) ذكر النعماني تحت التسلسل (٩٩٣٨) في الجزء [الكتاب] الرابع عشر، ص ٢٢١، ولا أدري لعل المحقق اعتمد نسخة أخرى غير التي اعتمدنا عليها، فهو لم يشير إلى طبعة تذكر، لكنها وجدناه بما تقدم، وللتأكيد، ينظر: النعماني، الغيبة، تحقيق: فارس حسون كريم، دار الجوادين، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨، ص ١٨.

فكرة (المخلص) أو (المهدي الموعود)، وكانت أملاً عند الأمة الإنسانية جمعاء.  
 ب - أهمية هذا الموضوع من الزاوية الإسلامية، وبشكل خاص في الفكر الشيعي الإمامي، بحيث اعتبره أغلب الباحثين المختصين ومنهم (النعماني) بأنه من الفروع أو المحتويات المكملة لنظرية الإمامة في الفكر الشيعي الإمامي.  
 ج - أهمية هذا الكتاب، باعتباره من أقدم الكتب في موضوع الغيبة، وفضلاً عن قدمه، فهو يعد الأقرب إلى عصر الغيبة الصغرى للإمام الثاني عشر عليه السلام، والفارق بين مدة تأليف الكتاب سنة (٣٤٢هـ)، وبداية الغيبة الكبرى للإمام عليه السلام سنة (٣٢٩هـ) توضح ذلك.

د - للكتاب تحقيقان، الأول تحقيق علي أكبر غفاري، مكتبة الصدوق، طهران - إيران، لم تشر إلى سنة الطبع أو رقم الطبعة، اعتمدنا فيه على ما نشره موقع (كتاب خانة مدرسه فقاها)، والآخر تحقيق: فارس حسون كريم، طبع دار الجوادين، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩<sup>(١)</sup>.

١. يمكن الإشارة إلى أن مهمة التحقيق، تفترض وجود نسخ خطية قديمة متعددة للكتاب الواحد، وأن هذه النسخ موجودة ومتفرقة في مختلف المكتبات العالمية، يقوم المنهج التحقيقي بجمع هذه النسخ، ومحاولة المقارنة بينها، وإبراز النسخة الأم المعتمدة في التحقيق، بما يزيل الشك والتناقض والغموض الذي يحصل نتيجة الاختلاف في محتواها، بما يغير المعنى أو يجعله غامضاً، لكن ما عرضه (فارس حسون كريم) مع خالص الوفاء والتقدير له للجهد المبذول في الرجوع إلى الآيات المباركة أو إخراج الأحاديث الشريفة وتصحيحها، لكن ما عرضه هنا وفي مقدمته للكتاب هو ليس تحقيقاً بالمعنى المتعارف عند أصحاب التحقيق، بل هو أقرب إلى التوليف، فبينما كان التحقيق هو الاعتماد على نسخ أقلها ثلاثة، وأن التحقيق لا يكون لنسخة محققة إلا إذا اكتشف فيها نقصاً أو خطأ ما، أو نشرت بدون تحقيق، فما عرض في مقدمته هو اعتماده على (طبعة) وليس (نسخة) طبعت مؤخراً في سنة (١٤٠٣هـ)، وقابلها بطبعة (غفاري) (١٣٩٧هـ)، على أنه أشار كما أشار غفاري إلى مجموعة من النسخ الخطية التي اعتمدها غفاري، ذكرها (كريم) في كتابه. للمزيد: المنجد، صلاح الدين، قواعد تحقيق المخطوطات، دار الكتاب الجديد، بيروت - لبنان، الطبعة السابعة، ١٩٨٧، ص ١٢-١٤، فضل الله، مهدي، أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، دار الطليعة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٨، ص ١٤٠-١٤٦. النعماني، كتاب الغيبة، تحقيق علي أكبر غفاري، ص ٦.

## المبحث الثاني: منهجية البحث:

بالرغم من الدوافع المهمة للتأليف، قسّم (النعماني) الكتاب على مقدمة وستة وعشرين فصلاً أو باباً:

أ - المقدمة: تضمنت المقدمة مجموعة من الدوافع المهمة كمسوغ لتأليف الكتاب، وكان منها (تفرق الكلمة) و(تشعب المذاهب) التي جاءت سبباً طبيعياً لطول فترة غيبته عليه السلام، وهي حالة حدثت نتيجة التزعزع المعنوي جراء التقصير في فهم (التكليف) للسنن الإلهية وفلسفة الغيبة، مع أن مثل هذه الأمور - طول فترة الغيبة، والابتعاد عن منهج الحق - تم توضيحها وتبينها في أحاديث أهل البيت عليهم السلام، حتى بلغت حد التواتر، وكان (للنعماني) الشفاء في خطبة الإمام علي عليه السلام في حديثه مع (كميل بن زياد)، بأن طالبي العلم وحملته هم:

١ - من ينقاد لأهل الحق، ولكن مع بزوغ الشك، وعرض الشبهة، ينتقل إلى التيه والحيرة والعمى والضلالة.

٢ - من ثبت على دينه، وتمسك بحبله تعالى، وهؤلاء لشدة عقيدتهم فهم ثابتون على الحق بما لا يززع هذه العقيدة إيماناً وثباتاً حتى من قبل الرياح فكيف بالفتن، وكانوا بذلك مصداقاً لمضمون قوله عليه السلام: «اعرف الحق تعرف أهله»، لا تعرفوا الحق بالرجال، واعرفوا الرجال بالحق، لأن دخول الدين بالرجال يعني الخروج من الدين بنفس الرجال.

ب - المنهج المتبع في طول الكتاب، كان منهجاً روائياً؛ لأن (النعماني) كان من رجال الحديث، وتلمذ على يد (الكليني)، وإن العلم بالرواية والدراية من المناهج الكفيلة عنده للوصول إلى الحقيقة واليقين، فرواية من دون دراية، تبعد



عن الفهم، ثم أن (الرواية تحتاج إلى دراية، وخبر تدريه خير من ألف خبر ترويه)<sup>(١)</sup>.

ومع اهتمام (النعماني) بالمنهج الروائي في الوصول إلى اليقين، والابتعاد عن الشك، إلا أننا نجد لديه (منهجاً عقلياً) تضمنه التوزيع المتوافق لأبواب الكتاب وفصوله، وهو ما نعرض له في حينه، ومنهجاً (تأملياً) يعتمد (الفترة والبرهان) ومخاطبة الوجدان؛ لأجل اقتناء الحقيقة والتمسك بها، وهذا يظهر في أكثر من موضع من مواضع الكتاب، فمثلاً يذكر: (... أليس هذا الخطاب كله والذم كله بأسره للقوم الذين نزل القرآن على لسان الرسول إليهم، وإلى الخلق مما سواهم)<sup>(٢)</sup>، و(فلو لم يكن في الإسلام مصيبة، ولا على أهله عار ولا شنار...)<sup>(٣)</sup>، و(وهذه - رحمكم الله - حال كل من عدل عن واحد من الأئمة الذين اختارهم الله ﷺ)<sup>(٤)</sup>، و(فتأملوا يا معشر الشيعة، - رحمكم الله - ما نطق به كتاب الله ﷻ، وما جاء عن رسول الله، وعن أمير المؤمنين والأئمة واحداً بعد واحد في ذكر الأئمة الاثني عشر وفضلهم وعدتهم من طرق الشيعة الموثقين عند الأئمة، فانظروا إلى اتصال ذلك ووروده متواتراً، فإن تأمل ذلك يجلو القلوب من العمى، وينفي الشك، ويزيل الارتباب عمَّن أراد الله به الخير، ووقفه لسلك طريق الحق، ولم يجعل لإبليس على نفسه سبيلاً بالإصغاء إلى زخارف المموهين وفتنة المفتونين)<sup>(٥)</sup>.

١. النعماني، أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب، الغيبة، تحقيق: فارس حسون كريم، دار الجوادين، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩، ص ٢٩.

٢. الغيبة للنعماني: ص ٥٤.

٣. الغيبة للنعماني: ص ٥٥.

٤. الغيبة للنعماني: ص ٦٤.

٥. الغيبة للنعماني: ص ١٠٣.



أمّا بالنسبة إلى المنهج العقلي، وهو منهج ينطلق به الكاتب من العام إلى الخاص، من التركيب إلى التحليل، ومن التحليل إلى التركيب، ويظهر ذلك وبوضوح عند استعراض عنوانات موضوعات الكتاب، فهو ينتقل من نظرية عامة، وهي نظرية الإمامة وأهميتها، باعتبارها حلقة الوصل بين النبوة والظهور، وكأن غاية النبوة هو الوصول إلى ما يتم به أمرها، ويستحكم بها غايتها، وهو الوعد الإلهي بإتمام النور<sup>(١)</sup>، ومن ثم هو ينتقل من التركيب (نظرية الإمامة) إلى التحليل، غاية البحث، وهو إثبات منهج الغيبة ثم الظهور المهدوي، أمّا ما قصده البحث بالانتقال من منهج التحليل بمرة أخرى إلى التركيب فهو الانتقال من فكرة المهدوية إلى ما يخص هذه الفكرة من حيث ولادته ﷺ أو صفاته أو سيرته، أو حكمه، ثم تلاوة مجموعة من الأحداث القريبة والمعاصرة أو السابقة لفترة ظهوره المقدس.

وبعبارة أخرى، من عنوانات الكتاب، نستطيع القول، إن الكتاب بأبوابه الستة والعشرين، ينتقل من طبيعة تركيبية إلى طبيعة تحليلية، فهو ينتقل من الإمامة إلى فكرة المهدوية، وهذا ما نجده واضحاً في الأبواب من الأول إلى الباب الثاني عشر<sup>(٢)</sup>:

الباب الأول: في أهمية كتمان النظرية المهدوية (صون السر) عمن ليس من أهله، وهذا ما كان بمثابة المقدمة أو التمهيد للبحث.

الباب الثاني: في ذكر نظرية الإمامة - الحبل المرتبط والمتصل بين السماء والأرض.

١. ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣٣).

٢. لم يكن العنوان هنا مطابقاً لما موجود في كتاب الغيبة من حيث النص، وإنما كان مطابقاً من حيث المعنى لما تقتضيه ضرورة البحث، لذا اقتضى التنويه.





الباب الثالث: في أن الإمامة والوصية إنما هي من قبل الله تعالى واختياره، وإنها أمانة يؤذيها إمام سابق إلى إمام لاحق.

الباب الرابع: في عدد الأئمة عليهم السلام.

الباب الخامس: ادعاء الإمامة فيمن لم تكن الإمامة فيه من الأصل.

الباب السادس: مرويات الإمامة عند أهل العامة.

الباب السابع: الشك في نظرية الإمامة.

الباب الثامن: في إنه تعالى لا يخلي الأرض من حجة.

الباب التاسع: التأكيد على نظرية الغائب، والإمام المهدي عليه السلام حتى لو لم

يبق في الدنيا إلا يوم واحد.

الباب العاشر: غيبة الإمام عليه السلام في مرويات الأئمة.

الباب الحادي عشر: دور الشيعي في عصر الغيبة.

الباب الثاني عشر: ما يتعرض له الشيعة من التمحيص والتفرق والتشتت

نتيجة لطول غيبة الإمام عليه السلام.

ج - يظهر مما سبق أن (النعماني) انتقل من فكرة عامة تركيبية، إلى فكرة

ناجمة عنها، وهي فكرة تحليلية، عقيدة الغيبة للإمام المعصوم، من هنا يتضح

الانتقال الثاني بمنهج عقلي من عقيدة الإمام المهدي الموعود عليه السلام، كفكرة

تركيبية، إلى إثبات أفكار مفصلية جزئية تتحدث عن هذه الفكرة بالتحليل،

وهي تتوزع على أبواب تناولت ذات الفكرة، وأبواب تناولت ما حول الفكرة،

والأولى كانت في الباب الثالث عشر، في حين كان ما حوله عليه السلام ممتداً من الباب

الرابع عشر إلى الباب السادس والعشرين، وإليك التفصيل:

الباب الثالث عشر: في صفته وسيرته وفعله وما نزل عليه عليه السلام من القرآن

الكريم.



الباب الرابع عشر: العلامات الدالة على عصر الظهور والقريبة منه.  
الباب الخامس عشر: الأحداث المتعسرة (الشدة) التي تكون قبل أوان  
الظهور المقدس.

الباب السادس عشر: الأحاديث الشريفة المانعة من التوقيت.

الباب السابع عشر: معارضة الناس له ﷺ أبان الظهور المقدس.

الباب الثامن عشر: السفياني شخصيته وصفاته ودوره.

الباب التاسع عشر: الراية التي يحملها ﷺ، وهي راية رسول الله ﷺ.

الباب العشرون: جيشه (جيش الغضب).

الباب الحادي والعشرون: أحوال الشيعة قبل الظهور.

الباب الثاني والعشرون: معنى مضمون الحديث الشريف عودة الإسلام  
جديداً بعد كونه غريباً.

الباب الثالث والعشرون: عمره ﷺ.

الباب الرابع والعشرون: في ذكر إسماعيل ابن الإمام الصادق عليه السلام.

الباب الخامس والعشرون: معنى مضمون الحديث: من لم يعرف إمام زمانه  
مات ميتة جاهلية.

الباب السادس والعشرون: مدة الحكم له عليه السلام.

ومن هنا يتضح منهج النعماني في كتابه وغايته من التأليف وما يصبو إليه.

### الفصل الثاني:

١ - ما يورده النعماني كمقدمة لبحثه المتقدم، هو بيان أسباب تأليف  
الكتاب، إذ يشير إلى أن أسباب تأليف الكتاب توزعت بين: تفرق أهل  
المذهب نتيجة لطول مدة الغيبة، على ما هم عليه من أداء الحقوق والواجبات  
الشرعية المناطة بهم والمحافظين عليها، فالناس على أقسام وأصناف: من كان  
إيمانه ضعيفاً، ويميل بسببه مع كل شبهة، ويبقى في حيرة وتيه وعمى وضلالة،



أو من كان ذا إيمان، لكنه يميل مع أهل الدنيا، لاتباع الشهوات، أو من كان ذا إيمان لكنه يتخذة للرياء والتحسّن به بين الناس، ولا يبقى إلا الصنف الرابع، وهم كالتحل في الطير - كما في مضمون الحديث - أو كرزمة الأندر، الذي لا يضره السوس شيئاً، فإن هذه: (العصابة التي تبقى على هذا الأمر وتثبت وتقيم على الحق، هي التي أمرت بالصبر في حالة الغيبة)<sup>(١)</sup>.

٢ - وإن طريق التصبّر والانتظار هو طريق أئمة الهدى عليهم السلام، الذي يجنب الناس الوقوع في الفتنة والتهيه والحيرة والعمى، ثم يُبين النعماني أن المنهج في هذا الكتاب هو المنهج الروائي القائم على جمع الأحاديث الشريفة المروية عن أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام، وبعد بيانه للمنهج، يوضح أن من أسباب التأليف ليس فقط ما سبق بل هو الدعوة إلى التصبّر باتباع دينه تعالى عن طريق الكتاب والسنة، وليس عن طريق معرفة الرجال، وأيضاً لغرض مدافعة أعداء الدين والناصبين والمخالفين وسائر الفرق من المبتدعين والشكاك<sup>(٢)</sup>، وكان من ضمنهم نقد فرقة المعتزلة الواقعة في الضلالة على حد قوله؛ لأنهم دفعوا فضل أمير المؤمنين عليه السلام بتقديم المفضول على الفاضل، والناقص على التام، خلافاً لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (يونس: ٣٥)، ولجودهم حق أئمة الهدى عليهم السلام، وهم أحد الثقلين، وأئمة الهدى وسفينة النجاة، بل هم: (المعاندون لشريعة الحق ومحبي أهل الصدق)<sup>(٣)</sup>.

ومن هنا جاءت دعوى النعماني بضرورة التمسك بما أكّده الأئمة عليهم السلام من أهمية الالتزام بكتم السر، وعدم الكشف عن هذه الأسرار مقابل أعدائهم:

١. الغيبة للنعماني: ص ٣٤.

٢. الغيبة للنعماني: ص ٣٦.

٣. الغيبة للنعماني: ص ٣٧.



(فإن صون دين الله وطبي علم خيرة الله سبحانه عن أعدائهم المستهزئين به أولى ما قدم، وأمرهم بذلك أحق ما امثل)<sup>(١)</sup>.

٣ - ويظهر من الأحاديث الواردة بطرقه عليه السلام عن الأئمة عليهم السلام من أسباب كتم الحديث عدم إدراكه لمن لا يتحملة، وسبب ذلك هو عدم تكذيبهم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فليس كل حديث يمكن أن يؤخذ منهم عليهم السلام، يمكن أن يتحدث به، وهذا ما يجد النعماني له تعليلاً: (يريد عليه السلام بذلك أن يحدث به من لا يحتمله ولا يصلح أن يسمعه، ويدل قوله على أنه عليه السلام يريد أن يطوي من الحديث ما شأنه أن يطوى ولا يظهر)<sup>(٢)</sup>.

وأجد أن من أسباب الكتم والدعوة له؛ هو الأخذ لكلامهم بما يغير معناه، وهذا ما يدل عليه الحديث الوارد في الكتاب للإمام عليه السلام: «أقول كذا وكذا، فيقولون: إنما يعني كذا وكذا، إنما أنا إمام من أطاعني»<sup>(٣)</sup>، ويظهر من خلاصة مقدمة البحث ضرورة المحافظة على اليقين، وعدم الوقوع في التشكيك في قضية الإمام الغائب عليه السلام وذلك بما دلت عليه السنن الإلهية الواضحة من آياته ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد: ١٦)، وإن هذا الأمر - الغيبة - يحتاج إلى الكتمان وخاصة ممن لا يستطيع له فهماً واستيعاباً.

### المبحث الأول: نظرية الإمامة:

١ - تعتبر نظرية الإمامة من النظريات والقوائم الأساسية، بل هي ركيزة أساسية في الفكر الإمامي، استدلل عليها النعماني بطرق مختلفة، توزعت بين الآيات القرآنية المباركة والحديث الشريف، واستند في تأويل الآيات على

١. الغيبة للنعماني: ص ٣٨.

٢. الغيبة للنعماني: ص ٤٤.

٣. الغيبة للنعماني: ص ٤٤.



الأحاديث المباركة الواردة بطرق روائية معتبرة تزيل الشك والغموض والارتياب وتدعو إلى الإيمان والاعتقاد، وخاصة ما ورد منها عن كتاب (سليم بن قيس الهلالي)، فقد وصف (النعمانى) الكتاب المتقدم بأنه من أقدم الكتب الأصولية، وأهمها، ويرجع سبب الأهمية؛ إلى الروايات الواردة فيه إنما جاءت بطرقها عن رسول الله ﷺ وعن الإمام علي عليه السلام برواية الصحابة الأجلاء كـ(المقداد بن الأسود، وسلمان الفارسي، وأبي ذر)، وأن الاعتماد عليه هو لقطع العذر أمام المتشكك والمبتدع والضال: و(إن الأئمة من ولد الحسين عليه السلام تسعة، تاسعهم قائمهم، ظاهرهم باطنهم، وفي ذلك قطع لكل عذر، وزوال كل شبهة، ورفع لدعوى كل مبطل، وزخرف كل مبتدع، وضلالة كل مموه)<sup>(١)</sup>.

ثم يؤكد (النعمانى) مادحاً الكتاب: (ودليل واضح على صحة أمر هذه العدة من الأئمة، لا يتهياً لأحد من أهل الدعاوى الباطلة المتمين إلى الشيعة، وهم منهم براء أن يأتوا على صحة دعاويهم وآرائهم بمثل [بمثل كتاب سليم] ولا يجدونه في شيء من كتب الأصول التي ترجع إليها الشيعة ولا في الروايات الصحيحة، والحمد لله رب العالمين)<sup>(٢)</sup>.

وبالإضافة إلى ما رواه عن طريق الشيعة تفسيراً للآيات البينة أو رواياتهم عن عددهم عليه السلام، فد (النعمانى) يشير إلى روايات أهل العامة في هذا الباب دعماً للحقيقة وإكمالاً لها.

٢ - لقد ذكر (النعمانى) مجموعة من الآيات القرآنية الدالة على الإمامة:

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٣).

١. الغيبة للنعمانى: ص ١٠٤.

٢. الغيبة للنعمانى: ص ١٠٤.



﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾  
(الفرقان: ٢٧).

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء: ٥٨).  
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء: ٥٩).

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: ٨٣).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٣).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأنبياء: ٧).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩).  
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة: ٥٥).

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾  
(الأحزاب: ٣٣).

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ



شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ  
وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ (الحج: ٧٨).

يشير (النعماني) إلى أهمية نظرية الإمامة، وكونها نظرية إلهية، جاء بها القرآن الكريم، وإن الآيات الواردة، إنما جاءت مشفوعة بما ورد بالأحاديث الشريفة الشارحة والمؤولة لها، فهي تؤكد ضرورة الاعتصام بالحبل الذي عنته الآية الكريمة، وهذا الحبل على نوعين: حبل من الله ﷻ، وهو القرآن الكريم، وحبل من الناس، الذين هم أهل بيته ﷺ، وإن التخلف عن هذين الحبلين يؤدي بالإنسان إلى الندم؛ لعدم أتباعه الرسول ﷺ كما عبّرت آية ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾ (الفرقان: ٢٧)، ورواية أخرى تشير إلى أن الحبل هو الإمام (علي بن أبي طالب ﷺ)<sup>(١)</sup>، ولقد علّق (النعماني): (ولو لم يدلنا رسول الله ﷺ على حبل الله الذي أمرنا الله ﷻ في كتابه، بالاعتصام به، وألا نتفرّق عنه، لانتسح للأعداء المعاندين التأول فيه، والعدول بتأويله، وصرفه إلى غير من عنى الله به ودلّ عليه رسوله ﷺ عناداً وحسداً، لكنه قال ﷺ في خطبته المشهورة، التي خطبها في مسجد الخيف، في حجة الوداع: «إني فرطكم، إنكم واردون علي الحوض... ألا وإني مخلّف فيكم الثقلين، الثقل الأكبر القرآن، والثقل الأصغر عترتي أهل بيتي، هما حبل الله ممدود بينكم وبين الله ﷻ، ما إن تمسكتم به لم تضلوا، سبب منه بيد الله وسبب بأيديكم»<sup>(٢)</sup>).

ويؤكد أيضاً أن ما ورد في كتاب الله العزيز من آية مباركة ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ٥٨)، فإن منزلتهم ﷺ بمنزلة

١. الغيبة للنعماني: ص ٤٩.

٢. الغيبة للنعماني: ص ٤٩-٥٠.

باب حطّة في الدين الإسلامي الذي بمجرد دخوله يكون مغفرة للذنوب: (والعترّة عليّهم السلام)، هم الذين ضرب بهم رسول الله ﷺ مثلاً لأُمَّته، فقال ﷺ: «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق»، وقال ﷺ: «مثل أهل بيتي فيكم كمثل باب حطّة في بني إسرائيل الذي من دخله غفرت ذنوبه واستحق الرحمة والزيادة من خالقه»<sup>(١)</sup>.

وفي موضع آخر يجمع (النعماني) عن فهم القرآن بالقرآن، أن المقصود بأهل الذكر هم أهل البيت عليّهم السلام، باعتبار أن (الذكر) إنّما هو الرسول الأكرم ﷺ. ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١١﴾ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ (الطلاق: ١٠-١١)، تأويلها أن أهل الذكر إنّما هم أهل البيت عليّهم السلام، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٣)، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأنبياء: ٧)، وتؤكد آية رد الأمر إلى الرسول وأهل بيته هو ما يتغيه القرآن ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: ٨٣)، وإن هذه الآيات البيّنات غايتها هو رد الأمانة إلى أهلها، وخاصة في مسألة الحكم، بما ورد في القرآن الكريم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء: ٥٨) المفسرة بالحديث الشريف، بأن الحكم إنّما هم أئمة أهل البيت عليّهم السلام<sup>(٢)</sup>.

١. الغيبة للنعماني: ص ٥١.

٢. الغيبة للنعماني: ص ٦١.





وطريق آخر هو الاعتماد على ما ورد من الأحاديث المباركة المروية عن الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام. ركزت الأحاديث الشريفة بمختلفها على عظمة أهل البيت عليهم السلام، كما ركزت على أحقيتهم وفضلهم وعددهم وأسمائهم وأفضليتهم على جميع الخلق، بما يحقق (إكمال الدين) ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣)، فمثلاً يروي لنا (النعماني)، مسنداً ذلك إلى كتاب (سليم بن قيس): (أن علياً عليه السلام، قال لـ (طلحة) في حديث طويل عند ذكر تفاخر المهاجرين والأنصار بمنابحهم وفضائلهم: «يا طلحة، أليس شهدت رسول الله ﷺ حين دعانا بالكتف، ليكتب فيها ما لا تفضل الأمة بعده ولا تختلف، فقال: صاحبك ما قال: إن رسول الله ﷺ يهجر، فغضب رسول الله ﷺ وتركها؟ قال: بلى قد شهدت. قال: «فإنكم لما خرجتم أخبرني رسول الله ﷺ بالذي أراد أن يكتب فيها ويشهد عليه العامة، وأن جبرئيل أخبره بأن الله تعالى قد علم إن الأمة ستختلف وتفترق، ثم دعا بصحيفة فأملى عليّ ما أراد أن يكتب في الكتف، وأشهد عليّ ذلك ثلاثة رهط: سلمان الفارسي، وأبا ذر والمقداد، وسمي من يكون من أئمة الهدى الذين أمر المؤمنين بطاعتهم إلى يوم القيامة، فسماي أولهم، ثم ابني هذا الحسن، ثم ابني هذا حسين، ثم تسعة من ولد ابني هذا حسين، كذلك يا أبا ذر، وأنت يا مقداد؟ قال: نشهد بذلك على رسول الله ﷺ. فقال طلحة: والله لقد سمعت من رسول الله ﷺ يقول لأبي ذر: «ما أقلت الغبراء، ولا أظلت الخضراء ذاهجة أصدق وأبر من أبي ذر»، وأنا أشهد أنهما لم يشهدا إلا بالحق، وأنت أصدق وأبر عندي منهما<sup>(١)</sup>.

كذلك أنه ذكر مجموعة من الأحاديث المروية عن (النصارى)، وهي حاوية على حادثة وَقَعَتْ مع أمير المؤمنين عليه السلام، إذ التقى برجل من النصارى من

١. الغيبة للنعماني: ص ٨٤-٨٥.



نسل (عيسى بن مريم عليه السلام) ومن أقرب الأسباط نسلاً، أكَّد عند لقائه أمير المؤمنين عليه السلام أحقية الكتب الموجودة عنده، التي ذكرت أهل البيت عليهم السلام فرداً فرداً، حتّى الإمام الغائب، وأكَّدت الصحيفة صلاة السيد المسيح عليه السلام خلف الإمام عليه السلام يوم ظهوره المقدس<sup>(١)</sup>.

٣ - إن في نقل الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة، المروية عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ما يقود إلى الحقيقة، ويبعد عن الشك بتواترها، ودالتها على الحق، وبذلك يؤكِّد (النعماني)، وبنص طويل أن تواتر الأحاديث والآيات وروايتها عن طريق أئمة الشيعة يجلي العمى من القلب، ويزيل الإبهام والشك: (فتأملوا - يا معشر الشيعة - رحمكم الله ما نطق به كتاب الله عز وجل، وما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام واحد بعد واحد في ذكر الأئمة الاثني عشر وفضلهم وعدتهم من طرق رجال الشيعة الموثقين عند الأئمة عليهم السلام، فانظروا إلى اتصال ذلك ووروده متواتراً، فإن تأمل ذلك يجلو القلوب من العمى، وينفي الشك، ويزيل الارتباب...) (٢).

٤ - ويؤكد أهمية كتاب سليم بن قيس الهلالي في نقل الأحاديث الشريفة وأهميتها، بل إنه يوثق هذا الكتاب بأنه من أكبر كتب الأصول عند الشيعة، فقال: (وليس بين جميع الشيعة ممن حمل العلم ورواه عن الأئمة عليهم السلام خلاف في أن كتاب سليم بن قيس الهلالي أصل من أكبر الأصول التي رواها أهل العلم، ومن حملة حديث أهل البيت عليهم السلام، وأقدمها؛ لأن جميع ما اشتمل عليه هذا الأصل إنما هو عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وسمع منهما، وهو من الأصول التي ترجع إليها ويعول عليها) (٣).

١. الغيبة للنعماني: ص ٧٩.

٢. الغيبة للنعماني: ص ١٠٣.

٣. الغيبة للنعماني: ص ١٠٣.



وقد ذكر (النعمانى) لتدعيم ما تطرق إليه من فضل أهل البيت عليهم السلام وأحقيتهم ما روته العامة، إذ ذكر كثيراً من أسانيدهم في أن الأئمة بعد الرسول صلى الله عليه وآله إنما هم أهل البيت عليهم السلام وأنهم نقباء كنقباء بني إسرائيل: (والروايات بهذا المعنى من طرق العامة كثيرة، تدل على أن مراد رسول الله صلى الله عليه وآله ذكر الاثني عشر وإنيهم خلفاؤه)<sup>(١)</sup>، بل زاد هذا الفضل ما تطرق إليه ومما روي عن اليهود وما موجود في (مشلي - قصص سليمان) في ولادتهم من نسل رسول الله صلى الله عليه وآله [بما زاد الكتاب: (دلالة وبرهاناً وتوكيداً، تجب به الحجة على كل مخالف معاند وشاك متحير)<sup>(٢)</sup>].

٥ - واستكمالاً للبحث، تطرق المؤلف إلى مجموعة من الأحاديث الشريفة المروية والمسندة إلى أئمة الهدى عليهم السلام، بيّن فيها - وبالتواتر، وبما لا يقبل الشك - تأكيد هذه الأحاديث على هلكة منكري الإمامة أو الشك فيها أو مدعيها من دون حق، فعن طريقه، روى حديثاً مرفوعاً إلى الإمام الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (الزمر: ٦٠)، قال: «من زعم أنه إمام وليس بإمام»، قلت: [السائل] وإن كان علويّاً فاطمياً؟ قال عليه السلام: «وإن كان علويّاً فاطمياً»<sup>(٣)</sup>.

بل وفي سند لحديث آخر إن مدعي الإمامة كافر وقال: مشرك<sup>(٤)</sup>، ولم يكتفِ بسرد الأحاديث المتواترات ذات المضمون المتقدم عن أهل البيت عليهم السلام فقط، بل تعدى ذلك إلى مجموعة من الأحاديث الواردة عن طرق العامة أيضاً، التي أكّدت أن الأئمة اثنا عشر خليفة كلهم من قريش<sup>(٥)</sup>.

١. الغيبة للنعمانى: ص ١٠٧.

٢. الغيبة للنعمانى: ص ١٠٧.

٣. الغيبة للنعمانى: ص ١١٣.

٤. الغيبة للنعمانى: ص ١١٥.

٥. الغيبة للنعمانى: ص ١١٧-١٢٥.



٦ - و يتطرق إلى أن من شك أو تحير أو مات ولم يعرف إمام زمانه، إنما مات ميتة جاهلية، ولا يختص هذا المعنى بمن أنكر الأحياء منهم وصدق الأموات، بل من أنكر أحد الأحياء أنكر الأموات، ومن أشرك إماماً منصباً من الله تعالى، مع إمام ليس من الله تعالى، فقد كان مشركاً<sup>(١)</sup>.

### المبحث الثاني: نظرية الغيبة:

١ - تتخذ - وكما مر - فكرة الغيبة والظهور، أهمية كبيرة على الصعيدين الفكري والعقائدي للأمة الإسلامية بشكل عام، وللشيعة الإمامية بشكل خاص، تمحورت هذه الفكرة حول ميزة أساسية وهي ضرورة وجود الإمام الغائب عليه السلام، سواء أكان هذا الإمام حاضراً موجوداً أو غائباً مستوراً، كما ورد في خطبة الإمام علي عليه السلام بهذا الخصوص: «ولا تخلو الأرض من حجة، قائم لله بحجته، إمّا ظاهر معلوم، وإمّا خائف مغمور»<sup>(٢)</sup>، وعُلم (النعماني) الجملتين الواردة في الحديث الشريف «ظاهر معلوم» و«خائف مغمور»، بأن الأولى تعني (معلوم الشخص والموضع)، في حين أنّ الثانية تعني (الشخص المجهول الموضع)<sup>(٣)</sup>، أو كما في الحديث: «ما زالت الأرض إلا والله فيها حجة»<sup>(٤)</sup>، وأنّه تعالى لم يدع الأرض بغير عالم (إمام)، وهذه سنة إلهية جرت من يوم خلق سبحانه آدم عليه السلام إلى آخر أيام الدنيا<sup>(٥)</sup>.

٢ - ممّا تقدّم تبين لنا مبدأ ضرورة وجود الإمام؛ لكن هذه الضرورة لا بد أن يكون لها ما يفسرها ويسوغها، ونجد أن أسباب التسويغ متعددة:

١. الغيبة للنعماني: ص ١٢٦-١٢٩.
٢. الغيبة للنعماني: ص ١٣٧.
٣. الغيبة للنعماني: ص ١٣٧.
٤. الغيبة للنعماني، ص ١٣٨.
٥. الغيبة للنعماني: ص ١٣٩.



أ - مع غيبة الإمام، فإنَّ العلم لا ينقطع بغيبته عن مرديه في دولة الباطل، وذلك عن طريق الحَفَظَة والحَمَلَة الذين يحملونه<sup>(١)</sup>.

ب - حتّى إذا زاد الناس شيئاً في حلال أو انقاص في حرام، ردّهم لذلك<sup>(٢)</sup>.

ج - حتّى لا تبقى الأرض بغير حجة، فيحتج بها الناس يوم القيامة؛ لأن إرادته تعالى اقتضت أن لا يعاقب أُمَّة من الأمم حتّى يبعث فيهم رسولاً أو هادياً.

د - إنَّ عدم وجود حجة، يستلزم السخط الإلهي على أهل الدنيا، وهذا ما يوجب عدم بقائها<sup>(٣)</sup>.

٣ - و جاءت هذه الضرورة لتؤكد أن الأرض حتّى وإن لم يبقَ فيها يوم واحد لأطال الله تعالى هذا اليوم، حتّى يتم الظهور المقدس، بل إن الأرض لو لم يكن فيها إلا شخصان اثنان لكان أحدهما هو الحجة على الآخر<sup>(٤)</sup>، وهذا ما يعلّل ضرورة وجود الإمام الغائب طبقاً للسنن الإلهية المفترضة في هذا الكون.

٤ - ولتأكيد ضرورة ظهور الإمام عليه السلام بعد عصر الغيبة، وبيان العلل المقتضية لذلك، يسرد (النعماني) العشرات من الأحاديث الشريفة التي تؤكّد غيبته، وأن هذه الأحاديث بتواترها لا تدع مجالاً للشك أو التكذيب، وإنما تعطي صدقاً و يقيناً للمتمسك بأهل البيت عليهم السلام :

أ - الأحاديث التي ترد في هذه الأبواب، تؤكّد على غيبته، وأيضاً على عدم المطالبة بمعرفة شيء عن اسمه أو صفته، بل هي تمنع الفحص عنه، وهي دعوة منع مقاربة مع دعوة الشك، ومن هنا يبدو أن النصوص الشريفة - كما يرى النعماني -، إنّما تحاول أن تقسّم المؤمنين إلى صنفين:

١. الغيبة للنعماني: ص ١٣٧.

٢. الغيبة للنعماني: ص ١٣٨.

٣. الغيبة للنعماني: ص ١٤٠.

٤. الغيبة للنعماني: ص ١٤١-١٤٢.



- أهل الجهل الذين لا يستطيعون إدراكاً لما يرد من الأحاديث النبوية أو تلك الصادرة عن أهل البيت عليهم السلام، والدليل على ذلك، ما يصفهم به النعماني بقوله: (ومن هذه الروايات الواردة للغيبة وصاحبها، يطالبون بالإرشاد إلى شخصه والدلالة على موضعه، ويقترحون إظهاره لهم، وينكرون غيبته؛ لأنهم بمعزل عن العلم وأهل المعرفة)<sup>(١)</sup>.

- أمّا الصنف الآخر، فهم العارفون به، والعالمون بما ورد من الأحاديث المتقدمة، وهم من أهل العلم والمعرفة، الذين يصفهم رحمته الله بأنهم: (مسلمون لما أمروا به، ممثلون له، صابرون على ما ندبوا إلى الصبر عليه، وقد أوقفهم العلم والفقه، موقف الرضى من الله والتصديق لأوليائه الله، والامثال لأمرهم، والانتها عما نهوا عنه...)<sup>(٢)</sup>.

ب - الأحاديث التي ترد وتؤكد الشبه بين سنن الأنبياء عليهم السلام وبين سيرته العطرة أو غيابه المبارك، بما يزيل الشك، كما أن هذا التشابه والتوارد، يؤكد على سنن إلهية كونية، فهو عليه السلام شابه في سيرته: أولاً: النبي موسى عليه السلام، في أنه خرج خائفاً يترقب.

ثانياً: النبي عيسى عليه السلام في أنه يرجع ثم يظهر بعد غيبته<sup>(٣)</sup>.

ثالثاً: النبي يوسف عليه السلام في غيبته، أو أنه كان يعرف الناس وهم لا يعرفونه<sup>(٤)</sup>.

رابعاً: سنن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والسير بسيرته حتى تبين آثاره: «إذا قام سار بسيرة رسول الله...» الحديث<sup>(٥)</sup>.

١. الغيبة للنعماني: ص ١٦٤.

٢. الغيبة للنعماني: ص ١٦٤.

٣. الغيبة للنعماني: ص ١٤٩.

٤. الغيبة للنعماني: ص ١٤١.

٥. الغيبة للنعماني: ص ١٦٨.



ج - الأحاديث الواردة في حقيقة ولادته ﷺ، وذلك رداً على المناقشات والمجادلات الواردة والزاعمة بأنه لم يولد بعد، ومن هذه الأحاديث ما يرويّه عن ابن الجارود: «لا يزالون ولا تزال حتى يبعث الله لهذا الأمر من لا يدرون، خلق أم لم يُخلق»<sup>(١)</sup> أو: «لا تزالون وتزال حتى يبعث الله لهذا الأمر من لا تدرون خلق أم لم يُخلق»<sup>(٢)</sup>.

ويعلق (النعماني) على ذلك: (أليس - يا معشر الشيعة - ممن وهب الله تعالى له التمييز وشافي التأمل والتدبر لكلام الأئمة عليهم السلام بيان ظاهر ونور زاهر، هل يوجد أحد من الأئمة الماضين عليهم السلام يشك في ولادته، واختلف في عدم وجوده؟)<sup>(٣)</sup>.

د - ذكر أمر الغيبين، بأنه ﷺ له غيبة صغرى، يتصل بها بالخلص من شيعته، وغيبة أخرى طويلة جاء في وصفها اشتباه الناس فيها وكثرة الشك، بل ومن الحال فيها أن يقال له في إحداهما: «هلك ولا يدري في أي وإدسلك»<sup>(٤)</sup>. وأكد النعماني أن إحدى هاتين الغيبتين قد صحّتا عنده، وأن صدق الأولى منها كان برهاناً على صدق الصادقين عليهم السلام، وهي الغيبة التي كان يتصل بها الإمام ﷺ بسفرائه الأربعة، المنصّبين من قبله: (يخرج على أيديهم [السفراء] غوامض العلم، وعويص الحكم، والأجوبة عن كل ما كان يسأل عنه من المعضلات والمشكلات، وهي الغيبة القصيرة، التي انقضت أيامها، وتصرّمت مدتها)<sup>(٥)</sup>، والغيبة الطويلة - في زماننا - زمن التمحيص والامتحان والغربة

١. الغيبة للنعماني: ص ١٨٨.

٢. الغيبة للنعماني: ص ١٨٩.

٣. الغيبة للنعماني: ص ١٨٩.

٤. الغيبة للنعماني: ص ١٧٨.

٥. الغيبة للنعماني: ص ١٧٨-١٧٩.



والبلبله والتصفيه - زمن التمايز بين الخيـث والطيب: (وهذا زمان ذلك قد حضر، جعلنا الله فيه من الثابتين على الحق)<sup>(١)</sup>.

هـ - ترافق الغيبة كما تم بيانه في أثناء البحث، موجة من الحيرة والشك والتردد، وأن هذه الفتنة لا تدع أحداً من الوقوع في شباكها إلا نزرأ يسيراً من الناس، وصفهم بـ(الثابت على شدتها)<sup>(٢)</sup>، معتمداً بذلك على مجموعة من الأحاديث الشريفة للأئمة المعصومين عليهم السلام ومنها<sup>(٣)</sup>:

(لا ينفك المؤمنون حتى تكون بمنزلة المعز، لا يدري الخابس على أيها يضع يده، ليس فيهم شرف يشفونه، ولا سناد يسندون إليه أمرهم).

سمعت علياً عليه السلام يقول: «كأنني بكم تجولون جولان الإبل، تبتغون مرعى ولا تجدونها، يا معشر الشيعة».

بهذا الكم الهائل، الذي تطرق إليه فيما يخص الغيبة، يقول: (هذا آخر ما حضرنى من الروايات في الغيبة، وهو يسير من كثير مما رواه الناس وحملوه...)<sup>(٤)</sup>.

المبحث الثالث: نظرية الانتظار أو (ثقافة الانتظار):

لم يكن لمنهج الكتاب أن يكتب له الكمال، لولا الجهد الكبير الذي بذله (النعماني) في بيان أهمية نظرية الانتظار، وهدف هذا الانتظار حيث بين ما يتعلق بهذا الأمر بجانبين:

أ - بيان عدم الاستعجال والتسرع والقول بالظهور المبارك دون تحقق شروطه، ورفع موانعه، ومن ذلك التوعد بهلاك (المحاضير) الوارد في الحديث الشريف، ومعنى المحاضير كما نص الحديث هو المستعجلون: قال أبو عبد

١. الغيبة للنعماني: ص ١٧٩.

٢. الغيبة للنعماني: ص ١٩٧.

٣. الغيبة للنعماني: ص ١٩٧.

٤. الغيبة للنعماني: ص ١٩٩.





الله ﷻ: «هلك المحاضر»، قال: قلت: وما المحاضر؟ قال: «المستعجلون، ونجا المقربون، وثبت الحصن على أوتادها...»<sup>(١)</sup>.

بل إن الأحاديث الواردة بهذا الخصوص حدّدت وظيفة المؤمن المنتظر: فعن أبي عبد الله ﷻ أنه قال ذات يوم: «ألا أخبركم بما لا يقبل الله ﷻ من العباد عملاً إلا به»؟ فقال: بلى، فقال: «شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده، والإقرار بما أمر الله، والولاية لنا، والبراءة من أعدائنا - يعني الأئمة خاصة -، والتسليم لهم، والورع والاجتهاد والطمأنينة، والانتظار للقائم ﷻ»، ثم قال: «من سرّه أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر، وليعمل بالورع، ومحاسن الأخلاق، وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده، كان له من الأجر مثل أجر من أدركه، فجدّوا وانتظروا، هنيئاً لكم أيتها العصابة المرحومة»<sup>(٢)</sup>.

فالأحاديث الشريفة حدّدت بما لا يقبل الشك دور المنتظر بالشهادة بالتوحيد والنبوة والولاية والبراءة، والتسليم بالورع والاجتهاد والطمأنينة والانتظار، ثم وصف الحديث المنتظرين بأنهم أصحاب القائم ﷻ: «من سره أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر»<sup>(٣)</sup>، مع شرط الورع والتحلي بمكارم الأخلاق، فمن كان هذا عمله، وتوفي ولم يدرك الغائب ﷻ، كان له أجر من أدركه.

وكان لـ(النعماني) نصيحة وعظة في وجوب التأدب بما رواه الأئمة، والانصياع إلى أمرهم ﷻ، في الصبر والكف والانتظار، وترك الاستعجال حتّى يكونوا - المؤمنين المنتظرين - ثابتين ثبات الحصن على أوتادها، لما في ذلك من السلامة قبل الوقوع في الفتنة<sup>(٤)</sup>.

١. الغيبة للنعماني: ص ٢٠٣.

٢. الغيبة للنعماني: ص ٢٠٧.

٣. الغيبة للنعماني: ص ٢٠٧.

٤. الغيبة للنعماني: ص ٢٠٨.



ب - وإن من لوازم نظرية الانتظار، وجوب التعرُّض إلى التمحيص والتدقيق حتّى تفرَّق الأُمَّة وتشتَّتت، وحتّى لا يبقى منها إلّا الأندر فالأندر، مصداقاً لقوله عليه السلام: «لتبليبن بلبلة، ولتغربلن غربلة»<sup>(١)</sup>، حتّى يطرأ عليهم التمييز والتمحيص والتبديل.

ويقارن (النعماني) بين تكسّر الزجاج، وتكسّر الفخار، الوارد في الحديث الشريف: «والله لتكسرنّ تكسّر الزجاج، وإن الزجاج ليعود، فيعود كما كان، والله لتكسرن تكسّر الفخار، وإن الفخار ليتكسّر فلا يعود كما كان، والله لتغربلن ووالله لتميزن، ووالله لتمحصن، حتّى لا يبقى منكم إلّا الأقل، وصعر خده»<sup>(٢)</sup>، فتكسر الزجاج يفارق تكسر الفخار، في أن الأول كالشخص المؤمن بالغيبة الذي تضربه الفتنة، فيعدل عن تمسكه، ثم يعود بمنّ الله تعالى عليه وفضله إلى ما كان عليه، أمّا من شُبه بتكسر الفخار، فهو لمن أدركته الفتنة ولم يلحقه النور بالعودة إلى ما كان عليه، بل يلحقه الشقاء، حتّى يموت، فهو كالفخار لا يعود إلى حاله<sup>(٣)</sup>، ولا يزال (النعماني) يذكر أحاديث تبين مقدار الفتنة وشدّتها، حتّى يصل إلى أن القائم ينكره الناس لأنه يخرج عليهم (شاباً موقفاً)، ويصف لنا الحديث من يبقى على عهده بالإمام عليه السلام بأنه لا يثبت عليه إلّا مؤمن أخذ الله ميثاقه في الذر<sup>(٤)</sup>.

#### المبحث الرابع: زمكانية ما قبل وما بعد الظهور:

١ - كيف يمكن أن نفهم الأحاديث التي أوردها (النعماني) بسنده عن الأئمة عليهم السلام، وهي أحاديث تصف الإمام عليه السلام بأنه قائم بالسيف، يقتل كذا، ثم يقتل كذا، بما يتصوّر القارئ أن زمن ظهور الإمام عليه السلام ليس إلّا زمن

١. الغيبة للنعماني: ص ٢٠٩.

٢. الغيبة للنعماني: ص ٢١٥.

٣. الغيبة للنعماني: ص ٢١٥-٢١٦.

٤. الغيبة للنعماني: ص ٢١٩.



سفك الدماء؟ وخاصة إذا ما قورنت هذه الأحاديث الشريفة بسيرة الإمام الغائب عليه السلام مع سيرة من سبقه من الأئمة عليهم السلام ، فمثلاً أن رسول الله صلى الله عليه وآله سار في أمته بالمن، وكان يتألف الناس، في حين أن الإمام المهدي عليه السلام الغائب يسير بالقتل! أو أنه عليه السلام يسير بسيرة مخالفة لسيرة الإمام علي عليه السلام ، فهو سار بهم بالمن والكف، في حين أن الإمام الغائب عليه السلام يسير بالسيف والسبي<sup>(١)</sup>.

فلو عطفنا هذه الأحاديث الشريفة على بعضها نجد أن أهم ما يدعو إليه الإمام الغائب عليه السلام ، هي الدعوة إلى الدين الإسلامي من دون أن تأخذه في الله لومة لائم، بحيث يفهم منه الشدة في التطبيق، وأنه جاء بالإسلام جديداً على العرب لشديد<sup>(٢)</sup>. وأن أغلب الروايات الواردة في هذا الباب تخصص العداء للمخالفين من العرب خاصة<sup>(٣)</sup>.

٢ - وإن ما يدعم التحليل السابق، هي الأحاديث الواردة، والمكملة لسيرته عليه السلام عند ظهوره، وهي ما تدعو إلى ملئ الأرض عدلاً وقسطاً ونوراً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً وشرراً<sup>(٤)</sup>، فكيف يستقيم قيام العدل مع إهراق الدم، إلا إذا كانت تلك الدماء هي دماء المخالفين لمنهج السماء والمحاربين لرسالة النبي الخاتم صلى الله عليه وآله.

وهو زمن يصل العدل فيه إلى أن المرأة تحكم في بيتها بما أنزل الله تعالى<sup>(٥)</sup>. وتؤكد الأحاديث الشريفة الصفات التي يختص بها عليه السلام مثل السكينة والوقار، وأن يعرف الحلال والحرام الذي أمر الله تعالى به.

١. الغيبة للنعماني: ص ٢٣٧.

٢. الغيبة للنعماني: ص ٢٣٨.

٣. الغيبة للنعماني: ص ٢٣٨-٢٤١.

٤. الغيبة للنعماني: ص ٢٤٣.

٥. الغيبة للنعماني: ص ٢٤٥.

### ٣ - ماذا يمكن أن نفهم من أحاديث عصر الظهور؟

أورد (النعماني) العديد من الأحاديث التي تشرح حالة عصر الظهور، وتشخص هذا الظهور بفترة بني العباس، والدلالة على ذلك إيراد الله ﷺ مجموعة من الأحاديث التي تحاول أن تبين الخلاف بين بني العباس وأهل البيت عليهم السلام وتبين حال هلاك ملوكهم وارتفاع الأسعار وغلاءها وسوء الأحوال الإدارية والمعاشية<sup>(١)</sup>.

ثم إن هذه الروايات الشريفة الواردة مع تسليمنا بصدقها لا تحدّد موعداً ثابتاً لظهوره ﷺ بقدر ما أنّها تحدّد علامات عامة مثل الجوع والخوف الشديد، اختلاف أهل الشام، ظهور السفيناني، اليماني، الصيحة، خسف البيداء، قتل النفس الزكية، وجه يطلع في القمر، اختلاف بني فلان، وغيرها من الأحاديث العامة، يحاول (النعماني) خلالها أن يحصر - وهو ظاهر إيراداته فيما يبدو - توقيتاتها بهلاك بني العباس، مع أنها علامات عامة مرسلة<sup>(٢)</sup>:

قال أمير المؤمنين على منبر الكوفة: «إن الله (عزَّ وجلَّ ذكره)، قدر فيما قدر، وقضى وحتم، بأنه كائن لا بد منه أنه يأخذ بني أمية بالسيف جهرة، وإنه يأخذ بني فلان بغتة»، «أمسك بيدك، هلاك الفلاني - اسم رجل من بني العباس - وخروج السفيناني، وقتل النفس الزكية، وجيش الخسف والصوت...» ثم قال: «الفرج كله هلاك الفلاني من بني العباس»<sup>(٣)</sup>، وفيها أيضاً: «لا بد أن يملك بنو العباس، فإذا ملكوا واختلفوا وتشتت أمرهم، خرج عليهم الخراساني والسفيناني، هذا من المشرق، وهذا من المغرب يستبقان إلى الكوفة كفرسي رهان، هذا من هاهنا، وهذا من هاهنا، حتّى يكون هلاكهم

١. الغيبة للنعماني: ص ٢٥٧-٢٥٨.

٢. الغيبة للنعماني: الحديث رقم ١٣، ١٦، ص ٢٦٤-٢٦٦.

٣. الغيبة للنعماني: ص ٢٦٦.



على أيديهما، أما إنهما لا ييقون منهم أحداً»<sup>(١)</sup> وأيضاً: ما من علامة بين يدي هذا الأمر؟ فقال: «بلى»، قلت: وما هي؟ قال: «هلاك العباسي، وخروج السفيناني، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء، والصوت من السماء»، فقلت: جعلت فداك، أخاف أن يطول هذا الأمر، فقال: «لا، إنما هو نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً»<sup>(٢)</sup>، وغيرها كثير بما تدلل على جعل هلاك بني العباس توقيتاً من توقيت الظهور.

٤ - ثم إن تعدد الروايات التي تصف عصر الظهور، يجعل من الصعب إطباقها وتحديدتها على زمن معين دون آخر، وخاصة أن الأحاديث الشريفة تستخدم عبارة (من المحتوم)، مثل خروج السفيناني، اليماني، الصيحة، وإن فيها روايات ذات موضوعات عامة، وتصف بها أمكنة مختلفة مثلاً: «أولها اختلاف بني العباس،... ومنادٍ ينادي من السماء، ويجيئكم صوت من السماء، ويجيئكم صوت من ناحية دمشق بالفتح، وتخسف قرية من قرى الشام تسمى الجابية، وتسقط طائفة من مسجد دمشق الأيمن، ومارقة تمرق من ناحية الترك، ويعقبها هرج الروم، وسيقبل إخوان الترك حتى ينزلوا الجزيرة، سيقبل مارقة الروم حتى ينزلوا الرملة...»<sup>(٣)</sup>. وغيرها من الأحداث التي ورد ذكرها الروايات الشريفة، ونحن لا يسعنا إلا التصديق بهذه الروايات والتصديق بصدورها عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، وخصوصاً أنها ثابتة كلها؟! رواية ودراية، وهي معتمدة عند (النعمان)، بما لا نملك تجاهها تفسيراً، أو تفصيلاً يُذكر، ونرجع بتأويلها وتفسيرها إلى ما يقوله المختصون والعلماء العاملون، الخبراء في أحاديث المهديّة: (هذه العلامات التي ذكرها الأئمة عليهم السلام، مع

١. الغيبة للنعمان: ص ٢٦٧.

٢. الغيبة للنعمان: ص ٢٧١.

٣. الغيبة للنعمان: ٢٨٩.



كثرتها، واتصال الروايات بها وتواترها وإتقانها موجبة ألا يظهر القائم عليه السلام، إلا بعد مجيئها وكونها، إذ كانوا قد أخبروا أن لا بد منها وهم الصادقون»<sup>(١)</sup>.

٥ - ترد في هذا السفر الخالد، العديد من الأحاديث الشريفة المباركة، التي ركزت على موضوع مهم، وهو (اجتناب التوقيت)، بل وتكذيبه أيضاً، مثلاً: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا محمد، من أخبرك عنا توقيتاً فلا تهابن أن تكذبه، فإننا لا نوقت لأحد وقتاً»<sup>(٢)</sup>، وبذلك الحديث الشريف تبطل جميع الادّعاءات المهدوية القائمة منذ ظهور فكرة المهدوية، واتصالها بفكرة الغيبة من دون تحقق العلامات المثبتة لهذه القضية.

٦ - تظهر الأحاديث الشريفة الواردة، أن للناس موقفاً صليماً من ظهور الإمام عليه السلام، فهم يقابلونه بالتأويل ويخرجون عليه، ولا يرتضونه ويحاربونه، وهذا يدل على شدة العناد الذي يلاقيه الإمام عليه السلام، ليس من أهل فرقة أو طائفة خاصة، بل - وكما ترد في الأحاديث - من الشرق والغرب<sup>(٣)</sup>، حالة المواجهة التي يتلقاها عليه السلام هي أشد من حالة البعثة المباركة للرسول الأكرم صلوات الله عليه وآله: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن قائمنا إذا قام استقبل من جهل الناس أشد مما استقبله رسول الله صلوات الله عليه وآله من جهال الجاهلية»<sup>(٤)</sup>.

٧ - من الأفكار المهمة، التي ترشد إليها الأحاديث المباركة، وهي موازية لفكرة المهدوية، فكرة معرفة الإمام المعصوم - إمام الزمان -، وهي فكرة ذات بُعد معنوي وبعُد تعبدي في آن واحد، إذ ورد في هذا الكتاب مجموعة من الأحاديث المباركة التي تؤكد هذا المعنى، وتجعل معرفة الإمام عليه السلام موازية لفكرة الانتظار، عن الفضيل بن يسار: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى:

١. الغيبة للنعماني: ص ٢٩١.

٢. الغيبة للنعماني: ص ٣٠٠.

٣. الغيبة للنعماني: ص ٣٠٩.

٤. الغيبة للنعماني: ص ٣٠٧.



﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظَلَّمُونَ فِتْيَانًا﴾ (الإسراء: ٧١)، فقال: «يا فضيل، إعرف إمامك، فإنك إذا عرفت إمامك لم يضرك تقدّم هذا الأمر أو تأخر، ومن عرف إمامه، ثم مات قبل أن يقوم صاحب هذا الأمر، كان بمنزلة من كان قاعداً في عسكره، لا، بل بمنزلة من قعدت تحت لوائه»<sup>(١)</sup>.

وهنا إشارة واضحة إلى ضرورة معرفة الإمام المعصوم، ودوره في الظهور أو قيامه.

ومن هنا نرى أن البحث عن منهجية الكتاب المبارك (الغيبة للنعماني) ينطلق من رؤية أساسية، وتدور حول الإمامة، كنظرية إلى الإمام (الإمام الغائب) معرفة بدوره، وانصياعاً لما أمره الله تعالى به وأمرنا به. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطاهرين وعجل فرجهم وجعلنا من أنصاره إنه سميع مجيب.

١. الغيبة للنعماني: ص ٣٥٠-٣١٥.



**ALMAUOOD**

[www.m-mahdi.com/almauood](http://www.m-mahdi.com/almauood)

[almauood@m-mahdi.com](mailto:almauood@m-mahdi.com)



# المذهب التناسخي يعود بلباس الرجعة الروحية

## الجزء الثاني

الشيخ حميد الوائلي

تقدم نشر الجزء الأول من هذا البحث في العدد الثالث، وكنا قد تحدّثنا فيه عن وقفات تفصيلية مع مقولة الرجعة الروحية وردّها، فإنّ قضية الرجعة التي تحدّثت عنها بعض الآيات القرآنية والأحاديث المروية عن أهل البيت عليهم السلام ممّا تعتقد به الشيعة من بين الأُمّة الإسلاميّة تُعدُّ عندهم من المسلّمات القطعية، فشأنها في ذلك شأن الكثير من القضايا العقائديّة والفقهية والتاريخية التي لا سبيل لإنكارها.

وفي الفترة الأخيرة ظهر تيار يدّعي أنّ له في الرجعة قولاً غير ما تعارف عند أبناء المذهب، وهو ما عبّر عنه صاحب المقال بالرجعة الروحية، محاولاً من خلاله إثبات ارتباطه بالسماء، باعتبار أنّ هذه الرجعة (أي الروحية) تُعتبر من عظام الأمور.

ويقع بحثنا حول هذا الموضوع والذي يمثل القسم الثاني من هذا البحث حول عدد من المقالات التفصيلية التي يقول بها صاحب كتاب (الرجعة الروحية) وردّها بشكل مفصّل، وهي عبارة عن خمسة مقالات يضاف إليها رد دعوى الرجعة الروحية للنبي عيسى عليه السلام ودابة الأرض وذكر خاتمة في بعض التناقضات التي وقع فيها مؤلف الكتاب.



## الفصل السادس: مقالات تفصيلية في هذه المقولة وردها:

تقدم في عدد سابق - العدد الثالث - بيان القاعدة الكلية في رد دعوى الرجعة الروحية، وفي هذا القسم الثاني من البحث نقوم بانتخاب بعض الأقوال والكلمات من كتاب (الرجعة الروحية) للرد عليها مفصلاً.

### القول الأول:

قال صاحب كتاب (الرجعة الروحية) في ص ٩١<sup>(١)</sup>: (الرجعة الروحية من عظام الأمور، وهذا القول لم يسبق لأحد أن قال به... التي عدها أهل البيت عليهم السلام من عظام الأمور التي ظلت خافية حتى زماننا هذا، فقد جاء في الرواية... سألت أبا جعفر عن الأمور العظام من الرجعة وغيرها، فقال: «إن هذا الذي تسألون عنه لم يأت أوانه»...، فهذه الرواية تؤكد كون الرجعة من عظام الأمور كما أنّها كانت خافية على أصحاب الأئمة عليهم السلام فضلاً عن باقي الناس، أضف إلى ذلك أنّ الأئمة عليهم السلام لم يكشفوا النقاب عنها أو لم يبينوا ماهيتها واكتفوا بالقول إنه لم يأت أوانها بعد...). انتهى كلامه.

### ويرد عليه:

١ - أن صاحب هذه المقولة - وكما سبق - يدعو لنفسه من خلال الإيحاء إلى بسطاء الناس أنّه يعرف عظام الأمور التي لم يكشفها غيره وأنّه مسدّد مؤيد بروح الأئمة عليهم السلام. وهذه دعوى لا مجال لتصديقها ما لم تقترن بالبينّة، وهي مفقودة هنا.

٢ - أنّ الأئمة عليهم السلام لم يكشفوا النقاب عنها - كما يدّعي - فكيف كشف هو النقاب عنها وعرف ماهيتها وتفصيلها؟ هل بالأحلام؟ أو بالتسديد؟ أو له نيابة خاصة؟ أو ماذا؟

١. كتاب الرجعة الروحية - بقلم سعيد الطويل - من فكر أبي عبد الله الحسين القحطاني - نشر وتوزيع مؤسسة القائم الإعلامية - طبع فيما بعد ضمن بحوث موسوعة القائم - إعداد صلاح الكاظمي - دار المحجة البيضاء.



٣ - أن الأئمة عليهم السلام قالوا: «لم يأت أوأنا بعد»، ولم يقولوا نحن لا نكشف النقاب عنها، بل كشفوا النقاب عنها وصرّحوا بحقيقتها - وأنها جسامية وليست روحانية - من خلال الروايات، والتي ذكرها القحطاني (حيدر منشد مشتت) في كتابه.

٤ - أن قول الأئمة عليهم السلام: «إِنَّهَا مِنْ عِظَامِ الْأُمُورِ، لَيْسَ بِمَعْنَى أَنَّهُمْ عليهم السلام لم يوضحوها، كيف ذلك ولازمه الإيهام، بل قالوا ذلك لأن مثل هذه الأمور تعظم على الناس ويصعب التصديق بها أو تعقلها.

٥ - أنك تقول إنَّها كانت خافية على أصحاب الأئمة عليهم السلام من أمثال زرارة ومحمد بن مسلم وأضرابهم، ومعناه أن الأئمة عليهم السلام كانوا يخشون هؤلاء في بيان معالم الدين وهو واضح البطلان، إلا أن تقول: إنَّ زرارة وأمثاله لا يتحمّلون هذا الأمر، كيف ذلك وزرارة أمين الله تعالى على حلاله وحرامه، ولولاه لاندروست آثار النبوة<sup>(١)</sup>، ثم إذا كان أمثال هؤلاء العظام لا يتحمّلون هذا المعنى، فهل يتحمّله غيرهم ممن هو أدنى منهم ولاءً ومعرفةً؟! بل إنَّ لازم كلامك وجود نوعين من الرجعة: إحداها كانت معروفة لدى الجميع وأخرى لم يعرفها إلا أنت، وهذا ما لا يساعد عليه الدليل، وخلاف دعوى الانحصار بالرجعة الروحية.

### القول الثاني:

يقول في ص ٩٣: (إنَّ المقصود من الرجعة الروحية هي... رجوع أرواح الأنبياء للأئمة الطاهرين عليهم السلام، تقوم هذه الأرواح بتسديد أصحاب الإمام المهدي عليه السلام من مهديين وأنصار كل حسب رقيته وإيمانه وإخلاصه) انتهى.

١. رجال الكشي: ص ٩٠،... سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «بشّر المختين بالجنة: بريد بن معاوية العجلي، وأبا بصير ليث بن البختری المرادي، ومحمد بن مسلم، وزرارة، أربعة نجباء أمناء الله على حلاله وحرامه، لولا هؤلاء انقطعت آثار النبوة واندروست».

ويرد عليه:

١ - أن هذا التعريف غير تام، فأنت ذكرت أن رجوع أرواح الأنبياء لتسدّد الأئمة عليهم السلام والأصحاب، مع أنّك قلت في ص ١٨٦ وص ١٦٣ أن روح الحسين عليه السلام وروح أمير المؤمنين عليه السلام تسدّد بعض أصحاب الإمام المهدي عليه السلام، فلا نعرف من هو الذي يسدّد الأصحاب، وما الحاجة لتسدّد المعصوم الآخر بعد تسديد المعصوم السابق؟

٢ - تقدم أنّه لا يوجد تقسيم للرجعة إلى روحية ومادية، وأنّ مقولة الرجعة الروحية مقولة تناسخية باطلة عقلاً وشرعاً، وهو وإن كان يبطل أصل الدعوى إلا أنه بالضمن يبطل هذه الفقرة أيضاً.

٣ - أنّ هذه المقولة مخالفة للروايات الدالة على الرجعة المادية والتي منها ما رويته أنت في كتابك ص ٥٧ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أول من تنشق الأرض عنه إلى الدنيا الحسين بن علي عليه السلام»<sup>(١)</sup>.

٤ - أنّ هذا القول مخالف للقرآن الكريم في آيات متعددة أثبت أن من رجع رجوع ببدنه كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ (البقرة: ٢٤٣)، وما خالفه - من القول بالرجعة الروحية دون البدنية - زخرف وباطل.

٥ - أنّك قلت وفي معرض ردّك على أحد العلماء<sup>(٢)</sup>: (جيدة هي الكتابة والتأليف في أمر الإمام المهدي عليه السلام... ولكن الغير جيد أن تكون تلك الكتابات والمؤلفات غير موافقة لما جاء في كتاب الله عز وجل وأحاديث وروايات النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، لأنها ستكون حينها مدعاة للانحراف والاعتقاد الخاطيء، مما

١. بحار الأنوار: ج ٣٨، ص ٣٣٢.

٢. مقال منشور في صحيفة القائم سابقاً والآن هو ضمن بحوث كتاب مناقشة العلماء والمدعين تأليف صلاح الكاظمي.



يرتب عليه نتائج سلبية حتماً، لذا فقد حذّر أهل البيت عليهم السلام من الأخذ بكلام وآراء أيّ كان، خاصة إذا لم يكن حجة على الناس، فقد جاء في الرواية عن أبي حمزة الثمالي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إيّاك والرئاسة - إلى أن قال - إيّاك أن تنصب رجلاً دون الحجّة فتصدقه في كل ما قال»<sup>(١)</sup>.

لذا فإن أي قول إذا لم يوافق قول الأئمة عليهم السلام الذين جعلهم الله حجج علينا فإننا لا يمكن أن نصدقه ونقبل به). انتهى كلامه.

وهذا الكلام بعينه يأتي بحقك، بل إنّه بك ألزم لجهالة حالك.

٦ - أنّه ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام أنّ أشد أعداء الإمام المهدي عليه السلام هم الذين يتأولون في العقيدة وينسبونها إلى أهل البيت عليهم السلام فيأتون باعتقاد أتر أو معرفة بترأء تأويلاً من عند أنفسهم ثم ينسبونه لأهل البيت عليهم السلام، وهذا ما جاء به صاحب المقال حيث أوّل الرجعة بقول أتر لم يقل به أحد سواه ونسبه لهم عليهم السلام، فقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام أنّ من فرق الضلال في زمن الظهور هم المؤولة «وإن قاتمنا إذا قام أتى الناس وكلهم يتأول عليه كتاب الله»<sup>(٢)</sup>.

### القول الثالث:

قال صاحب (الرجعة الروحية) في ص ٩٧: (جاء في الكافي عن بكر بن أعين عن أبي عبد الله عليه السلام: «... ثم يسير بتلك الرايات كلها حتّى يرد الكوفة... ثم يتصل به وبأصحابه خبر المهدي فيقولون له: يا بن رسول الله، من هذا الذي نزل بساحتنا؟ فيقول الحسين عليه السلام: اخرجوا بنا إليه حتّى ننظر من هو وما يريد وهو يعلم والله أنّه المهدي عليه السلام وأنّه ليعرفه وأنه لم يرد بذلك الأمر إلا

١. الكافي - للشيخ الكليني - ج ٢ - ص ٢٩٧.

٢. كتاب الغيبة - محمد بن ابراهيم النعماني: ص ٣٠٧.



الله. [إلا أنه في البحار<sup>(١)</sup> هكذا - ولم يرد بذلك الأمر إلا ليعرف أصحابه من هو].

فيخرج الحسين [في المصدر السابق<sup>(٢)</sup> - الحسيني] علياً... فيقول [الحسين علياً]<sup>(٣)</sup>: إن كنت مهدي آل محمد فأين هراوة جدي<sup>(٤)</sup> رسول الله ﷺ... ثم يقول الحسين علياً: يا بن رسول الله، أسألك... فيقول الحسين علياً: الله أكبر يا بن رسول الله مد يدك حتى أباعك فيبايعه الحسين علياً<sup>(٥)</sup>...».

يتبين لنا أن الحسين علياً يكون مطيعاً للإمام المهدي ﷺ ويكون تابعاً له، وهذا ما لا يقبله الإمام المهدي ﷺ لأبيه الحسين علياً... ولكن الحق... أن صاحب الجيش والذي يبايع المهدي ﷺ ليس هو الإمام الحسين علياً بل هو أحد ممهدي الإمام المهدي ﷺ وأنه سيد علوي مسدّد بروح الحسين علياً، لذلك عبر عنه بالرواية بالحسين ولم يقل (الإمام الحسين) علياً. ويرد عليه:

١ - أن هذا الحديث غير موجود في الكافي على ما قال صاحب كتاب (الرجعة الروحية) إنما وجدناه في بحار الأنوار وهو قد نقله عن منتخب البصائر<sup>(٦)</sup>، وأنه ضعيف السند.

٢ - أن من المحتمل أن الحديثين هما حديث واحد فقط وحصل تصحيف أثناء النقل وبذلك لا نحتاج إلى التأويل والحمل على الرجعة الروحية.

١. بحار الأنوار: ج ٥٣، ص ١٥.

٢. المصدر السابق.

٣. لا توجد في المصدر السابق.

٤. في المصدر السابق: قال أين هراوة جدك.

٥. نوصي بمراجعة الباب ٢٥، ج ٥٣، ص ١ من بحار الأنوار لوجود اختلاف كبير في النقل بين ما هو موجود في المصدر وبين ما نقله صاحب الكتاب.

٦. بحار الأنوار: ج ٥٣، ص ٣٥.



٣ - إنَّ بين الحديثين تشابهاً كبيراً، وفي متن الحديث الأول ما يدل على أن المقصود به الحسين، فهل يمكن قبول بيعة الحسين للمهدي دون الحسيني بلا حاجة إلى الحمل على الرجعة الروحية، وهناك شواهد عديدة تظهر من خلال قراءة النص - لولا الإطالة لنقلناها - توقف يد القارئ على أن المراد بالحديث شخص آخر.

٤ - والروايتان تتحدثان عن شخصين: أحدهما يرجع من القبر وهو الإمام الحسين عليه السلام والآخر ليس ميتاً حتّى يقال رجوع وهو الحسيني، وهناك فاصل زمني بينهما، فإنَّ الحسين عليه السلام يرجع بعد مدة من الظهور المبارك للإمام المهدي عليه السلام أو في أواخر دولته، بينما الثاني يكون أول الظهور.

#### القول الرابع:

جاء في الرواية كما في البحار ج ٥٣... (سمع علياً عليه السلام يقول: «العجب العجب... وأي عجب أعجب من أموات يضربون كل عدو لله ولرسوله ولأهل بيته... فإذا اشتد القتل قُتِمَ مات أو هلك في أي وادٍ سلك...»، وفي رواية أخرى قال عليه السلام: «لا والله يا صعصعة بل أموات القبور يكرّون إلى الدنيا معنا، لكأنّي أنظر إليهم في سكك الكوفة كالسباع الضارية شعارهم يا لثارات الحسين»، فمن خلال هذه الرواية يظهر أن المقصود بالرجعة قبل قيامه عليه السلام هي الرجعة الروحية وليست الرجعة المادية حيث إن أنصار الإمام سيخوضون حرباً ضد بني العباس وسترجع أرواح بعض المؤمنين لتسديدهم وتأييدهم) انتهى كلامه.

ويرد عليه:

١ - أن الحديث ضعيف، وغير وارد بهذه الكيفية التي ذكرها، وفيه فقرات حذفها تقوم بتفسير الحديث دون الحاجة إلى تأويل، وإليك الحديث كما وجدناه



في البحار<sup>(١)</sup> وهو حديث طويل، يتحدث عن مجمل علامات الظهور، أخذنا منه: (... فقال أمير المؤمنين: «يا عجباً كل العجب بين جمادي ورجب»... قال أيضاً رجل: يا أمير المؤمنين ما هذا العجب الذي لا تزال تعجب منه؟... قال: «... وأي عجب يكون أعجب منه أموات يضربون هام الأحياء...»، ثم قال: «ألا يا أيها الناس سلوني قبل أن تشغر برجلها فتنة شرقة تطأ في خطاها بعد موت وحياة، أو تشب نار بالخطب الجزل غربي الأرض رافعة ذيلها تدعو يا ويلها بذحلة أو مثلها... فإذا استدار الفلك قلت: مات أو هلك بأي وإد سلك فيومئذٍ. تأويل هذه الآية... ولذلك علامات وآيات، أولهن إحصار الكوفة... وخروج السفيناني...» ثم يتحدث الإمام عليه السلام عن علامات الظهور إلى أن يظهر الإمام المهدي عليه السلام.

فمن خلال النص الذي أوردناه يتبين أن حديث الإمام عليه السلام عن الأموات لا يقع إلا بعد تحقق العلامات بقرينة قوله عليه السلام: «ولذلك علامات». ثم إن الإمام يقول: «أموات يضربون هام الأحياء...»، وأنت تعلم أن الروح (وكما قدمناه) لا تموت، فكيف يصف الإمام الروح (إذا كانت الرجعة روحية) بأنها ميتة، لا بد أن يكون الوصف للأجساد، ولا يعقل أن يعود جسد ليسدد جسداً آخر، بل لا بد أن يعود بروحه التي كانت بين جنبيه.

٢ - ما قام به صاحب المقولة هو عملية تقطيع للحديث ودمجه من جديد ليناسب ما يراه، فهو نحو من أنحاء التدليس.

ما جاء في البحار ج ٥٣ ص ٣٩ - ١٤٤ الحديث ٤٦: (قال ابن الكوا لعلي عليه السلام: يا أمير المؤمنين، أ رأيت قولك العجب كل العجب ما بين

١. بحار الأنوار: ج ٥٣، ص ٨١، باب الرجعة الحديث ٨٦ عن منتخب البصائر وقفت على كتاب خطب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وعليه خط السيد رضي الدين علي بن موسى بن طاووس ما صورته...  
[هذا ما يعبر عنه بالوجدادة].





جمادي ورجب؟ قال عليه السلام: «ويحك يا أعور هو جمع أشتات، ونشر أموات...» إلخ الحديث.

فلاحظ كيف يقول: جمع أشتات ونشر أموات، والقرآن يقول: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَاهُمْ﴾ (الزلزلة: ٦)، وقد عرفت أن الحشر في القيامة جسماني روحاني.

وفي البحار<sup>(١)</sup> عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا آن قيام القائم مطر الناس جمادي الآخر وعشرة من رجب مطراً لم تر الخلائق مثله فنبت الله به لحوم المؤمنين وأبدانهم في قبورهم وكأني أنظر إليهم من قبل جهينة ينفضون شعورهم من التراب» وهو صريح في أن الراجعين هم نفس الأموات بأبدانهم.

وفي بحار الأنوار ج ٥٣، ص ٧٧ عن أبان بن تغلب وهو يسأل الإمام الصادق عليه السلام عن تفسير «العجب كل العجب...» فقال عليه السلام: «لقاء الأحياء بالأموات» فهو لقاء بينهم لا انتقال أرواح الأموات لهم.

#### القول الخامس:

يقول في ص ١٠٤ من كتابه (الرجعة الروحية): عن أبي حمزة الثمالي: قال سمعت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام يقول: «لو قد خرج قائم آل محمد عليه السلام نصره الله بالملائكة المسوّمين والمردفين المنزلين والكروبين، يكون جبرائيل أمامه وميكائيل عن يمينه وعن شماله الملائكة المقربون حذائه، أول من يتبعه محمد عليه السلام وعلي عليه السلام الثاني، ومعه سيف مخترط، يفتح الله له الروم والصين والترك والديلم والسند والهند وكابل شاه والخزر». يظهر أن أول من يتبع الإمام المهدي عليه السلام هو محمد عليه السلام والثاني هو علي عليه السلام، ولا يمكن أن نتصور في حال من الأحوال أن رسول الله عليه السلام أو الإمام علي عليه السلام يكونان تابعين للإمام المهدي عليه السلام وأن ذلك

١. بحار الأنوار: ج ٥٣، ص ٩٠-٩٤.



يكون بالرجعة المادية، فهذا لا يمكن قبوله مطلقاً ولكن الأولى والأصح أن يكون المقصود من أتباع محمد وعلي عليهما السلام للمهدي عليه السلام بالرجعة الروحية).

ويرد عليه:

١ - هذا الحديث ضعيف السننند بيوسف بن كليب فهو مجهول الحال وكذلك بالحسن بن علي، فلم يثبت لهما توثيق في علم الرجال.

٢ - أن هذا الحديث ينافي أحاديث كثيرة وصلت حد السنة القطعية بأن الرجعة جسمانية وما خالف السنة القطعية فليس بحجة.

٣ - نحن نؤمن بالرجعة وأنها لا بد أن تقع وأنها تقع قبل قيام الساعة وأن الرسول صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام والأئمة عليهم السلام يحكمون، ولكن كيف يحكمون؟ وما هي قوانين تلك الفترة؟ وما هو النظام السائد؟ فهذا ما لا يمكن القطع به، نعم، ممكن أن نحتمل بعض الوجوه والاحتمالات إلا أنها لا تعدو كونها احتمالات لا ترقى إلى اليقين ومنها:

أ - أنه يمكن اجتماعهم في زمن المهدي عليه السلام ولا يكونون من رعيته لعدم احتياجهم إلى إمام لعصمتهم.

ب - يمكن اجتماعهم كما حصل في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله حيث كان الرسول موجوداً وإمامة الإمام علي والحسن والحسين عليهم السلام قائمة بنص حديث الرسول صلى الله عليه وآله في يوم الدار، وحديث من كنت مولاه، وحديث الرسول صلى الله عليه وآله لفاطمة بنت أسد عندما سألت عن إمامها فقال لها صلى الله عليه وآله: «ابنك ابنك»، كما جاء في الكافي<sup>(١)</sup>.

ج - أن من المحتمل أن تكون إمامة الإمام المهدي عليه السلام على الناس وإمامة الإمام علي عليه السلام على الإمام المهدي عليه السلام خاصة وإمامة الرسول على الإمام علي عليه السلام، وهكذا.



٤ - لعل المقصود «أول من يتبعه» أي يتبعه في الخروج في الرجعة أي أول من يرجع بعد ظهوره وقيام دولته.

٥ - كلمة «الثاني» التي جاءت بعد علي توجب إجمال الحديث وبالتالي لاحجية له. ولعله يراد بها أن أول من يخرج بعدي - أي المهدي عليه السلام - هو الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والثاني في الخروج هو علي عليه السلام رجوع الجواب إلى الرابع والثالث.

### أحاديث ظاهرة في أن الرجعة جسمانية:

١ - عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام أن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كان يقول: «إن المدثر هو كائن عند الرجعة»، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين إحياء قبل القيامة ثم موت؟ فقال له عند ذلك: «نعم، والله لكفرة من الكفر بعد الرجعة أشد من كفرات قبلها»<sup>(١)</sup>.

٢ - عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۖ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ (النازعات: ٦ - ٧): «الراجفة الحسين بن علي عليه السلام، الرادفة: علي بن أبي طالب عليه السلام وهو أول من ينفض رأسه من التراب مع الحسين بن علي في خمسة وتسعين ألفاً...»<sup>(٢)</sup>.

٣ - عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال الحسين عليه السلام لأصحابه قبل أن يقتل... فابشروا فوالله لئن قتلونا فإننا نرد على نبينا، ثم أمكث ما شاء الله فأكون أول من تنشق عنه الأرض فأخرج خرقة توافق خرقة أمير المؤمنين وقيام قائمنا وحياء رسول الله صلى الله عليه وآله...»<sup>(٣)</sup>، وهي واضحة الدلالة على أن رجعتهم عليهم السلام جسمانية.

١. بحار الأنوار: ج ٥٣، ص ٤٢.

٢. بحار الأنوار: ج ٥٣، ص ١٠٦.

٣. الخرائج والجرائح لقطب الدين الراوندي: ج ٢، ص ٨٤٨.

أطروحة معاصرة حول رجعة النبي عيسى عليه السلام:

حاصل هذه الأطروحة كما يقول صاحبها في ص ١٣٧ من كتاب (الرجعة الروحية): (نعتقد أن هذه الأطروحة المعاصرة في مسألة رجعة عيسى بن مريم عليه السلام... فالصحيح أن عيسى بن مريم عليه السلام لم يقتل ولم يصلب... إلا أن ذلك لا يعني أنه حي وأنه ينزل في آخر الزمان من السماء بنفس ذلك الجسد الذي عاش فيه قبل أكثر من ألفي سنة، بل إنه مات عليه السلام ورفع الله روحه إلى السماء، أمّا بالنسبة إلى ما جاء في الأحاديث والروايات التي ذكرت نزوله في آخر الزمان من السماء في وقت خروج الإمام المهدي عليه السلام فإنه سيكون بحسب الرجعة الروحية، أي نزول روح عيسى بن مريم عليه السلام ورجوعها إلى هذه الحياة الدنيا تسدد شخصاً مؤمناً له شبه كبير بعيسى بن مريم من حيث الخلق والخلق).

ثم يقول في ص ١٥١: (وهنا لابد من القول بأن عيسى هو نفسه الحسين وهما نفسهما اليماني وزير المهدي عليه السلام الذي يكون مسدداً بروحيهما)، ثم يقول ص ١٥٠: (وجاء عنه عليه السلام أيضاً: «القحطاني بعد المهدي والذي بعثني بالحق ما هو دونه» يتّضح... أن القحطاني هو من يلي المهدي ويخلفه، والقحطاني كما دلّت عليه الأخبار هو اليماني، فإنّ القحطاني لقب من ألقابه). انتهى كلامه. ويرد عليه:

١ - أن هذا قول بالتناسخ وقد مر بطلانه - في القسم الأول من هذا البحث المنشور في العدد الثالث من مجلة الموعود - وهو بنفسه يرى كفر من يقول به، حيث قال في ص ٨٥ من كتاب (الرجعة الروحية): (وفي عيون أخبار الرضا عن الحسن بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون يوماً وعنده علي بن موسى الرضا عليه السلام... إلى أن قال: فقال المأمون يا أبا الحسن فما تقول في الرجعة؟

فقال الرضا عليه السلام: «إنها الحق وقد كانت في الأمم السالفة ونطق بها القرآن



وقد قال رسول الله ﷺ يكون في هذه الأمة كل ما كان في الأمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة»، وقال عليه السلام: «إذا خرج المهدي من ولدي، نزل عيسى بن مريم عليه السلام فصلّى خلفه...»، قال: فقال المأمون: يا أبا الحسن فما تقول في القائلين بالتناسخ؟ فقال الرضا عليه السلام: «من قال بالتناسخ فهو كافر بالله العظيم...»<sup>(١)</sup>.

وأنت تلاحظ عزيزي القارئ أن هذه الرواية مضافاً إلى أنها تبين حكم القائل بالتناسخ فإنها تثبت أن رجعة المسيح تكون بعد الظهور، ومن المعلوم أن خروج اليماني يكون قبل الظهور، وكذلك الإمام يقول: «نزل عيسى بن مريم» فسماه باسمه وشخصه واسم أمّه وأكد على علامة دالة عليه وهو نزوله من السماء، والمعروف أن اليماني ليس ابن مريم ولا ينزل من السماء. ٢ - أن الإمام الرضا عليه السلام يصرّح أن الرجعة حق، وقد كانت في الأمم السابقة ونطق بها القرآن ثم يقول عليه السلام: «وقد قال رسول الله ﷺ: يكون في هذه الأمة كل ما كان في الأمم السابقة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة» وهو صريح في أن ما وقع من رجعات جسمانية في الأمم السابقة سيقع في هذه الأمة حذو القذة بالقذة دون أدنى اختلاف.

٣ - أن ما ذكره من أخبار لا تتم دلالةً، فضلاً عن سنداً، فكيف تكون حجة في مخالفة سنة قطعية.

٤ - أن الروايات حدّدت مكان نزوله، فلو كان النازل هي روح النبي عيسى عليه السلام التي تسدّد اليماني، لما قالت الروايات: إن مكان نزوله هذا أو ذاك، بل تقول: إن روح عيسى عليه السلام تسدّد اليماني وزير المهدي؟! عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي تقاتل على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم عند طلوع الفجر ببيت المقدس، ينزل على المهدي

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام - الشيخ الصدوق: ج ١، ص ٢١٨.



فيقال له تقدم يا نبي الله فصلّ بنا، فيقول: إن هذه الأمة أمير بعضهم على بعض لكرامتهم على الله ﷻ»<sup>(١)</sup>.

### دابة الأرض الروحية:

يقول في ص ١٧٧: (أجمع المسلمون سنة وشيعة على خروج دابة الأرض في آخر الزمان... والآية صريحة في خروج دابة من الأرض في آخر الزمان تكلم الناس، إلا أنهم اختلفوا في تحديد المصداق... وقد يعتقد البعض أن خروج الدابة يتلاءم مع الفهم التقليدي للرجعة، كما يبدو ظاهراً إلا أننا بيننا وتحديثنا بما فيه الكفاية عن الرجعة، وقد أثبتنا أن الرجعة في آخر الزمان أي قبل قيام الإمام المهدي عليه السلام وأثنائه تكون روحية... وهكذا بالنسبة لدابة الأرض التي كانت أمير المؤمنين عليه السلام في آخر الزمان، ويكون المهدي في آخر الزمان مسدداً بروح جدّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام... إلا أن الصحيح أن خروج أمير المؤمنين سيكون على نحو الرجعة الروحية، أي رجوع روحه الطاهرة لتسديد المهدي عليه السلام وتأيينه، وبذلك يكون المهدي عليه السلام هو دابة الأرض خاصة...). انتهى كلامه.

### ويرد عليه:

١ - أن هذه الأطروحة مخالفة لنصوص القرآن الكريم، وما خالفه مردود، قال رسول الله ﷺ: «... فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه»<sup>(٢)</sup>، وإليك دليل مخالفة هذه الأطروحة للقرآن الكريم:  
قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (النمل: ٨٢).

فالآية دالة على أن الدابة تخرج من الأرض، وليست تنزل من السماء - كما

١. عقد الدرر: ج ١، ص ٢٩٣، وينظر السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشرطها للداني باب ١٠٩

ما جاء في نزول عيسى.

٢. الكافي: ج ١، ص ٦٩، وفي معناه أحاديث كثيرة.



هو معنى الرجعة الروحية -، ويفسر ذلك مجموعة من الروايات عن أهل البيت عليهم السلام، منها:

١ - عن أبي عبد الله عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «... فقال عليه السلام لا والله ما هو إلا له خاصة، وهو الدابة التي ذكر الله في كتابه: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٢]... ثم قال: عليه السلام: يا علي إذا كان آخر الزمان أخرجك الله في أحسن صورة ومعك ميسم تسم به أعداءك»<sup>(١)</sup>. فالرواية واضحة في أن:

أ - الدابة التي تخرج من الأرض هو الإمام علي عليه السلام.

ب - الدابة تخرج من الأرض وليست تنزل من السماء ولا أنها روح الإمام علي عليه السلام، بل قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا علي... أخرجك الله». وبذلك يثبت أن القول بأن الدابة نفسها لا تخرج من الأرض هو قول مخالف للقرآن ومردود.

٢ - أن هذا القول معارض بالروايات التي تؤكد على أن الدابة هي أمير المؤمنين عليه السلام بعينه وليست هي روح أمير المؤمنين عليه السلام التي سوف تسد اليماني، وأنه بنفسه يخرج من الأرض، وإليك مجموعة من الروايات تؤكد أن الرجعة لأمر المؤمنين عليهم السلام مادية وليست روحية فقط:

أ - الرواية التي ذكرناها آنفاً: «يا علي إذا كان آخر الزمان أخرجك الله...».

ب - وعن أبي الطفيل في حديث طويل محل الشاهد فيه<sup>(٢)</sup>:

فقلت: يا أمير المؤمنين قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢]، ما الدابة؟ قال عليه السلام: «يا أبا الطفيل اله»<sup>(٣)</sup> عن

١. بحار الأنوار: ج ٣٩، ص ٢٤٣، عن تفسير علي بن إبراهيم.

٢. بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٥٣ ص ٦٨ الحديث ٦٦.

٣. اله: أي ترك هذا ولا تسأل عنه.



هذا!! فقلت يا أمير المؤمنين أخبرني به جعلت فداك، قال عليه السلام: «هي دابة تأكل الطعام، وتمشي في الأسواق، وتنكح النساء»، فقلت يا أمير المؤمنين من هو؟ قال: «هو زر الأرض الذي تسكن الأرض به»، قلت يا أمير المؤمنين من هو؟ قال عليه السلام: «صديق هذه الأمة وفاروقها وربها وذو قرنيها». قلت يا أمير المؤمنين من هو؟ قال عليه السلام: «الذي قال الله تعالى: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ [هود: ١٧]، والذي ﴿عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣]، ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ [الزمر: ٣٣]، والذي ﴿صَدَّقَ بِهِ﴾ [الزمر: ٣٣]... قلت يا أمير المؤمنين فسمه لي، فقال عليه السلام: «قد سمّيته لك يا أبا الطفيل».

ج - عن أبي عبد الله عليه السلام (١) قال: «انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو نائم في المسجد قد جمع رملاً ووضع رأسه عليه... ثم قال: قم يا دابة الله! فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله، أيسمي بعضنا بعضاً بهذا الاسم؟ فقال عليه السلام: لا والله ما هو إلا له خاصة، وهو الدابة التي ذكر الله في كتابه: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢]» (٢).

د - روى نفس صاحب المقولة هذه الرواية في ص ١٧٨ عن أبي بصير قال: قال أبو جعفر عليه السلام «أي شيء يقول الناس في هذه الآية: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢] فقال: هو أمير المؤمنين عليه السلام».

ومعلوم أن لقب أمير المؤمنين خاص بالإمام علي عليه السلام، فعن أبي جعفر عليه السلام: «... يا فضيل لم يتسم بهذا الاسم غير علي إلا مفتر كذاب إلى يوم البأس...» (٣).

١. تفسير القمي - علي بن إبراهيم القمي: ج ٢، ص ١٣٠.

٢. في تفسير القمي: ج ٢، ص ١٣٠.

٣. الكافي: ج ٨، ص ٢٨٨.





وفي خبر آخر عن عمر بن زاهر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأله رجل عن القائم يسلم عليه بإمرة المؤمنين، قال: «لا، ذاك اسم سمى الله به أمير المؤمنين عليه السلام، لم يسم به أحد قبله، ولا يسمى به بعده إلا كافر...»<sup>(١)</sup>.

هـ - عن الأصبع بن نباتة، قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام وهو يأكل خبزاً وخبلاً وزيتاً، فقلت: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (النمل: ٨٢)، ما هذه الدابة؟ فقال عليه السلام: «دابة تأكل خبزاً وخبلاً وزيتاً»<sup>(٢)</sup>.

و - عن أبي جعفر عن أمير المؤمنين، قال: «في قول الله تعالى: ﴿رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢]، قال: هو أنا إذا خرجت أنا وشيعتي وخرج عثمان بن عفان وشيعته...»<sup>(٣)</sup>.

ي - عن أبي عبد الله عليه السلام<sup>(٤)</sup>: «قال رجل لعمار بن ياسر: يا أبا اليقضان آية في كتاب الله قد أفسدت قلبي وشككتني، قال عمار: وأي آية هي؟ قال: قول الله: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ﴾ (النمل: ٨٢)، فأبي دابة هي؟ قال عمار: والله ما أجلس ولا آكل ولا أشرب حتى أريتها، فجاء عمار مع الرجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يأكل تمرًا وزبداً، فقال له: يا أبا اليقضان هلم، فجلس عمار وأقبل يأكل فتعجب الرجل منه، فلما قام عمار قال له الرجل: سبحان الله يا أبا اليقضان حلفت أنك لا تأكل ولا تشرب ولا تجلس حتى ترينها؟! قال عمار: قد أريتها إن كنت تعقل».

فالقصود من الدابة في الآية الشريفة هو أمير المؤمنين عليه السلام الذي يرجع

١. الكافي - الشيخ الكليني: ج ١، ص ٤١٢.

٢. بحار الأنوار: ج ٣٩، ص ٢٤٤.

٣. البحار ج ٥٣ ص ٣٩.

٤. تفسير القمي: ج ٢، ص ١٣١.

بنفسه إلى الدنيا بمقتضى ما تقدم من روايات.

هذا تمام الكلام حول هذا القول (الرجعة الروحية) وقد تركنا بعض الأمور التي أوردها صاحب القول في كتابه إمّا لكفاية ما ذكرناه لردّها، أو لأنها لا تحتاج إلى رد لوضوح بطلانها.

وقد تبين أن مراد صاحب المقولة من الرجعة الروحية هو:

١ - إمّا التسديد والتأييد؛ وقلنا إنه يأتي بمعنى التقوية وإنه عام للجميع من المؤمنين وغير خاص بزمان أو مكان محددين، وحيث إن الرجعة خاصة بزمان ومكان معينين، فقد لزم بطلان هذا القول بهذا المعنى.

٢ - أو يكون مراده بالرجعة الروحية هي رجعة من قبيل الرجعة المتعارف عندنا (الرجعة المادية) سوى أنها تحصل في زمان ظهور الإمام المهدي عليه السلام أو قبله بقليل، ولكن قد تبين من خلال البحث أن صاحب المقولة لا يذهب إلى هذا المعنى بل يصر على كون الرجوع هو للروح فقط.

٣ - أو يكون مراده بالرجعة هو رجوع الدولة أو رجوع المبدأ، ولكن قد تبين من خلال البحث أن نفس صاحب المقولة ينقض على أصحاب هذا القول بعدم وجود دليل في الروايات يدل على ذلك فهي باطلة في نظره.

٤ - أو قد يكون مقصوده منها: أن هناك نوعين من الرجعة: رجعة في زمان الإمام المهدي عليه السلام وهي رجعة الأرواح، ورجعة بعد موت الإمام المهدي عليه السلام وهي رجعة الأبدان، ولكن قد تبين من خلال البحث أن صاحب المقولة أوّل جميع الروايات الواردة في الرجعة بالمعنى الأول دون الثاني، وبذلك يبطل كون هناك معنى ثانٍ لها لعدم الدليل.

على أنه لا يوجد أي دليل لا من القرآن الكريم ولا من السنة يدل على وجود هذا التفصيل في الرجعة.

## النتيجة:

انحصار الأمر بكون الرجعة - عند صاحب هذا القول - بمعنى التناسخ، وهو باطل كما بينّا ذلك.

من خلال التعاريف التي ذكرناها للرجعة تحصّل لنا أنها: من نوع المعاد الجسماني (الحشر الأصغر) وهو رجوع نفس البدن الأول بمشخصاته كما هو المعاد (الحشر الأكبر) أو قل: إنّ الرجعة هي كما عرّفها الشيخ المفيد رحمته الله: (أنّ الله يرد قوماً من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها...)، ولما علم أن هذا هو معناها دل ذلك أنه لا يجوز العدول عنه إلى معنى جديد.

الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام والتي تصرح بأنّ الرجعة هي جسمانية سواء ما كان منها عند قيام الدولة المهدوية أو بعدها، ومنها:

١ - ما رواه نفس صاحب مقولة الرجعة الروحية في كتابه ص ٥٧ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أول من تشق الأرض عنه إلى الدنيا الحسين بن علي عليه السلام». فلاحظ تصريح الرواية بقولها: «تشق الأرض»، ومعلوم أن الروح ليست في الأرض حتّى يقال: إنها تشير إلى الرجعة الروحية، بل الموجود في الأرض هو الجسد، والرواية صريحة في أنّ الرجعة وقعت عليه، فهي رجعة مادية جسمانية.

٢ - عن أبي جعفر عليه السلام قال: «... سألوني عن أموات متى يبعثون فيقاتلون الأحياء على الدين»<sup>(١)</sup>. فأنت تلاحظ أن الإمام عليه السلام يؤكّد على أنّ الذين يبعثون هم أنفسهم الأموات لا أرواحهم التي لا توصف بالموت.

٣ - ﴿يَوْمَ تَشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ [ق: ٤٤]، قال: «الرجعة»، وهي صريحة في تفسير الآية بأنّ الرجعة تحدث من خلال تشقق الأرض وخروج الناس<sup>(٢)</sup>.

١. بحار الأنوار: ج ٥٣، ص ٣٩.

٢. المصدر السابق.



٤ - قال ابن الكوا لأمر المؤمنين علي عليه السلام: يا أمير المؤمنين أرأيت قولك: العجب كل العجب ما بين جمادي ورجب؟ قال عليه السلام: «ويحك يا أعور، هو جمع أشتات، ونشر أموات»، وقد تقدم الحديث عن هذا الخبر سابقاً.  
٥ - عن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: «... لكفرة من الكفر بعد الرجعة أشد من كفرات قبلها» وتقدم مفصلاً أيضاً.

٦ - عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۖ تَتَّبِعَهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦-٧]: «الراجفة الحسين بن علي عليه السلام، والرادفة علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو أول من ينفض رأسه من التراب مع الحسين بن علي في خمسة وتسعين ألف» وتقدم أيضاً.

٧ - عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال الحسين عليه السلام لأصحابه قبل أن يقتل... فأبشروا، فوالله لئن قتلونا فإنا نرد على نبينا، ثم أمكث ما شاء الله فأكون أول من تنشق عنه الأرض فأخرج خرجة توافق خرجة أمير المؤمنين وقيام قائمنا وحياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» وقد تقدم أيضاً.

وهناك العشرات من الروايات من أَرادها فعليه الرجوع إلى بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٣٨ - ١٤٤.

#### بعض تناقضات المؤلف:

١ - يقول في ص ١٠٤: (وأن روح الإمام علي عليه السلام تكون مسددة ومؤيدة لوزير المهدي عليه السلام)، ولكنه يرجع وينقض قوله في ص ١٨٥ حيث يقول: (أي أن دابة الأرض هي المهدي المسدد بروح الإمام علي عليه السلام)، ويقول في ص ١٨٦: (وهو المهدي الذي يكون مسدداً ومؤيداً بروح جدّه أمير المؤمنين عليه السلام)، ويقول في ص ١٧٩: (وهكذا بالنسبة لدابة الأرض التي كانت أمير المؤمنين عليه السلام في آخر الزمان ويكون المهدي في آخر الزمان مسدداً بروح جدّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام).



فهل هو مسدد للمهدي أم لوزير المهدي، وهل دابة الأرض هي أمير المؤمنين أم هي المهدي المسدد بأمر المؤمنين، كل هذا لا شاهد عليه من الروايات والأخذ به مع عدم الشاهد يوقعنا في التناقض، إذ مع تسديد معصوم معين لشخصٍ فما الحاجة لتسديد معصوم آخر له مرة أخرى.

٢ - يقول في ص ٩٥: (ولكن من خلال هذا البحث سوف نقوم بتقديم الأدلة التي تثبت وجود رجعة روحية)، ويقول في ص ١٠٩: (ثبت أن رجعة الأنبياء ﷺ روحية)، ويقول في ص ١٧٩: (وقد أثبتنا أن الرجعة في آخر الزمان... تكون رجعة روحية)، ولكنه يرجع وينقض هذا القول بقوله في ص ١٢٩: (علماً أن هذه الأطروحات تبقى في مجال الاحتمالات وليست على سبيل الجزم والقطع)، فأى تناقض هذا يقع فيه المسدد المؤيد.

نقول قولنا هذا ونستغفر الله ونستعيد به من الفتن ما ظهر منها وما بطن. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين .



**ALMAUOOD**

[www.m-mahdi.com/almauood](http://www.m-mahdi.com/almauood)

[almauood@m-mahdi.com](mailto:almauood@m-mahdi.com)

## تحديات الغزو الثقافي لمجتمع (المنتظرين)

### في زمان الغيبة الكبرى

أ.م.د. وسام حسين جاسم العبيدي

تكمن إشكالية الخوض في موضوع الإمام المهدي عليه السلام في هذا الوقت بالذات في عدّة أسباب لم تغب عن أذهان كثير من الباحثين الذين تصدّوا لهذا الموضوع تحديداً، وفي النظر إلى تلك الأسباب بإجمال، نجدها تنقسم إلى نوعين:

الأول: إشكاليات داخلية: أي تلك الإشكاليات النابعة من صميم المآثور الإسلامي، فالمصلح المنتظر الذي يؤمن به المسلمون غير الإماميين عادة، وهو رجل يُلقَّب بالمهدي، يوكد في زمانه فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً<sup>(١)</sup>، فضلاً عن إجماع علماء المذاهب، المخالف لصريح أحاديث الإمام المهدي عليه السلام الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام بكونه - أي الإمام المهدي عليه السلام - من نسل الإمام الحسن عليه السلام وليس من ذرية الإمام الحسين عليه السلام، وهذا الاعتقاد (من فرعيات العقيدة الإسلامية، وظهور المهدي إحدى العلامات الممهّدة لأشراط الساعة الكبرى)<sup>(٢)</sup>. وهذا بحدّ ذاته يقف حائلاً لتوحيد الجهود الفكرية التي تتصل بالجانب العقدي، سواء أكان بشكل مباشر أو غير مباشر، على الرغم

١. تاريخ ما بعد الظهور، محمد الصدر: ١٠.

٢. العرف الوردية في أخبار المهدي، تحقيق: موسى إسماعيل البسيط: ١٢ (مقدمة المحقق)، وينقل محقق الكتاب في الصفحة نفسها قول الاسفراييني: (فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرّر عند أهل العلم ومدوّن في عقائد أهل السنة والجماعة).





من كونه لا يختلف عن أصل الفكرة، وهو وجود مهدي يكون على يديه تحقيق العدل الإلهي يخرج في آخر الزمان.

الآخر: إشكاليات خارجية: وهي تلك الإشكاليات النابعة من رحم الفكر غير الإسلامي، وهي على نوعين:

الأول: إشكاليات من أصحاب الأديان السماوية الأخرى الذين لا يلتزمون بمنظومة الدين الإسلامي العقديّة والفكرية، فهم بالنتيجة أحرار في رسم تطلّعات وأفكار تنسجم وانتفاءهم الفكري المختلف عن الدين الإسلامي.

الآخر: إشكاليات من أصحاب الفكر اللاديني، وهؤلاء أكثر تشعباً في توجهاتهم الفكرية ممّن استعرضناهم آنفاً؛ لكونهم لا يحتكمون في اجتراح تلك الرؤى والأفكار إلى دين - سماوي أو وضعي - وهذا ما يجعلهم يتحرّرون من غلالة الدين التي يفرضها على أتباعها بمقتضى طبيعته التي لا تقبل أن يتدخّل الإنسان في صياغة مفاهيمه، بل هي مفاهيم علويّة تُوجب على معتنقيها التسليم بها.

وينطلق هؤلاء (المنكرون للإمام المهدي المنتظر ﷺ) من دوافع ومنطلقات لا تنسجم مع منهج الإسلام العام في طرح العقائد والدعوة إلى الإيمان بها، فمنهج الإسلام الذي يعتمد المنطق والفطرة، يقوم في جانب مهم منه على ضرورة الإيمان بالغيب، وقد تكررت الدعوة في القرآن الكريم إلى ذلك، إذ هناك عشرات الآيات التي تتحدث عن الغيب والدعوة إلى الإيمان به<sup>(١)</sup>.

إنّ ما ذكرناه آنفاً يُشكّل تحدياً واضحاً لمجتمع المنتظرين، فضلاً عما لو أضفنا إلى ذلك تحدياً آخر يتمثّل بابهية الانتظار، كونه مفهوماً له دلالة قرارة في الذهن، لا تخرج عن السكونية وعدم الحراك، بما يُقابل دلالة الحراك، ومقتضى ذلك أن يكون أتباع ذلك المفهوم لا دور لهم في زمان الغيبة، فقط

١. بحث حول المهدي ﷺ، مقدمة المحقق عبد الجبار شرارة: ٤.





أن ينتظروا خروج المهدي عليه السلام؛ ليكونوا بعدها - من دون أي مقدمات - جنوداً يقاتلون بين يديه، ويستعين بهم في استكمال وظيفته الإصلاحية الشاملة لكل بلدان العالم...!

هكذا يعتقد الكثير من بسطاء التفكير من المسلمين بعامة أو من أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام بخاصة. ولذلك ستتحرك في هذا البحث عبر محاور نراها جديرة بالوقوف عندها، وهي:

- مفهوم الانتظار في ميزان العقل والشريعة.

- مفهوم الغزو الثقافي.

- أبرز تحديات الغزو الثقافي.

وإذا كان لكل بحث ناجح منهجية علمية تضمن سلامة وصول الباحث إلى برّ النتيجة الأكثر قرباً إلى الصواب، يمكن أن تتغيّر بحسب المقدمات التي يضعها الباحث، إشاراً للـ(أنا) التي تُصوغ هويّته في هذا الوجود، فأرى أنّ العقل خير دليل على قبول ما سنطرحه هنا من آراء استند بعضها على أدلّة من العقل تارة ومن النقل تارة أخرى؛ لاعتماد الموضوع الذي نبحث في جنباته في جانب كبير منه على ما وردنا من أخبار وروايات وردت عن النبي المصطفى وآله الطيبين الطاهرين.

مفهوم الانتظار في ميزان العقل والشريعة:

قامت جميع الأديان السماوية على دعوة الناس لعبادة الله تعالى، ولكن هذا يختلف فيه. وعلى مبدأ العقاب والثواب، ذلك المبدأ الذي يتحقق عبر انتظار المؤمنين بتلك الدعوة، لعالم يبدأ بعد أن يرحل الإنسان من عالم المادة، فيُثاب الإنسان على ما قدّمه من أعمال حسنة، بعضها من الواجبات التي جاءت في ضمن ذلك الخطاب الإلهي عبر مُبلّغيه من الرُّسل والأنبياء، وبعضها مندوبٌ،



وبخلاف ذلك يكون العقاب؛ ولذلك نجد من لا يؤمن بالله - من الطبيعي - أن لا يؤمن باليوم الآخر، ولا يخاف مما يترتب على معصيته من عقاب أعدّه الله له في اليوم الآخر.

وقد حفل النصّ القرآني بذكر مفهوم الانتظار، بذكر تقليباته اللغوية المباشرة له، مثل قوله تعالى: ﴿قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٨)، وقوله: ﴿وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ (هود: ١٢٢)، وقوله: ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَأَنْتَظِرُ إِيَّاهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾ (السجدة: ٣٠)، وحين نتأمل السياق الذي وردت فيه هذه الآيات، نجد أنها أتت في سياق تشكيك الكفار بصدق دعوى الأنبياء ﷺ وما تحمله من بشرى للمؤمنين بها وعقاب للمخالفين المنابذين لها، فالآية الأولى - على سبيل المثال - تقول: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيَّاهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾، ويكون معنى الآية بحسب ما ذكره الرازي: (معنى ينظرون: ينتظرون وهل: استفهام معناه النفي، وتقدير الآية: أنهم لا يؤمنون بك إلا إذا جاءهم أحد هذه الأمور الثلاثة، وهي مجيء الملائكة أو مجيء الرب أو مجيء الآيات القاهرة من الرب)<sup>(١)</sup>.

نخلص من ذلك أن الانتظار هو ما يكشف هوية المؤمن الحقيقي وصدق ادّعاءه الإيمان بتلك الرسالة، ومقتضى ذلك أن تشكّل صورة المؤمن بقضاء الله تعالى وقدره، وغير ذلك من الابتلاءات التي تقع عليه، فيحتسبها عند الله تعالى؛ طمعاً بالأجر الجزيل الذي أعدّه الله تعالى له ثواباً لما صبر عليه في دار الدنيا، في الوقت الذي كان بإمكانه أن يحقق رغباته غير المشروعة، لكن خوفه من طائلة العقوبة الأخروية كان رادعاً له عمّا نهاه الله تعالى عنه، فانتظر زوال تلك الغمّة عنه مترقباً الأفضل مقاماً عند خالقه.

١. مفاتيح الغيب: ١٤ / ١٨٨.



وبهذا يكون الانتظار قيمة أخلاقية عليا تداخلت فيها أخلاقيات عالية مثل الصبر الذي يكشف معدن الإنسان المؤمن برسالة السماء؛ ولذلك كان جزاؤهم عند الله أكبر من أن يُحدّد، بحسب قوله تعالى مخاطباً نبيّه المصطفى ﷺ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠).

والملاحظ أنّ الحكمة الإلهية اقتضت أن يكون خيار خلق الله من الأنبياء والمرسلين والأوصياء ممّن صبر على ابتلائه، ونجح بذلك الاختبار، وكما قلنا: إنّ الانتظار لتلك الكرامة الإلهية لا يتحقّق إلاّ بالامتنال لأمر الله تعالى في الصبر احتساباً للأجر والثواب عنده، وبخلاف ذلك تجرد من لم يؤمن بالله وعظيم جزائه في الآخرة، ممّن شكّك بقدرته قد خرج عن دائرة التوحيد إلى ظلام الكفر، فاستساغ كلّ عملٍ يرضي رغباته حتّى وإن كان فيه معصية للخالق؛ لأنّه أساساً يُنكر ما سترتب على مخالفته تلك، وقد صوّر لنا قوله تعالى هذا المعنى عبر آيات كثيرة في كتابه الكريم، حسبنا قوله الكريم: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمَنْ وَرِثَهُمْ يَبْرَزْخُ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ (المؤمنون: ٩٩-١٠٤).

هذا لأنّهم لم يؤمنوا بما وراء المادة من إليه قادرٍ على كلّ شيء، وهو الأساس الذي تقوم عليه فعاليات المؤمن الأخلاقية من صبرٍ وانتظارٍ ليومٍ تُجازى فيه كل نفسٍ ما كسبت، فإذا انتقض الأساس فمن الطبيعي أن تتفني كلّ تلك المنظومة الأخلاقية التي أرادها الله سبحانه وتعالى وسيلةً لرقّيّ البشر مدارج الكمال والوصول إلى مُطلق السعادة في دار القرار.

ومن المعاني التي وردت في النص القرآني للانتظار بمفردات لغوية من غير المادة اللغوية المباشرة لذلك المفهوم، هو (الإمهال)<sup>(١)</sup> و(التربص)<sup>(٢)</sup> و(الإرصاد)<sup>(٣)</sup> و(الارتقاب)<sup>(٤)</sup>، و(الصبر)<sup>(٥)</sup> على نحو ما أورده الماوردي في تفسيره<sup>(٦)</sup>، فضلاً عن استعمالات كناية دلت على الانتظار، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هُوَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهُا مِنْ فَوَاقٍ﴾ (ص: ١٥)، أو قوله تعالى على لسان نبيه موسى عليه السلام مؤنباً قومه الذين خالفوا عهده بعبادة العجل: ﴿أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ (الأعراف: ١٥٠)، حيث ورد في تفسيرها (والأمر: انتظار موسى عليه السلام حافظين لعهد)<sup>(٧)</sup>.

ومن يتأمل غير ذلك من آيات قرآنية لامست معانيها دلالة الانتظار، نجد ذلك المفهوم ينطوي على بُعدين<sup>(٨)</sup>:

#### الأول: بعد سلبي:

وهو الانتظار الذي يؤدي في مآله إلى نتائج وخيمة تقف بالضد من المصلحة الإلهية العليا، مثل طلب إبليس أن يُنظرَ في عقوبته إلى يوم يُبعثون (يوم القيامة)، لأجل أن يُتاح له أكثر وقتٍ يقوم فيه بإضلال الناس وإبعادهم عن طريق الحق المتمثل بعبادة الله الواحد القهار، وهذا المعنى أعرب عنه قوله تعالى: ﴿قَالَ

١. قوله تعالى: ﴿فَمَهَّلِ الْكَافِرِينَ أَمَّهُلُهُمْ زُويِدَا﴾ (الطارق: ١٧).

٢. ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣٠١.

٣. ينظر: تفسير الماوردي: ٢ / ٤٠١؛ ومفاتيح الغيب، الرازي: ١٦: ١٤٦.

٤. ﴿فَازْتَقَبْ مِنْهُمْ مُرْتَبُونَ﴾ (الدخان: ٥٩).

٥. ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ (المعارج: ٥).

٦. ينظر: النكت والعيون: ٦ / ٩١.

٧. التفسير الأصفي - الفيض الكاشاني: ١ / ٤٥٤.

٨. للأمانة، حين قمت بهذا التقسيم لم أرجع إلى من سبقني، فوجدت فيما بعد أن الشيخ مطهري، كان

له تقسيم مقارب له بعنوان: انتظار مثمر، وانتظار محرم. ينظر: نهضة المهدي: ١٠ - ١١.



رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ (الحجر: ٣٦-٤٢).

والإنظار والإمهال والتأخير والتأجيل نظائر في اللغة<sup>(١)</sup>، وفي هذه الآيات توقّف كثيرٌ من المفسّرين لتجلية المراد من مقصوده تعالى بإنظار إبليس إلى يوم الوقت المعلوم<sup>(٢)</sup>، وقد أشارت عدّة من روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام إلى أنّ (الوقت المعلوم) هو يوم خروج الإمام المهدي عليه السلام في آخر الزمان، وسيكون على يديه معاقبة أعظم موجات الانحراف والإفساد في شرق الأرض ومغربها، ومن تلك الروايات ما نُقل عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: «لا دين لمن لا ورع له، ولا إيمان لمن لا تقيّة له، إنّ أكرمكم عند الله أعمالكم بالتقيّة». فقيل له: يا بن رسول الله، إلى متى؟ قال: «إلى يوم الوقت المعلوم، وهو يوم خروج قائمنا أهل البيت، فمن ترك التقيّة قبل خروج قائمنا فليس منا»<sup>(٣)</sup>، ومعلوم أنّ العمل بالتقيّة لأجل الحفاظ على مذهب أئمة أهل البيت عليهم السلام بوصفهم الممثل الحقيقي للثقل الأصغر الذي أوصى به النبي الخاتم صلى الله عليه وآله أمته في آخر أيّامه الشريفة، إذ يُشكّل الالتزام بالقرآن (الثقل الأكبر) وبأئمة أهل البيت

١. ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢ / ٥٢٤.

٢. فقال قوم: هو يوم القيامة، أنظره الله في رفع العذاب عنه إلى يوم القيامة، وفي التقيّة إلى آخر أحوال التكليف (ويوم يبعثون) يوم القيامة. وقد قيل: إن يوم الوقت المعلوم هو آخر أيام التكليف، وأنه سأل الإنظار إلى يوم القيامة، لأن لا يموت، إذ يوم القيامة لا يموت فيه أحد، فلم يجبه الله إلى ذلك. وقيل له: (إلى يوم الوقت المعلوم) الذي هو آخر أيام التكليف. وقال البلخي: أراد بذلك إلى يوم الوقت المعلوم، الذي قدره الله أجله فيه، وهو معلوم، لأنه لا يجوز أن يقول تعالى لكلف إني أبقىك إلى يوم معين لأن في ذلك إغراء له بالقيح. التبيان في تفسير القرآن، للطوسي: ٦ / ٣٣٠.

٣. مشكاة الأنوار: ٣١، وينظر: مسند الإمام الرضا عليه السلام - الشيخ عزيز الله عطاردي: ١ / ٤٢٨.

المعصومين عليه السلام الوجه المشرق للدين الإسلامي؛ فكانت التقيّة وسيلة لدرء ما  
يعتور هذا الخطّ الرسالي من محاولات استئصالٍ من قبل أتباع إبليس وجنوده  
من الجنّ والإنس.

ومن أمثلة الانتظار السلبي، ما نقله القرآن لنا من قول الفاسقين من  
أتباع نبيّ الله موسى عليه السلام حين توجه بهم إلى القتال، فاعترضوا عليه بعدم  
امثالهم لذلك الأمر، وأنهم سيتظرونه في حال رجوعه لهم، بذريعة يستسيغها  
كلّ من رضي الخنوع والاستسلام، وهي أنّ الله قادر على نصر نبيّه موسى عليه السلام؛  
فليذهب مع ربّه فيقاتل أولئك القوم، وذلك ما تجلّى في قوله سبحانه: ﴿قَالُوا  
يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا  
هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ  
الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ (المائدة: ٢٤-٢٥).

يتضح بما لا يقبل الشكّ أنّ هذا المنطق التواكلي مذمومٌ بحسب ظاهر  
السياق القرآني؛ لأنّه يُترجم عدم الإيمان الحقيقي برسالة النبيّ موسى عليه السلام  
الذي كلّفهم بذلك التوجّه، والإيمان ليس ادّعاءً باللسان وإنما عملٌ بالجوارح،  
وتضحية بكلّ ما يملكه المؤمن في سبيل الله تعالى الذي ربط كلّ شيءٍ في الكون  
بمُسبّباته، فلا نصرَ إلاّ بتهيئة مقدّماته الموضوعية.

ويحكي لنا تاريخ سيرة النبيّ الخاتم صلّى الله عليه وآله وبعض صحابته المنتجبين موقفاً  
بالضدّ من موقف موسى عليه السلام وأتباعه من بني إسرائيل، وذلك حين كان  
المسلمون قرب بدر، وعرفوا بجمع قريش ومجيئها، خافوا وجزعوا من ذلك،  
فاستشار النبيّ صلّى الله عليه وآله أصحابه في الحرب، أو طلب العير. فقام أبو بكر، فقال:  
يا رسول الله، إنها قريش وخيلاًؤها، ما آمنت منذ كفرت، وما ذلّت منذ  
عزّت، ولم تخرج على هيئة الحرب. فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: «اجلس»، فجلس،  
فقال صلّى الله عليه وآله: «أشيروا عليّ». فقام عمر، فقال مثل مقالة أبي بكر. فأمره النبيّ صلّى الله عليه وآله



بالجلوس، فجلس. ثم قام المقداد فقال: يا رسول الله، إنها قريش وخيلاؤها، وقد آمنَّا بك وصدقناك، وشهدنا أنَّ ما جئت به حقٌّ من عند الله، والله لو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا، وشوك الهراس لخضناه معك، ولا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكننا نقول: اذهب أنت وربك، فقاتلا، إنا معكم مقاتلون. والله لنقاتلنَّ عن يمينك وشمالك، ومن بين يديك، ولو خُضت بحراً خُضناه معك، ولو ذهبت بنا برك الغماد لتبعناك. فأشرق وجه النبي ﷺ، ودعاه، وسرَّ لذلك<sup>(١)</sup>.

#### الآخر: بعد إيجابي:

وهو ما يرجوه المؤمن أو ما يريده الله تعالى في خاصّة عباده، حين يقدمون ما عليهم من تكليفٍ أنيطَ بهم، فينتظرون حينها الجزاء الأوفى منه سبحانه، وهذا ما أشار إليه سبحانه في قوله الكريم: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٢٣)، وهؤلاء - وفق المنظور الإلهي - هم الرجال من المؤمنين، ولأنهم كانوا صادقين في إيمانهم، كانت الثمرة بما قدموه من جليل الأعمال وأرضاها عند الله تعالى، فأقبلوا عليه، ومن لم يأته أجله، كان ينتظر ذلك الأجل بفاغ الصبر شوقاً إليه. وكذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يونس: ٨٩)، يكشف عن أن الاستقامة مستوى عالٍ من الإيمان يتحقق فيه رضا الله تعالى، ويكون بعدها مثالاً للإنسان الخليفة الذي أراد له سبحانه عمارة الأرض وجعلها محلاً لطاعته.

١. ينظر: الصحيح من السيرة، جعفر مرتضى العاملي: ٢١ - ٢٢.

وقد نظر القشيري (ت ٤٦٥ هـ) إلى معنى الاستقامة في الدعاء بوصفه سلوكاً أخلاقياً لا يتحقق إلا باجتماع الصبر الذي يُفضي إلى انتظار جزاء العمل، فقال بأنه (ترك الاستعجال في حصول المقصود، ولا يسقط الاستعجال من القلب إلا بوجودان السكينة فيه، ولا تكون تلك السكينة إلا بحسن الرضا بجميع ما يبدو من الغيب، ويقال: ينبغي للعبد أن يستقل بالله تعالى ما أمكنه، فعند هذا يقلّ دعاؤه. ثم إذا دعاه بإشارة من الغيب - في جوازه - فالواجب ألا يستعجل، وأن يكون ساكن الجأش. ويقال: من شرط الدعاء صدق الافتقار في الابتداء، ثم حسن الانتظار في الانتهاء)<sup>(١)</sup>.

كذلك فيما ورد عن قوله تعالى حكاية على لسان نبيه يعقوب عليه السلام لأبنائه:

﴿وَلَا تَيَأْسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ (يوسف: ٨٧)، أن روح الله ليس إلا انتظار الفرج.

وانتظار الفرج على وجهين:

أحدهما قريب، والآخر بعيد.

فالقريب في السر فيما بين العبد وربّه، والبعيد في الخلق فينظر إلى البعيد فيحجب عن القريب<sup>(٢)</sup>.

وقد استدللّ الفيلسوف الشيخ مطهري من الآية أنفة الذكر على أن مبدأ انتظار الفرج بوصفه واجباً عقدياً يتصل بحرمة اليأس من روح الله؛ لأنه يرى هذا المفهوم (من المفاهيم الإسلامية الشاملة التي لا تختصّ بفرديّ معيّن أو جماعة محدّدة، فهو يحمل البشائر للبشرية بأجمعها، ويحمل معه أيضاً صفات محدّدة لهذه البشائر)<sup>(٣)</sup>.

كذلك في قوله تعالى: ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (النساء: ٣٢)، ورد في تفسيرها

١. لطائف الإشارات: ٢ / ١١٣.

٢. تفسير التستري: ٨٣.

٣. نهضة المهدي عليه السلام في ضوء فلسفة التاريخ، مرتضى مطهري: ١٠.



عن رسول الله ﷺ أنه قال: «سَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ، وَإِنَّ أَفْضَلَ الْعِبَادَةِ أَنْتَظَارُ الْفَرْجِ»<sup>(١)</sup>.

بعد هذا العرض، يتبين لنا أهمية الانتظار بوصفه سلوكاً محموداً عند الله سبحانه، ومعلومٌ أنّ حكمة الله اقتضت أن يتحقق الصلاح للفرد والمجتمع في كلّ ما أمر به سبحانه من واجبات ومندوبات. والانتظار بهذا المعنى يتجلى في امتثال المؤمن برسالة السماء، حين يرى بعين عقله أنّه مكلفٌ بأداء ما فرضه الله عليه، فيؤدّي طاعته إليه سبحانه، وفي الوقت نفسه ينتظر ما وعده الله به من مقام كريم ثواباً على حسن طاعته، كما أخبر تعالى بذلك في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾<sup>(٣١)</sup> أُولَئِكَ هُم جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿٣٠﴾ (الكهف: ٣٠-٣١)، وهذا الجزاء لم يتحقق لو لم يكن العبد منتظراً له وقدم بين يديه من عملٍ يستحقُّ بموجبه ذلك الجزاء الحسن.

إذن فالانتظار الإيجابي، لا يكون إلا حين تتحقق مقدماته الطيبة أثراً، والصالحة في مفعولها على الفرد والمجتمع، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن في عصر الغيبة، حين ينتظر الفرج ويضع مقدمات ذلك الانتظار، فالفرج أمرٌ لا يخرج عن سنن الله الحكيمة، تلك السنن التي تشهد بعظمة صنعه، ودقّة إحكامه عوالم الدنيا والآخرة، هذا المعنى ورد ذكره في كتاب الله الحكيم، حين يعرض صفة أولئك المؤمنين الذين اعترفوا بعبوديتهم إزاء الخالق العظيم، فراحوا يتفكّرون في خلق السماوات والأرض، وعلى أساس ذلك التفكّر، انطلقت دعواتهم صادقةً بأن يرزقهم الله ثواب المؤمنين بالفوز في دار القرار، وأن يكفيهم شرّ النار التي أعدّها الله للظالمين من خلقه، عقوبةً لما اقترفوه من موبقات وجرائر، وذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا

١. المعجم الأوسط، للطبراني: ٥ / ٢٣٠.



وَقُعوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ  
هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ  
وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعنا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ  
فَأَمَّا رَبَّنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا  
مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ  
لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ  
فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ  
عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ  
عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿آل عمران: ١٩١-١٩٥﴾.

هذا المقطع القرآني، يكشف بوضوح عظيم أجر المؤمنين الذين قدّموا بين  
يديهم من عملٍ يُجَازُونَ به، فالانتظار هنا يمثل نتيجة طبيعية لتلقي الجزء  
المناسب للعمل، فهو السبيل المشروع للوصول إلى رضا الله سبحانه؛ ولذلك  
كان أفضل العبادة كما ورد في الأحاديث؛ لأنّ العبادة كلّها - كما بينا قبل قليل  
- تقوم على مبدأ الاعتقاد بوجود عالمٍ يُثاب فيه المرء على حُسن عمله ويُعاقب  
المسيء لانحرافه عمّا رسمه الله بحكمته، من مخطّط يسير بالإنسان إلى تكامله  
من دون معرقات.

وإذا كان الانتظار سمة المؤمنين بوعد الله تعالى، وبانتفائه عند آخرين يمثل  
كاشفاً سلوكياً لعدم إيمانهم بالله، وما يترتب على ذلك الإيمان من اتّجاه  
سلوكي نحو الصلاح والإصلاح وعمل الخير، طلباً لوجه الله الكريم وانتظار  
حسن جزائه، فمن الطبيعي أن يكون لانتظار المهدي الموعود ﷺ أهمية بالغة  
الشأن في صميم العقيدة الإسلامية؛ لكونه الذي يُحقّق حلم الأنبياء والمرسلين ﷺ  
يارساء دولة العدل الإلهية، تلك الدولة التي تنشر الخير والبرّ بين الناس، وترفع  
الظلم عن المهتمّشين في بقاع العالم، وهذه الغاية التي يأمل المصلحون تحقيقها؛



إذ إنها تمثل صُلب تكليفهم، ونُصب أعينهم، وليس من دعوة نبوية في مشارق الأرض ومغاربها إلا وكانت تصبّ في هذه الغاية، فمن الواجب عقلاً وشرعاً أن يتطلّع المؤمنون بوعد الله سبحانه إلى ذلك اليوم، ويذلوا كلّ جهودهم لأجل التمهيد لذلك اليوم، بدءاً بأنفسهم وانتهاءً إلى الآخرين، أفراداً ومؤسسات.

وعلى أساس ما عرضناه يتبيّن لنا خطأ الصورة التي يستعرضها كثير من المستشرقين حين يقفون على مفهوم الانتظار، بأنه (حالة من الترقّب السلبي وعقيدة أمل وثقة بأنّ الإمام الغائب سيظهر يوماً ليملاً الدنيا عدلاً، ويُقيم المجتمع الإسلامي المثالي الذي يُؤمن الإمامية أنّه لم يوجد إلا في خلافة علي بن أبي طالب الوجيزة)<sup>(١)</sup>. وهي النظرة التي يُريد الحاقدون من مفكري الغرب تنميطها وبثها في مجتمعاتهم؛ لكونها صورة تبث السخرية والازدراء من هكذا عقلية متواكلة لا تقوم بفعلٍ إيجابي، يُسهم في تغيير الواقع المؤلم الذي يعيشون تحت وطأة ظروفه، وليبقى ظلم تلك الدول الاستكبارية باقياً على دول الشرق الإسلامية من دون أن تحرك تلك الدول ساكناً لرفع ذلك الظلم! وقد تظافرت الأحاديث النبوية التي أخبرتنا عن ذلك المهدي في آخر الزمان، وما سيتحقّق فيه من عدلٍ يتمنى المعاصرون له أن يعيش الأموات فيه تشوقاً إليه، فعن أبي سعيد الخدريّ، قال: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ) بَلَاءً يُصِيبُ هَذِهِ الْأُمَّةَ، حَتَّى لَا يَجِدَ الرَّجُلُ مَلْجَأً يَلْجَأُ إِلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ رُجُلًا مِنْ عِثْرَتِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَيَمْلَأُ بِهِ الْأَرْضَ قِسْطًا، كَمَا مِلَّتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا، يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ، وَسَاكِنُ الْأَرْضِ، لَا تَدْعُ السَّمَاءُ مِنْ قَطْرِهَا شَيْئًا إِلَّا صَبَّتْهُ مِدْرَارًا، وَلَا تَدْعُ الْأَرْضُ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا إِلَّا أَخْرَجَتْهُ، حَتَّى تَتَمَنَّى الْأَحْيَاءُ الْأَمْوَاتَ، يَعِيشُ فِي ذَلِكَ سَبْعَ سِنِينَ أَوْ ثَمَانٍ أَوْ تِسْعَ سِنِينَ»<sup>(٢)</sup>.

١. التشيع والتحول في العصر الصفوي - كولن تيرنز: ٣١٧.

٢. جامع معمر بن راشد: ١١ / ٣٧١.



وهو حديث من بين مئات الأحاديث التي ذكرها الرسول ﷺ وأئمة أهل البيت عليه السلام الذين أفاضوا بذكر أخباره وأوصافه وأحوال ما قبل ظهوره وما بعدها. وفي كثيرٍ منها اشتياق أئمة أهل البيت عليه السلام إلى أن يعاصروا دولته، ويعيشوا أجواء العدل والصلاح، على الرغم من قيامهم بتكليفهم المناط بهم بإرشاد الناس إلى ما فيه خير الدارين، إلا أن جور السلطات الحاكمة في زمانهم كان معرقلاً رئيساً حدّ من نشاطهم الإيماني الهادف إلى تحقيق تلك المصالح الإلهية العُلَيَا؛ فلذلك نجد أن إماماً عظيماً كالصادق جعفر بن محمد عليه السلام قام ما قام به من جليل دورٍ في حياته بإحياء حلقات العلم والفقهِ، حتّى أنّ المذهب الإمامي تسمّى به، إلا أنّه يحنّ إلى ذلك اليوم الموعود وإلى صاحبه الذي سيرفع الظلم ويُبطل الجور بين الخافقين، بما أودعه الله فيه من قُوّة، فضلاً عن الخطوات التمهيدية التي وطّدت لظهوره في ذلك العصر، فعن سدير الصير في قال: دخلت أنا والمفضّل بن عمر وأبو بصير وأبان بن تغلب على مولانا أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام فرأيناه جالساً على التراب وهو يكي بكاءً شديداً ويقول: «سيدي غيبتك نفت رقادِي وسلبت مني راحة فؤادي»، قال سدير: تصدّعت قلوبنا جزعاً، فقلنا: لا أبكي الله يا بن خير الورى عينيك، فزفر زفرة انتفخ منها جوفه، فقال: «نظرت في كتاب الجفر الجامع صبيحة هذا اليوم وهو الكتاب المشتمل على علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وهو الذي خص الله به محمّداً والأئمة من بعده (صلوات الله عليه وعليهم)، وتأمّلت فيه مولد قائمنا المهدي وطول غيبته وطول عمره، وبلوى المؤمنين في زمان غيبته، وتولّد الشكوك في قلوبهم من إبطاء ظهوره وخلعهم ربقة الإسلام عن أعناقهم قال الله ﷻ: ﴿وَكُلِّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ [الإسراء: ١٣]، يعني ولاية الإمام، فأخذتني الرقة واستولت عليّ الأحزان»<sup>(١)</sup>.

١. الغيبة للشيخ الطوسي: ١٧٦.



وهو حديث يكشف عن أمورٍ كثيرة تتعلق بقضية الإمام المهدي عليه السلام، أولها: أنّ الإمام الصادق عليه السلام أراد ببيكائه إلفات الآخرين إلى مدى أهمية المصلح الموعود، وكم سيكون بظهوره من فرحة لقلوب المؤمنين الذين يتوقون إلى يومٍ تعيشه في عالم الدنيا بلا مظالم وبلا اعتداء على حقوق الآخرين، مثلما هو الحال السائد في عصر الغيبة الكبرى، على الرغم من أن الإمام الصادق عليه السلام يعلم يقيناً أنّ الإمام المهدي عليه السلام لم يُولد بعد، فينبغي أن يتضاعف الاشتياق ويشتدّ عند أولئك المؤمنين المنتظرين في عصر غيبته، ويعملون على تعجيل فرجه الذي سيكون في الوقت نفسه فرجاً للعالم بأسره، وخلصاً من الظلم والانحلال الأخلاقي الذي أطبق على الأرض.

وهنالكَ أمرٌ آخر، أعرب الإمام الصادق عليه السلام عنه يتعلّق بطول الغيبة، وبلوى المؤمنين بذلك الاختبار الإلهي، الذي يتوقّف على قوة إيمانهم، ومدى صبرهم، وهنا يمكن أن نقول بصفة عامة: إن المؤمنين بكتاب الله وما فرضه الله عليهم من واجبات في عباداتهم ومعاملاتهم، يلقون من النصب والشدة في حياتهم؛ لما يُقاسونه من حياةٍ تفرعن فيها التفكير المادي البعيد كلّ البعد عن رضی الله واجتناب معاصيه، وهي إشكالية يعيشها المؤمن في كلّ زمان ومكان وليس في زمان الغيبة الكبرى فحسب، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحدّثت لنا عن ضروبٍ من الابتلاءات وقعت على الأنبياء والمرسلين والمؤمنين برسالات السماء لأجل اختبار إيمانهم وتحصيل الدرجات العلى في اليقين بقضاء الله وقدره وعظيم حكمته وإرادته، وتحقيقاً لقوله: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال: ٤٢) ﴿.

أمّا ما أشار إليه حديث الإمام الصادق عليه السلام أنّف الذكر، من عظيم ابتلاء المؤمنين في غيبته؛ فلكثره المظالم، واحتدام الإشكالات من كلّ حدبٍ وصوبٍ

على أولئك الثلثة المنتظرة لفرج الإمام عليه السلام بظهوره الشريف، الأمر الذي يتسبب بتناقص أعداد المؤمنين به ممن يُفترض أن يعملوا بواجبهم في عصر الغيبة الكبرى بالتمهيد لظهوره بالتزامهم السلوكي والأخلاقي، وحسن الدعوة إلى الدين الذي ينهض الإمام عليه السلام لنصرته وإظهاره على جميع الخلق في ذلك الزمان، وهذه الثمار الأخلاقية لا تتحقق إلا من خلال طول الانتظار الذي يُجوهر هوية المؤمنين بذلك الوعد الإلهي؛ ولذلك (يتم اختيار الأشخاص الذين يعتمد عليهم في بناء هذه الدولة وقيامها بعناية فائقة، فلا بد إذن أن ينجح هؤلاء الأشخاص في عدة اختبارات وامتحانات صعبة، ومن هذه الامتحانات طول مدة الغيبة والتعرض لأصناف الظلم والابتلاءات)<sup>(١)</sup>.

وهذا المعنى لم يغيب عن أحاديث كثيرة وردت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، حسبنا ما روي عن محمد بن منصور الصيقل عن أبيه قال: (دخلت على أبي جعفر (الباقر) عليه السلام وعنده جماعة، فبينما نحن نتحدث وهو عليه السلام مقبل على بعض أصحابه - ويبدو أن حديثهم كان عن القائم المنتظر عليه السلام - إذ التفت إلينا، وقال: «في أي شيء أنتم؟، هيهات هيهات لا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى تُمحصوا، ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى تُميزوا، ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى تُغربلوا، ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم إلا بعد إياس، ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى يشقى من شقي ويسعد من سعد»<sup>(٢)</sup>.

ولا نعدو الصواب إذا قلنا: إن أهم تلك الابتلاءات في عصر الغيبة وأكثرها مدعاةً لتناقص عدد المؤمنين بها وانزلاقهم في مهوى الحيرة والضلال، هو طول الانتظار، الذي يدفع إلى تنامي الشكوك في صدور من لا حظ له من الإيمان

١. شمس خلف السحاب: ٤٤.

٢. الغيبة للنعماني: ٢٠٩.



الراسخ، لا سيّما أنّ التساؤلات عن ظهور الإمام عليه السلام تتكاثر من قبل أعداء الدين الذين يستخفّون بهكذا مفاهيم.

ونحن ما زلنا في تجلية مفهوم الانتظار، نوّكد القيمة الأخلاقية الأولى التي ارتبطت بمفهوم الانتظار، وليس المعنى السالب الذي يحاول بعض من يسخر ممّن يلتزم انعكاسات هذا المفهوم في حياته العملية، وهو الانتظار السالب لقيّمته الذي لا يعكس بأي حال التمثّل القرآني الصحيح له، وبهذا يكون من الأوّل لمن وضع الثقلين نصب عينيه أن يقرّ معتقداً بأنّه (ليس معنى انتظار هذا المصلح المنقذ (المهدي) أن يقف المسلمون مكتوفي الأيدي فيما يعود إلى الحق من دينهم، وما يجب عليهم من نصرته، والجهاد في سبيله، والأخذ بأحكامه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. بل المسلم أبداً، مكلفٌ بالعمل بما أنزل من الأحكام الشرعية، وواجب عليه السعي لمعرفة على وجهها الصحيح بالطرق الموصلة إليها حقيقة. وواجب عليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ما تمكن من ذلك وبلغت إليه قدرته «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

فلا يجوز له التأخر عن واجباته بمجرد الانتظار للمصلح المهدي، والمبشر الهادي، فإن هذا لا يسقط تكليفاً، ولا يؤجل عملاً، ولا يجعل الناس هملاً كالسوائم<sup>(١)</sup>.

وهذا المعنى لم يكن اجتهاداً من مجمل خطاب أئمة أهل البيت عليهم السلام، بل كان استظهاراً لكلامهم في تجلية مفهوم الانتظار، وهو المفهوم الذي لا يُخالف معالم المفهوم القرآني للانتظار الإيجابي المرتبط عملياً بالجانب السلوكي للمؤمن برسالة السماء. ولعلّ حديث الإمام جعفر الصادق عليه السلام يمثل إجابة شافية لمن يسأل عن مفهوم الانتظار، وهو قوله: «من سرّه أن يكون من أصحاب القائم،

١. عقائد الإمامية - محمد رضا المظفر: ٩٣ - ٩٤.



فليتنظر، وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق، وهو منتظر، فإن مات، وقام القائم بعده، كان له من الأجر مثل أجر من يدركه، فجدوا وانتظروا»<sup>(١)</sup>.

وهو حديثٌ صريحٌ الدلالة على وجوب العمل مقرونًا بالورع ومحاسن الأخلاق التي لا تُعطي ثمارها إلا من خلال الترجمة السلوكية لها من قبل العبد، وهذا هو المعنى الإيجابي للانتظار، وعلى هذا الحال يُحقق المؤمن الوظيفة المناطة به في عصر الغيبة بالتمهيد وتعجيل فرج ظهوره الشريف، والاستعداد للانقياد تحت لوائه الذي ينشره فيعمّ العدل وفق سنن الله التاريخية التي شاء الله أن تكون قانوناً يجري على الأولين كما يجري على الآخرين من ذرية بني آدم عليهم السلام، فنصرة أولئك المنتظرين لإمامهم سببٌ في نصرته عليه السلام تصديقاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد صلى الله عليه وآله: ٧).

هذا إن كان المنتظر قد عاصر دولة العدل الإلهي، وانتهز الفرصة التي انتظرها طويلاً بالاستعداد النفسي والبدني والفكري لنصرة الإمام عليه السلام، أما إذا لم يتحقق ذلك الوعد بمشيئة الله وحكمته، فهو أيضاً لم يخسر شيئاً بل ربح صبراً يُثاب عليه بالتزامه تطبيق ما أنيط به من تكليف في عصر الغيبة، فأجره يكون - بحسب قول الإمام الصادق عليه السلام - ماثلاً لأجر من يُضحّي بين يدي قائم آل محمد عليهم السلام عند ظهوره الشريف.

### تحديات الغزو الثقافي:

لما كان الغزو الثقافي في أحد تعريفات مفهومه الكثيرة، يتجلى في (كل فكرة، أو معلومة، أو برنامج، أو منهج، يستهدف - صراحةً أو ضمناً - تحطيم مقومات الأمة الإسلامية: العقدية والفكرية والثقافية والحضارية أو يتحرى التشكيك فيها، والخط من قيمتها، وتفضيل غيرها عليها، وإحلال سواها محلّها، في الدستور، أو مناهج التعليم، أو برامج الإعلام والتثقيف، أو الأدب والفن، أو

١. الغيبة للنعماني: ٢٠٠.





النظرة الكلية للدين والإنسان والحياة<sup>(١)</sup>، فهذا يعني أن ثمة محاولة هدامة من خارج المكوّن الإسلامي، تأخذ منحى ثقافياً، باعتباره حصان طروادة لغايات لا يتمّ تحقيقها إلا عبر لبوس الثقافة، كونها السلاح الناعم الذي لا يُحسّ بناقع سُمّه إلا بعد حين، وتزداد ضراوة الهجمة الثقافية على المسلمين المؤمنين بقضية الإمام المهدي عليه السلام، حين نجد من يُسهّم في تعضيدها من داخل الصفّ الإسلامي، ولعلّ هذا ما جعل الإمام الصادق عليه السلام في روايةٍ عرضناها سابقاً، يبكي لعظيم المخاطر المحيطة بقضية تستهدف الصلاح في مجمل النظام العالمي في جميع بقاع المعمورة، ولما كان إبليس - ذلك الشرّ المطلق - يعلم يقيناً بأنّ انتهاء أمد إنظاره إلى ميقات اليوم المعلوم، فمن الطبيعي أن يحرص على إطالة الوقت بالتشويش ومضاعفة جهوده في التسويل لجنوده، بمحاربة كلّ ما من شأنه أن يُمهّد لظهور الإمام عليه السلام من قبيل بثّ الأفكار المناوئة لعقيدة الانتظار، من قبيل التشكيك بكل الروايات الواردة عن قضية الإمام المهدي عليه السلام وما يتّصل بها من قريب أو بعيد، سواء من مخالفتي المذهب، أو من ضعفاء العقول من أذعياء التشييع، ممّن أثرت بهم تلك الموجات التشكيكية، فراحوا يخرجون بنظريات وأفكار استحسنتها عقولهم وهي مبتورة الصلة بتراث العترة الطاهرة، فضلاً عن ارتطامها فكرياً بعُرى النصّ القرآني الوثيق، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فيما لو استساغ البعض فكرة الانتظار وقضية الإمام المهدي عليه السلام فإنهم يأخذونها على محمل النسق الأسطوري في قراءة ملفّات هذه القضية<sup>(٢)</sup> وجعلها بالمحصّلة غير قابلة التنفيذ على أرض الواقع؛ لأنّ منطلقات تلك القراءة بُنيت على منظور مادّي مُخالف لطبيعة النصّ القرآني الذي بشرّ بدولة العدل الإلهي في آخر الزمان.

١. الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر: ١٦.

٢. من تلك الكتب، كتاب (المهدي المنتظر عند الشيعة الاثني عشر) للدكتور جواد علي: ١٧.



إنَّ ما يُشعرُ باستحكام خطر الغزو الثقافي وأثره على المجتمع المسلم، حين يكون هذا المجتمع في عموم طبقاته ضعيفاً بالثقافة الإسلامية، التي تؤهله أن يكون مجتمعاً مؤهلاً لانتظار إمامه الغائب؛ لما بيناه سابقاً من أن الانتظار المُفضي إلى تمهيدٍ واعدٍ بالفرج لظهور الإمام عليه السلام، لا يتحقق إلا عبر الوعي العميق الذي يستشعره ذلك المجتمع المنتظر، بما عليه أن يؤدّيه من واجبات، سواء أكانت أخلاقية بينه وبين ربّه، أم كانت بينه وبين أفراد المجتمع الآخرين، الأمر الذي يُثبت صحّة اختياره ذلك الموقف المسؤول، بل يفترض أن يكون أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام أكثر فئات المجتمع المسلم - إذا أخذنا بنظر الاعتبار سائر أبناء المذاهب الإسلامية - التزاماً سلوكياً وفكرياً بالمرجعية الإلهية المتمثلة بالثقلين: القرآن والعتره؛ لأجل أن يُظهروا للعالم أجمع أن هذا الدين الخاتم يُمثّله أولئك الصالحون الأبرار ممّن امتلئوا علماً وحكمةً وأخلاقاً وصلاحاً في كل شؤون حياتهم، وبهذا تكون سيرتهم العطرة سبباً لدعوة الناس من خارج الدين للإقبال على اعتناق التشييع بوصفه الوجه الحقيقي للإسلام، فضلاً عن دعوة معتنقي المذاهب الإسلامية الأخرى للانخراط في صفوف شيعة آل محمد عليهم السلام، وهذا ما كان يصبو إليه أئمة أهل البيت عليهم السلام ويستهدفونه في جُلّ خطاباتهم لأتباعهم، ومن تلك الأحاديث:

- عن جعفر بن محمد عليه السلام، أنه قال للمفضل: «أي مفضل، قل لشيعتنا، كونوا دعاء إلينا بالكف عن محارم الله، واجتناب معاصيه، وأتباع رضوانه، فإنهم إذا كانوا كذلك كان الناس إلينا مسارعين»<sup>(١)</sup>.

- عن ابن أبي يعفور قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «كونوا دعاء للناس بغير ألسنتكم، ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير، فإن ذلك داعية»<sup>(٢)</sup>.

١. ميزان الحكمة - محمد الريشهري: ١١ / ٢٥٥.

٢. مستدرک سفینه البحار - علي النمازي: ١٠.



- عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: «كثيراً ما كنت أسمع أبي يقول: ليس من شيعتنا من لا تتحدث المخدراتُ بورعه في خدورهن، وليس من أوليائنا من هو في قرية فيها عشرة آلاف رجل، فيهم [من] خلق الله أروع منه»<sup>(١)</sup>.

- وقال أبو عبد الله: «كونوا دعاة الناس بأعمالكم، ولا تكونوا دعاة بالستكم، فإن الأمر ليس حيث يذهب إليه الناس، إنه من أخذ ميثاقه أنه منّا، فليس بخارج منّا ولو ضربنا خيشومه بالسيف، ومن لم يكن منّا ثم حبونا له الدنيا لم يحبنا»<sup>(٢)</sup>.

وغيرها الكثير من الأحاديث التي ترسم صورة مُشرقة للمؤمن الشيعي كما يُريدها الله سبحانه في كتابه الكريم، وكما أكدها نبيُّ الخاتم وأئمتُّه المعصومون عليهم السلام، ومعلومٌ أنّ مِلاك هذه الصفات هو التحلّي بالعلم والتفقه في كتاب الله الكريم، وسُنّة نبيه صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرين عليهم السلام، وهذا ما يعني أنّ العلم والسير في طريقه سبيلٌ لتحقيق كل هذه الصفات، وحين يكون المسلم الشيعي جديراً بهذه الصفات بعد سلوكه السبيل الموجبة لذلك، فلا يُخاف عليه بعد ذلك من وسائل تضليل ينتهجها الغزو الثقافي المادي، بل العكس من ذلك تماماً، تكون مثل تلك الشُبّهات التي يُثيرها أعداء الدين مصلاً يقوّي المذهب أكثر فأكثر، حين يعكف علماءؤه الأفاضل على مناقشة تلك الأطروحات المُضلّلة، وتبيان ما فيها من تناقض واضطراب، سواء في سبك الأفكار التي انتظمت فيها تلك الأطروحات، أم في التشويش اللامنهجي المُخالف للأسس الفكرية التي اتّفق على صوابها مؤسسو تلك المناهج في محضنها الغربي.

وللحق نقول: إنّ العلماء من شيعة آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله منذ ابتداء عصر الغيبة إلى يومنا هذا، كانوا وما زالوا يتصدّون للذود عن الدين الإسلامي

١. مجموعة ورام: ٢ / ٢٠٤.

٢. بحار الأنوار: ٥ / ١٩٨.



بإبطال ضروبٍ من الشُّبُهات التي تفتن أصحابها من كلِّ اتجاهٍ فكري، رجاء أن يُضعفوا بها المذهب، وصولاً إلى إضعاف الدين في النهاية، ولكن كما قلنا لم تزد مثل هذه الشُّبُهات مدرسة أئمة آل البيت عليهم السلام إلا قوَّة بعد قوَّة؛ هذا لأنَّ مثل هذه الشُّبُهات تكون سبباً لحراك العقل في داخل المنظومة الإسلامية، وموجبةً لانتساع أفق التفكير الإسلامي انسجاماً مع اتساع رقعة الإشكاليات المطروحة، فضلاً عن ازدياد وتيرة الحياة تصاعداً بانفتاحها على مستجدات تقتضي أن يكون لمن يُعايشها موقفٌ يؤمِّنه الشرع الإسلامي، الأمر الذي يأخذه الفقهاء بعين الاعتبار بوصفه تكليفهم الشرعي والأخلاقي.

وإذا أردنا أن نأخذ مثلاً قريباً منَّا لتأكيد ما طرحناه آنفاً، فحسبنا ما ذكره السيد الشهيد محمد باقر الصدر رحمته الله في مقدمة كتابه (فلسفتنا) مستشعراً هذه المسؤولية المناطة بالعلماء إزاء الدين الذي يتمون إليه بقوله:

(غزا العالم الإسلامي، منذ سقطت الدولة الإسلامية صريعةً بأيدي المستعمرين، سيلُ جارف من الثقافات الغربية، القائمة على أسسهم الحضارية، ومفاهيمهم عن الكون، والحياة والمجتمع. فكانت تمدد الاستعمار إمداداً فكرياً متواصلًا، في معركته التي خاضها للإجهاز على كيان الأمة، وسرَّ أصلاتها، المتمثل في الإسلام.

وفدت بعد ذلك إلى أراضي الإسلام السلبية، أمواجٌ أخرى من تيارات الفكر الغربي، ومفاهيمه، الحضارية، لتنافس المفاهيم التي سبقتها إلى الميدان، وقام الصراع بين تلك المفاهيم الواردة، على حساب الأمة، وكيانها الفكري والسياسي الخاص.

وكان لابد للإسلام أن يقول كلمته في معترك هذا الصراع المير، وكان لابد أن تكون الكلمة قوية عميقة، صريحة واضحة، كاملة شاملة، للكون، والحياة، والإنسان، والمجتمع، والدولة والنظام، ليُتاح للأمة أن تعلن كلمة (الله) في



المعترك، وتنادي بها، وتدعو العالم إليها، كما فعلت في فجر تاريخها العظيم<sup>(١)</sup>. ولعلّ أكثر التحديّات للمتظرين في عصر الغيبة الكبرى، هي التي تظهر في إطار المكوّن المُدعى انتهاؤه لمذهب الحق الذي يختصّ بطرحه الموافق للقرآن والعقل، فتكون أمثال تلك المعرقات أشبه - بما يُصطلح عليه في علم السياسة - بالنيران الصديقة، حين لا تصيب بعض نيران المدافع أو الطائرات المقاتلة الهدف، وإنما تضرب بعض قطعاتها العسكرية المنتشرة هنا وهناك عن طريق الخطأ في ورود المعلومات التي زُوّد بها سلاح الجيش، وعلى أي حال فالنيران حين تلتهم شيئاً لا تعرف صداقة أو عداوة، فهي بطبيعتها المحرقة لا تبقى ولا تذر شيئاً إلّا وأحالته رماداً، وهنا من خلال عرضنا لمفهوم النيران الصديقة يكمن الشبه كل الشبه بينها وبين ما يصدر من فعال وتصرفات يقوم بها البعض ممن ينتسب إلى المذهب الشريف، مذهب أهل البيت عليهم السلام، ممن يظن بنفسه، أو يعتقد اعتقاداً عارياً من الحجة الشرعية التي تبرئه الذمة أمام الله بأن تصرفه وسلوكه الذي قام به إنما فيه رضی الله ورضی رسوله صلی الله علیہ وآلہ وسلم وأهل بيته المعصومين عليهم السلام، بل يرى في نفسه الأهلية دون غيره والكفاءة في تصديه لقضية الإمام الحجة عليه السلام؛ حيث يتكلم باسم الإمام عليه السلام، ويتصرف في كل صغيرة وكبيرة باسمه عليه السلام، وهو في حقيقة أمره لا يترجم في كل تصرفه إلّا جفاءً وبعداً عن خط الإمام المعصوم، وتأخيراً لظهوره المقدس، ونحن إذ نقول: إن أمثال هؤلاء ممن يؤخّر ويضع العصا في عجلة الظهور المقدس، لا نريد أن نتجنّى على أحد أيّاً كان، بعد أن أطلقنا إसार الكلام ليشمل كل من يتّصف بهذه الصفات الذميمة، واضعين قضية الظهور المقدس في إطارها الطبيعي الكوني الذي رسمه الله تعالى لها، إذ جعلها منوطة بالأسباب الطبيعية التي بإمكان الفرد أو الأمة من التحكّم في تأخيرها أو التعجيل لها إن أرادت؛

إذ كانت غيبة الإمام عليه السلام وبُعده عن قواعده الشعبية تمثل استجابة للظروف الطبيعية التي أحاطت قضيته التي من شأنها إعاقة المشروع الإلهي الذي أنيط بشخصه الشريف، ومن هذه الظروف تحفُّز السلطات العباسية لقتله وقت ولادته عليه السلام لو أد حركته من الأصل، استشعاراً منهم بالخطر المحدق بهم فيما لو بقي حيّاً، ولكن **﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾** (التوبة: ٣٢).

وقد ورد في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام: **«إنه لا يظهر الإمام حتى تدور الرّحى»**، فقالوا: وما دور الرّحى؟ قال: **«اختلاف شيعتنا بينهم حتى يقتل بعضهم بعضاً»**<sup>(١)</sup>.

ومثل هذا الاختلاف الداخلي - إن صحَّ الوصف - يمثل أعظم تحدٍّ للخُلص من المنتظرين؛ لكونه نابعاً من داخل المؤسسة الشيعية وليس من خارجها، فيكون مثل هذا الخطر الداخلي سبباً في ضعفة الكيان الشيعي. كذلك يسهم مثل هذا التشرذم الواقع داخل إطار المكوّن الشيعي في تضعيف فرصة تقريب الفرج للإمام عليه السلام بظهوره في أيّ حقبة من زمان الغيبة الكبرى، لانتهاء القاعدة الممهّدة للإمام عليه السلام والمستعدّة نفسياً وجسدياً بالتخلي عن نوازعها الذاتية لأجل مصالح عامة.

ولو طالعنا الأخبار المهدوية، وأنعمنا النظر فيها، لوجدنا ثلاث طوائف من الناس، ممن يحسب على الطائفة الإمامية الاثني عشرية، ولكن هم بأفعالهم شوّهوا الصورة المشرقة لهذا المذهب، وجعلوه محطّ سخرية للحاقدين الذين يتربّصون بالمذهب الدوائر، وهي - حسب استقراءنا - كالآتي:

**الطائفة الأولى:** وهم الجهلة من الشيعة الذين لا يفقهون من الدين إلا اسمه، وهم الذين وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له مع كميل بن زياد النخعي:

١. مائتان وخسون علامة حتىّ ظهور الإمام عليه السلام - السيد محمد علي الطباطبائي الحسني: ٩١.



«الناس ثلاثة... وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق».

فأمثال هؤلاء يشكّلون خطراً حتى في عصر غيبة الإمام الحجة بن الحسن عليه السلام مما يضطره إلى تغيير مكانه وتأجيل زمان ظهوره، ولدينا رسالته عليه السلام إلى الشيخ المفيد رحمته الله، والتي رواها الطبرسي في كتابه<sup>(١)</sup> والتي يقول فيها - موطن الشاهد -: «وشفعنا ذلك الآن من مستقر لنا بنصب في شمراخ من بهاء صرنا إليه آنفاً من غمائل ألبنا إليه السباريت من الإيمان»، فالإمام عليه السلام في هذه الرسالة يشير إلى أنه قد غير مكانه إلى مكان آخر، والسبب الذي دعاه إلى هذا التنقل في الأماكن هو (السباريت من الإيمان) والسباريت جمع سبرات وسبروت وسبريت: الأرض التي لا نبات فيها، ومنها سمي المعدوم سبروتاً، ويعطي الشهيد السيد محمد الصدر رحمته الله معنيين لها:

الأول: أن نقرأ (الإيمان) بكسر الهمزة، فيكون المراد أن الفقراء أو الفارغين من الإيمان هم الذين ألبأوا الإمام عليه السلام إلى اختيار مسكنه الجديد.

الثاني: أن نقرأها (الأيان) بفتح الهمزة، فيكون جمع يمين الذي يقابل اليسار، ويكون المراد بالسباريت: الأرض الخالية من الزرع الموجودة في يمين الطريق، وقد ألبأه هذا السبب إلى تركها والذهاب إلى مكان جديد<sup>(٢)</sup>.

وقد يقول قائل: وما الدليل على كون هؤلاء ممن ينتسب إلى الطائفة الشيعية؟

فالجواب هو: أن الإمام عليه السلام أشار في رسالته نفسها إلى ما يقود إلى هذا، فهو يقول فيها بعد ذلك - موطن الشاهد -: «ولو أن أشياعنا - وفقهم الله لطاعته - على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم، لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا،

١. الاحتجاج: ٢/ ٣٢٤، ط النجف.

٢. ينظر: تاريخ الغيبة الكبرى: ١٦٥.



ولتعجّلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة، وصدقها منهم بنا، فما  
يجسنا عنهم إلا ما يتصل بنا بما نكرهه ولا نؤثره منهم».

وتتصاعد أهمية التزوّد المعرفي والثقافي للمجتمع الإسلامي بعامته، ومجتمع  
المنتظرين بخاصة، حين يكون الغزو الثقافي متحقّقاً عبر التطور التكنولوجي  
في الغرب، وعلى أساس ذلك التطور كان لرقعة التكنولوجيا الرقمية أن تتسع،  
في ظل تصاعد المستخدمين لوسائل التواصل الاجتماعي، فقد غدا العالم بيتاً  
صغيراً يعرف الجميع فيه عن الجميع، وبهذا علينا أن نعيد النظر في منظومتنا  
الفكرية التي ورثناها عبر مئات السنين، التي من خلالها يتمّ التوازن فيما  
آل التطور العلمي إليه من مبتكرات أبدعتها العقول، وفيما نعيه ونفهمه من  
مأثور ذلك التراث العتيّد، الذي يُعبّر عن القاعدة الأساس للجماعة الإنسانية  
المُسلّمة؛ ولذا أجد أن لا ضير في تقبّل ذلك التراث بعد تمثّله وتمحيصه وقراءته  
عبر متوسّطات حدائثية تتجلّى بألية التأويل فيما لا يُغيّر ثابتاً متفقاً عليه من  
أصول الدين أو مجمعاً على قبوله عند الماضين من علماء الأُمَّة فضلاً عن  
المحدثين منهم.

وبعد أن نتأمل الأحاديث الشريفة التي نطق بها المعصومون من آل بيت  
الرسول ﷺ والتي نصّت بفضل القرآن، وخلود معانيه ومضامينه، ومنها  
الحديث الوارد عن صادق أهل البيت عليه السلام والذي يقول فيه: «ولو أن الآية  
إذا نزلت في قوم ثم مات أولئك، ماتت الآية، لما بقي من القرآن شيء، ولكن  
القرآن يجري أوله على آخره ما دامت السماوات والأرض، ولكل قوم آية  
يتلوها هم منها من خير أو شر»<sup>(١)</sup>، وما روي أيضاً عنه عليه السلام: «إن القرآن حي لم  
يمت، وإنه يجري كما يجري الليل والنهار، وكما تجري الشمس والقمر، ويجري  
على آخرنا كما يجري على أولنا»<sup>(٢)</sup>، وأحاديث أخرى على هذا المعنى، منها ما

١. بحار الأنوار: ١١٥ / ٨٩.

٢. تفسير العياشي: ٢٠٣ / ٢.





ورد عن سماعة بن مهران مرفوعاً عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث طويل أنه قال: «... للقرآن تأويل يجري كما يجري الليل والنهار وكما تجري الشمس والقمر، فإذا جاء تأويل شيء منه وقع فممنه ما قد جاء ومنه ما يجري»<sup>(١)</sup>، لا يغيب عن أذهاننا الثقل الذي جعله الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله عدلاً مكافئاً للقرآن، ألا وهم العترة من آل بيته المخصوصون بالعصمة عليهم السلام، ولا يمكن بحال أن نجحد فضلهم وعظيم منزلتهم، بعد أن نقل الفريقان من المحدثين حديث الثقلين، الذي نصّ بواضح المقال أن القرآن والعترة لن يفترقا حتى يردا على رسول الله صلى الله عليه وآله الحوض، ومن هذه المقدمات التمهيدية يمكن لنا أن نستنتج حقيقة لا بد منها، وهي أن ما يثبت للقرآن من عظمة في الإعجاز، يثبت بلا أدنى شك للأحاديث الصحيحة الثابتة الواردة من أهل البيت عليهم السلام، ومن قبيل الإعجاز الذي ثبت للقرآن، إخباره في عدة من الآيات تتعلق بما يأتي من الأنبياء والحوادث<sup>(٢)</sup>.

وهنا يأتي الكلام عن الأخبار الواردة عن المعصومين عليهم السلام فيما سيحدث من أمور وأحداث، وبما أن علومهم «تعلّم من ذي علم»<sup>(٣)</sup> كما صرح بذلك أمير المؤمنين عليه السلام، لذا فلا بأس علينا أن نفهم كلامهم، بما يتناسب ومفاهيم العصر، خصوصاً أنهم أول من يقتدي بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وهي (تكليم الناس على قدر عقولهم)، وبهذا التعمق في مستوى تلقي خطاب الثقلين، ندرك الأهمية التي أشارت إليها الأحاديث في بيان علو مقام المؤمنين في عصر انقطاعهم المباشر عن عصر الرسالة، ممّن بقوا محافظين على عهدهم بالتزامهم الإيماني، ولم يتضعضوا فكرياً أو تنخفض لديهم مناسيب الالتزام بمضامين الشرع الإسلامي على نحو العبادات أو المعاملات، واستلهامه من مورده

١. بحار الأنوار: ٧٩/٢٣.

٢. ظ: البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي: ٧٩.

٣. نهج البلاغة: الخطبة ١٢٦.



الأصيل المتمثل بأئمة أهل البيت عليهم السلام، ومن ذلك ما رواه أنس بن مالك قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ): «وَدِدْتُ أَنِّي لَقَيْتُ إِخْوَانِي»، قَالَ: فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ): أَوْلَيْسَ نَحْنُ إِخْوَانُكَ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَلَكِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرَوْنِي»<sup>(١)</sup>.

والمنتظرون لإمامهم في عصر الغيبة الكبرى، ينطبق عليهم مضمون هذا الحديث الشريف أكثر من غيرهم؛ لأنهم آمنوا برسالة النبوة، وبما جاء فيها من بشارة وردت في القرآن الكريم تارةً وفي أحاديث العترة الطاهرة تارةً أخرى، بظهور المهدي عليه السلام في آخر الزمان، والذي سيكون بظهوره فرج الإنسانية جمعاء، بانتصار العدل وتطبيقه بين الناس، وبإزهاق الباطل ودحر أتباعه، وكنس الأرض من كل ظالم جائر.

ويقيناً أن هذه الرتبة التي جعلها رسول الله صلى الله عليه وآله لهؤلاء الذين آمنوا به ولم يروه، كانت لعظيم الأثر الإيماني الذي قطعوه، فكانوا مُمَهِّدِينَ لِأَمْرِ فِيهِ صَلَاحُ شَأْنِ الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ، وَكَأْتَهُمْ بِهِذِهِ (الأخوة) شاركو الرسول الكريم صلى الله عليه وآله بالوظيفة الرسالية التي أُنيطت به، بما أثبتوه - من خلال صدق يقينهم قولاً وعملاً - من مصداقية لدعوة القرآن الكريم أنه خاتم الأديان السماوية، فيما أكده سبحانه قرآنيًا بإتمام نور الحق المتمثل بدين الإسلام على البشرية جمعاء مهما تكالبت قوى الكفر والضلال على إطفائه، فقال في كتابه الكريم:

- ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(٣٢)</sup> هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿ (التوبة: ٣٢ - ٣٣).

- ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (الفتح: ٢٨).

١. مسند أحمد: ٢٠ / ٣٨ (رقم: ١٢٥٧٩).



- ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾  
هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ  
الْمُشْرِكُونَ﴾ (الصف: ٨ - ٩).

- ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا  
اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ  
مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ  
هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور: ٥٥).

ومن الواضح أن تتحقق هذه الرتبة السامية لأولئك المؤمنين بوعده الله تعالى بإظهار دينه متمثلاً بحجة الله الغائب، حين يتوفرون على قدر من العلم والثقافة الإسلامية الراكزة تؤهلهم لأن يكونوا دعاة لدينه ومُهمّدين لتعجيل ظهوره الشريف، وممن تُشاد أركان دولة العدل الإلهي بجدّهم واجتهادهم، وإلا لو قلنا خلاف ذلك، لكان مخالفاً للحكمة الإلهية القائمة على ارتباط الأسباب بمسبباتها، ولا شيء يخرج عن هذه السُنّة الكونية.

وفي حديث الإمام علي عليه السلام لكميل بن زياد، يُعرِّج في آخر كلامه، عن وجود الحجّة في الأرض باعتباره قيّوماً على الناس، ومفزعاً لمن يحتاجه في أمور دينه ودُنياه، ومن ثمّ يستعرض صفات أولئك الصالحين من عباده ممن أخلص عبادته لله سبحانه وولاة أمره، سواء أكان الحجّة ظاهراً بين الناس أو مغموراً لأسبابٍ قاهرة، فيتحلّون بصفاتٍ إيمانيةٍ عالية تجعلهم يأنسون بكلّ ظرفٍ قاسٍ يمرّون به؛ لأنّ هدفهم الذي يؤمنون بتحقيقه كبيرٌ لا تحول دونه مثل تلك العقبات مهما تكاثرت. وقول الإمام عليه السلام هو: «اللهم بلي، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، إمّا ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيئاته، وكم ذا؟ وأين أولئك؟ أولئك والله الأقلون عدداً والأعظمون



قدراً، يحفظ الله بهم حججه وبيئاته حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحها معلقة بالمحل الأعلى، أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه. آه آه شوقاً إلى رؤيتهم، انصرف إذا شئت<sup>(١)</sup>، هو وصفٌ - فيما أحسب - عظيمٌ لم يرد في وصفٍ أيّ جماعةٍ من جماعات المؤمنين، حين يكون العلم قد هجم على عقولهم وقلوبهم، فرادهم بصيرةً على بصيرة، فكان لذلك أثره فيما استلانوه من عوارض دنيوية لا يأبهون لمثلها أن تُعيقهم لتحقيق ما استشعروه من تكليفٍ، فهم الدعاة بأعمالهم لتبني هذا الدين، وهم الخلفاء الذين بشرهم الله في محكم كتابه بأن يرثوا الأرض، ويستكملوا وظيفتهم في ظلّ دولة العدل الإلهي، وهذا ما بشر به تعالى في قرآنه الكريم، بقوله: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: ٥)، ويتضح تشوّق الإمام علي عليه السلام لهؤلاء الثلاثة المؤمنة؛ لأنه بسببهم سيتحقق حلم الأنبياء عليهم السلام بما سيذلونه من صيرٍ وتفانٍ مقرونٍ بعلمٍ ووعي، أدّى بهم إلى تلك النتيجة العظيمة أثراً في عالم الدنيا قبل الآخرة.

**الطائفة الثانية:** ونستطيع أن نصفهم بـ(الطبقة السياسية) أو التي مارست الحكم ممن ينتسب بعضهم إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام، وإن كانت الطائفة الأولى (السابر) - كما وصفهم الإمام علي عليه السلام - قد تسببوا في تنقل الإمام عليه السلام من مكان إلى آخر، وتأجيل ظهوره المبارك، فإنّ هذه الطبقة السياسية تسبب - بسوء إدارتها شؤون الناس والتفاتها إلى مصالحها وتحقيق مكاسبها الشخصية - بترك انطباع سيء لدى الناس من أي شكل من أشكال الحكومات

الدينية، فأصبحوا يشكِّلون عبئاً ثقيلاً على أهل البيت عليهم السلام، مما يعيق تقبُّل الناس لقضية الإمام عليه السلام، ويعرقل حركته الإصلاحية التي تعيد للإسلام صورته المشرقة المتمثلة بالحكم الصالح العادل بين جميع الناس.

**الطائفة الثالثة:** وهي طائفة أكثر خطراً على حركة الإمام عليه السلام في غيبته، ويتعاضم خطرها إبان ظهوره، وهي طائفة (البترية)<sup>(١)</sup> أو (التبرئة) كما وردت في روايات أخرى، وإذا كانت الطائفة الأولى (الساباريت) تسببت بتنقل الإمام عليه السلام من مكانه - أي تهجيريه من مكان إلى آخر -، والطائفة الثانية إلى تشويه صورة الإسلام الأصيل المتمثل بالإمام الحجة عليه السلام، فالطائفة الثالثة (البترية) أو (التبرئة) تحارب الإمام عليه السلام بالسر والعلن، إذ تملك السلاح الذي بوساطته تولب العامة من الناس الذين يدينون لهم بالطاعة العمياء.

وهؤلاء يشكِّلون فئة كاملة في المجتمع يقضي عليهم الإمام عليه السلام؛ لانعدام جدوى إصلاحهم، كما تنص الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام: «إذا قام القائم سار إلى الكوفة، فيخرج منها سبعة عشر ألف يدعون البترية عليهم السلاح، فيقولون له: ارجع من حيث جئت، فلا حاجة لنا في بني فاطمة، فيضع فيهم السيف حتى يأتي على آخرهم، ثم يدخل الكوفة فيقتل كل منافق مرتاب،

١. بضم الباء الموحدة وسكون التاء، أو بتقديم التاء المفتوحة على الباء فرقة من الزيدية دعوا إلى ولاية علي عليه السلام وخطوها بولاية أبي بكر وعمر وأثبتوا لها الإمامة فخروجهم من الشيعة في ذلك، لأن هذا العنوان عند الفقهاء الإمامية اسم لمن قدَّم علياً عليه السلام على غيره في الإمامة، كما ذكره العلامة في القواعد في هذا المقام، وما في كتب العامة من عد هذه الفرقة من الشيعة كما في الملل والنحل أو عد رجالها منهم كما في تهذيب التهذيب في كثير بن إسماعيل النوء، فهو على اصطلاحهم في التشيع وهو القول بتقديم علي عليه السلام على عثمان ومعاوية أو تقديم أهل البيت عليهم السلام على غيرهم في الكرامة وإمامة المذهب كما يظهر ذلك بمراجعة تراجمهم. البترية كما في رجال الكشي هم أصحاب كثير النوا والحسن بن صالح بن حي... وذكر في حديث لزيد بن علي معهم وقال لهم أتبرؤون من فاطمة، بترتم أمرنا بتركم الله، فيومئذ سموا البترية، ينظر: رجال الكشي ٢٣٦: ٤٢٩.



ويقتل مقاتليها حتى يرضي الله عز وعلًا»<sup>(١)</sup>.

ويتّضح سلاحهم بما بيّناه بـ(الفتوى) بدليل الرواية التي وردت عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث طويل: «يسير إلى الكوفة فيخرج منها ستة عشر ألفاً من البترية، شاكين في السلاح [أي مُدَجَّجين]، قرّاء القرآن، فقهاء في الدين، قد قرّحوا جباههم، وشمروا ثيابهم، وعمّهم النفاق، وكلهم يقول: ارجع يا بن فاطمة، لا حاجة لنا فيك، فيضع السيف فيهم على ظهر النجف عشية الاثنين من العصر إلى العشاء، فيقتلهم أسرع من جزر الجزور فلا يفوت منهم رجل ولا يصاب من أصحابه أحد، دماؤهم قربان إلى الله تعالى»<sup>(٢)</sup>، يقول الشيخ الكوراني عنهم: (ويبدو أنّهم من علماء السوء المضلين)، وهم الذين يتأولون على الإمام القائم عليه السلام آيات القرآن، ولتسميتهم بـ(البترية) أو (التبرئة) عدّة أطروحات، لا مجال للخوض في تفصيلاتها الآن، ولعل الواضح من تسميتهم بـ(البترية) أو (التبرئة) كما في بعض النصوص كما عن زيد بن علي: (أتبرؤون من فاطمة بترتم أمرنا بترككم الله...)<sup>(٣)</sup>، فلا بد من التعرف على مخاطر هذه الطوائف والوقاية من الوقوع في سلوكها المنحرف عن خط الإمام عليه السلام الذي يمثل الإسلام بأجلّ صورة؛ لئلا تكون حجرة كآداء تعرقل الحركة العالمية الموعودة التي تترقب قواعدها بمنتهى الصبر.

إنّ ما استعرضناه من عقبات لتأخير حركة التمهيد، لكن لا يعني ذلك أن يكون الإنسان المؤمن جزءاً منها، فيسهم مثل بعض المنحرفين بانحرافه - كما يدعون - بتعجيل الظهور! هذا المنطق لا يمثّل الوعي الإنساني الملتزم بقضايا الإنسانية من أن يكون الإنسان جزءاً لحلّ ما يعثور مجتمعه من إشكالات

١. بحار الأنوار: ٥٢/٣٣٨.

٢. دلائل الإمامة: ٢٤٢.

٣. بحار الأنوار: ج٣٧، ص٣١.

وصراعات، ولا يقف مكتوف الأيدي إزاء ما يحصل حوله، الأمر الذي يتطلب منه بذل الجهد الفكري والمادي لتلافي ما سيقع من فتن تعم الجميع، فقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٦)، يُشير بوضوح إلى دور الفرد ومسؤوليته الفاعلة في عالم الدنيا، بما يجعله مُحاسباً على كل ما يصدر منه من أفعال تستلزم الإثابة إن كانت طيبة الأثر على الصعيد الشخصي والاجتماعي، أو المعاقبة إن كانت بالضد من الأولى.

وعليه، فعلى الشخص الذي يسعى بانتظاره إلى التمهيد لدولة العدل في واقعه المعيش، أن يكون مؤهلاً لتلك المسؤولية، وذلك عبر التفقه (التعلم في أمور الدين)، مضافاً له التوسع في المعارف الأخر التي تعمق مداركه، وتخصّب فكره بالجديد من الأفكار والنظريات، وبهذا يكون المؤمن المنتظر قوياً بما يُمكنه ذلك التفقه وذلك الاتّساع العلمي من أن يخوض به في وسط تيارات مختلفة المنازع فكرياً، من دون أن يذوب في بودقة تلك الأفكار، بل العكس من ذلك، حين يكون فاعلاً فكرياً في الساحة، ومُنتجاً للطرح الإسلامي الواعي في المقابل، وبهذا يتحقّق المضمون السامي للتمهيد، بمفعول البناء الفكري والروحي الذي توفّر لأولئك المنتظرين، وإلا لو فرضنا انعدام ذلك الجانب، مع التقدّم الظاهري للحضارة مادياً، لما كان بإمكان أفراد ذلك المجتمع أن يقدموا خطوةً إيجابية من خطوات التمهيد لدولة العدل، ف(ماذا ينفع نمو الشكل المادي للقوة مع الهزيمة النفسية من الداخل وانهيار البناء الروحي للإنسان الذي يملك كل تلك القوى والأدوات؟ وكم من مرّة في التاريخ انهار بناءً حضاري شامخ بأول لمسة غازية، لأنّه كان منهراً قبلاً ذلك، وفاقداً الثقة بوجوده والقناعة بكيانه والاطمئنان إلى واقعه)<sup>(١)</sup>.

١. بحث حول المهدي ﷺ - محمد باقر الصدر، (مقدمة كتاب: تاريخ الغيبة الصغرى، السيد محمد الصدر): ٤٦.



ولعلّ أهمّ تجليات ذلك التمهيد، ما يُحقّقه علماءنا الأعلام في الحقل الفكري من إسهامٍ في التأليف في الحقول المعرفية المتنوّعة، ولا سيما فيما يتّصل بقضية الإمام المهدي عليه السلام وإجلاء ما يتعلّق بها من إشكالات تتغيّر بحسب متغيّرات الزمان وتطوّر الأحداث، وتساعد الهجمات الثقافية الرامية إلى إضعاف الناس بهذه الفكرة عبر ما تبثّه وسائل الإعلام وغيره من سموم، لا يمكن التخلّص منها إلّا من خلال الركون إلى العلم، والتعمّق فيه، وهذا ما كان يؤكّده أئمة أهل البيت عليهم السلام في جملة وصاياهم لأتباعهم من المؤمنين بأنهم السلسلة المتّصلة بالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، ويُعربون لهم بصريح المقال أنّه لا ينفعهم حسن اتّباعهم لهم ما لم يلزموا أنفسهم بالعلم والورع؛ لينطبق عليهم بعد ذلك صدق اتّصافهم بالشيعة لهم، ولا يقتصر ذلك الوصف على الادّعاء اللساني فحسب، ففي وصيّة الإمام الصادق عليه السلام خيثة ما يثري هذا الجانب، إذ يقول عليه السلام: «أبلغ موالينا السلام، وأوصيهم بتقوى الله والعمل الصالح، وأن يعود صحيحهم مريضهم، وليعد غنيهم على فقيرهم، وليحضر حيّهم جنازة ميتهم، وأن يتألّفوا في البيوت، ويتذاكروا علم الدين، ففي ذلك حياة أمرنا، رحم الله من أحيا أمرنا، واعلمهم - يا خيثة - أنّا لا نغني عنهم من الله شيئاً، إلّا بالعمل الصالح، وأنّ ولايتنا لا تنال إلّا بالورع والاجتهاد، وأنّ أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة، من وصف عدلاً ثم خالفه إلى غيره»<sup>(١)</sup>.

وهو قولٌ تُفضي دلالته لما أشرنا إليه آنفاً، وهو قولٌ ساري المفعول ينطبق على شأن المسلمين من أتباع أئمة الحق من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، كما ينطبق على شأن المؤمنين الموالين لهم بعد رحيلهم من عالم الدنيا، ومجاورتهم الرفيق الأعلى، فهي وصيّة نقرأها الآن بوصفها خطاباً يُقصد به حال المجتمع المسلم في هذا الزمن، زمن الغيبة الكبرى، وبمقتضى ذلك يكون العلم والتفقه في أمر

١. الحكايات، للشيخ المفيد: ٥٧؛ وينظر: الأمالي للطوسي: ٤٢٠؛ وبشارة المصطفى صلى الله عليه وآله لشيعة المرتضى: ٢١١.





الدين واجباً يُحافظ فيه المؤمنون على كينونتهم التي اختاروها، وأن الامتثال لمضمون الوصية بحذافيرها يعكس مدى إيمان أولئك الأتباع بصاحب هذه الوصية الأخلاقية الثقافية العظيمة، وعلى أساسها يكون المؤمن المنتظر مُدَجَّجاً بالعلم والمعرفة والثقافة الرصينة التي تُمكنه من التمهيد بوصفه أحد واجباته التي تشرف بحملها، لما عرفناه سابقاً من قيمة عالية للمؤمن المنتظر بحسب فضل الانتظار الذي ورد في عديد من أحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام ومن قبلهم الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، ولأجل ذلك كانت التحديات التي يلقاها المجتمع المنتظر مرهونة بمدى وعي المجتمع المسلم من عدمه، وإلا يمكن أن تكون مثل تلك التحديات سبباً للتمهيد باستثمارها الإيجابي من قبل أولئك المنتظرين، من خلال تمحيصها ودحضها علمياً، فيقوى الدين الإسلامي بحسب ذلك الحراك العلمي المتج، وفي المقابل تنهار كل تلك النظريات المضادة لأطروحة الإسلام الخالدة بسبب ما أبرزه أبناء الإسلام من قوة فكرية تمنع سيول الغزو الفكري من تحطيم معالم الإسلام الأصيلة، وتسهم في تقليص مدّها في عقر دار انطلاقتها، بما يؤدّي إلى وأدها في مهدها.



**ALMAUOOD**

[www.m-mahdi.com/almauood](http://www.m-mahdi.com/almauood)

[almauood@m-mahdi.com](mailto:almauood@m-mahdi.com)

## أسباب غيبة الإمام المهدي عليه السلام

الشيخ علي الفياض

تمهيد:

لا شك أن من الوسائل التي يستخدمها المشككون في عقيدتنا بالإمام المهدي عليه السلام هو الطعن في مبررات غيبته عليه السلام، ويتخذون هذا الطعن منشأً للتشكيك في المسائل المختلفة المتعلقة بالعقيدة المهدوية، كأصل وجوده وحياته وطول عمره وحقيقة اختفائه عليه السلام، وغير ذلك.

لذا نرى من اللازم إيضاح المبررات التي دعت الإمام المهدي عليه السلام أن يغيب، وأن لا يظهر إلا بعد قسوة القلوب وإذن الله تعالى في الظهور. فقد وردت عشرات النصوص التي توّضح سبب الغيبة وبشكل صريح لا يقبل الشك.

ولابد من التساؤل هنا، وهو: هل ما ذكرته الروايات من أسباب الغيبة، هو من باب العلة الحقيقية التي يدور مدارها الحكم وجوداً وعدمياً، أو أن هذه الأسباب ذكرت من باب الحكمة والفائدة.

وقبل الإجابة عن هذا التساؤل ينبغي توضيح بعض الألفاظ والمصطلحات

التي وردت في الروايات، وهي:

السبب: يطلق السبب ويراد به إما السبب الاعتباري أو التكويني أو اللغوي.



ومثال الاعتباري: هو البيع، فإنه جعل سبباً لحصول الملكية.

أمّا التكويني: فمثاله أن النار سبب للإحراق.

وأمّا اللغوي: فهو ما يمكن التوصل به إلى غرض معين، كأن يمارس

الإنسان أحد الأعمال التجارية، فيكون العمل سبباً لحصول المال.

العلة: هي من المتصورات القطعية، فإذا فرض صدور شيء عن غيره كان

الصادر معلولاً والمصدور عنه علة، سواء كان الصدور على نحو الاستقلال

كما في العلل التامة أو على سبيل الانضمام كجزء العلة<sup>(١)</sup>.

وأمّا العلة في الفلسفة، فهي: ما أوجبت معلولها لذاتها ولم يتخلّف عنها،

وهي المؤلفة من المقتضي والشرط وعدم المانع<sup>(٢)</sup>.

وأمّا العلة في اصطلاح علم أصول الفقه، فهي: الوصف المنضبط الذي

جعله الشارع علامة على الحكم مع مناسبته له<sup>(٣)</sup>.

الحكمة: هي المصلحة المقصودة للشارع من تشريع الحكم.

الغاية: الغاية عقلاً هي انتهاء الشيء، وسمّيت نهاية الشيء غاية، لأن كل

قوم ينتهون إلى غايتهم في الحرب أي رأيتهم، ثم كثر حتى قيل لكل ما ينتهي

إليه، لأن الأصل اللغوي للغاية هي الراية<sup>(٤)</sup>.

الشرط: عرّفوا الشرط بأنه: الوصف المنضبط الذي يتوقف وجود الشيء

عليه من غير اقتضاء لوجود المشروط عند وجوده، وإن استلزم انعدام

المشروط عند عدمه<sup>(٥)</sup>.

وقد يرد أكثر من شرط لمشروط واحد، كالمثال الأصولي المعروف: (إذا

خفيت الجدران فقصر) و(إذا خفي الأذان فقصر)، وهنا يدور الأمر بين أحد

١. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد (تحقيق الآملي) - العلامة الحلي: ص ١٦٩.

٢. الأصول العامة للفقه المقارن: ص ٣٠٨.

٣. المصدر السابق.

٤. الفروق اللغوية: ص ٣٨٢.

٥. الأصول العامة للفقه المقارن: ص ٣١١.

تصرفين: هل الأولى تقييد ظهور الشرطيتين في الاستقلال (الجمع بالواو)؟ أو تقييد ظهورهما في الانحصار (الجمع بـ أو)؟ قولان في المسألة والتحقيق في علم أصول الفقه<sup>(١)</sup>.

والآن نعود للإجابة على التساؤل الذي طرح أولاً، فنقول:

إنَّ بعض الألفاظ التي وردت في النصوص، كلفظ العلة، يمكن حملها على العلة الحقيقية التامة، من قبيل ما ورد في التوقيع الشريف عن إسحاق بن يعقوب، قال: سألت محمد بن عثمان العمري رحمته الله أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ، فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عليه السلام: «... وأما علة ما وقع من العيبة، فإن الله عز وجل يقول: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدِّلَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]، أنه لم يكن لأحد من آبائي عليهم السلام إلا وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإني أخرج حين أخرج، ولا يبيعه لأحد من الطواغيت في عنقي...»<sup>(٢)</sup>.

هنا يمكن القول إن الإمام عليه السلام أراد بيان أمرين:

الأول: أن العلة التامة قد أخفيت عليكم ولا ينبغي أن تسألوا عنها.

والأمر الثاني: حاول الإمام عليه السلام أن يبيّن جزء العلة أو الحكمة بأنه عليه السلام لا تقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وهذا الأمر ليس علة تامة كما هو واضح، وسنبحث ذلك في السبب الثالث إن شاء الله تعالى.

وأما الأسباب التي استقر أنها من الروايات، فهي إمّا حكم أو مصالح أو أجزاء للعلة، وليست هي العلة التامة، ولكن قد نفهم من السبب الرابع الذي يأتي ذكره، وهو أن الغيبة سر من أسرار الله تعالى، أن هذا السر يشير إلى العلة التامة وليس جزء العلة.

١. أصول المظفر: ١/ ١٦٤.

٢. كمال الدين وتمام النعمة: ص ٤٨٣-٤٨٥.



الإنسان<sup>(١)</sup>، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (النمل: ٧٥).

### المعنى الاصطلاحي للغيبة:

ونقصد بالمعنى الاصطلاحي هو المعنى الذي استعمل في النصوص الدينية، وخصوصاً روايات أهل البيت عليهم السلام التي تتكلم عن غيبة الإمام المهدي عليه السلام، والذي يظهر من الروايات أنها استعملت في معنيين، بل ثلاثة:

المعنى الأول: أن غيبة الإمام عليه السلام بمعنى أن الناس يرونه ولكن لا يستطيعون التعرف عليه، أي أنه لا يُعرف، وقد يعبر عن ذلك باصطلاح خفاء العنوان أو خفاء الشخصية، وقد أشارت بعض النصوص إلى ذلك:

١ - قال الشيخ الصدوق: حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رحمته الله قال: حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري عن محمد بن عثمان العمري رحمته الله، قال: سمعته يقول: والله إن صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كل سنة، فيرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه<sup>(٢)</sup>.

٢ - قال الشيخ النعماني: حدثنا علي بن أحمد، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى العلوي عن أحمد بن الحسين عن أحمد بن هلال عن عبد الرحمن بن أبي نجران عن فضاله بن أيوب عن سدير الصيرفي قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: «إن في صاحب هذا الأمر لشبهاً من يوسف».

فقلت: فكأنك تخبرنا بغيبة أو حيرة؟!!

فقال: «ما ينكر هذا الخلق الملعون أشباه الخنازير، من ذلك؟ إن إخوة يوسف كانوا عقلاء، ألباء، أسباطاً، أولاد أنبياء، دخلوا عليه فكلموه وخاطبوه وتاجروه وراودوه، وكانوا إخوته وهو أخوهم، لم يعرفوه حتى عرفهم نفسه،

١. المصدر السابق.

٢. كمال الدين وتمام النعمة: ٤٤٠.



وقال لهم: أنا يوسف، فعرفوه حينئذٍ، فما تنكر هذه الأمة المتحيرة أن يكون الله ﷻ يريد في وقت من الأوقات أن يستر حجته عنهم، لقد كان يوسف النبي ملك مصر، وكان بينه وبين أبيه مسيرة ثمانية عشر يوماً، فلو أراد أن يعلمه بمكانه لقدر على ذلك، والله لقد سار يعقوب وولده عند البشارة تسعة أيام من بدوهم إلى مصر، فما تنكر هذه الأمة أن يكون الله يفعل بحجته ما فعل بيوسف، وأن يكون صاحبكم المظلوم المجحود حقه، صاحب هذا الأمر يتردد بينهم، ويمشي في أسواقهم، ويطأ فرشهم ولا يعرفونه، حتى يأذن الله له أن يعرفهم نفسه كما أذن ليوسف حين قال له إخوته: ﴿قَالُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ﴾ [يوسف: ٩٠]»<sup>(١)</sup>.

المعنى الثاني: أن غيبة الإمام ﷺ تعني أنه لا يراه الناس، فضلاً عن أنهم لا يعرفونه رغم وجوده، فيكون غير مرئي الجسم، نظير الملائكة والجن، فإن الإنسان لا يستطيع أن يراهم فضلاً عن التعرف عليهم، وقد يعبر عن ذلك في الاصطلاح بخفاء المعنوي، أو خفاء الجسم، أو خفاء الشخص، وغير ذلك من التعبيرات، ولنذكر نموذجين من النصوص التي دللت على هذا المعنى للغيبة:

١ - قال الشيخ الكليني: عدة من أصحابنا عن جعفر بن محمد عن ابن فضال عن الريان بن الصلت قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول - وسئل عن القائم - فقال: «لا يرى جسمه، ولا يسمى اسمه»<sup>(٢)</sup>.

٢ - روى الشيخ علي بن بابويه عن سعد بن عبد الله عن محمد بن أحمد العلوي عن أبي هاشم الجعفري قال: سمعت أبا الحسن العسكري عليه السلام يقول: «الخلف (من بعدي ابني الحسن)، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف؟ قلت: ولم جعلني الله فداك؟ قال: «لأنكم لا ترون شخصه ولا يحل لكم ذكره»

١. الغيبة للنعماني: ١٦٧.

٢. الكافي/١/٣٣٣.



باسمه». قلت: فكيف نذكره؟ فقال: «قولوا: الحجة من آل محمد صلوات الله عليه وسلامه»<sup>(١)</sup>.

المعنى الثالث: وهو جمع بين الرأيين، أي بين أن لا يُعرف شخصه وبين أن لا يرى جسمه، وذلك باختلاف الأزمنة، فبعض الأوقات الإمام عليه السلام يمكن أن يرى جسمه حسب الظروف التي يعيشها، وهذا وجه للجمع بين الطائفتين من الروايات، وإذا صحَّ هذا الجمع، فلا تكون هناك حاجة لترجيح أحد المعنيين المتقدمين على الآخر، وأيضاً لا نرى ضرورة عقائدية لترجيح أحد الرأيين، فتعامل مع ظاهر النصوص من دون حاجة إلى تأويل.

أسباب غيبة الإمام عليه السلام:

من المسائل المهمة في فهم العقيدة المهدوية هي معرفة أسباب الغيبة، فكثيراً ما يطرح هذا السؤال: وهو لماذا غاب الإمام عليه السلام؟ وما هي الظروف والملايسات التي دعت إلى غيبة طويلة؟ ومن خلال النصوص الروائية يمكن تلخيص الأسباب:

أولاً: الخوف من القتل:

وهو سبب عقلائي يدفع بالإنسان أن يحافظ على نفسه من الأعداء، ومن الطبيعي أن الإمام عليه السلام لا يخاف على نفسه القتل، وإنما على الدين، لأن إقامة المشروع الإلهي والدولة العادلة مرتبطة بشخصه الشريف، فإذا قتل فلا يقام العدل والقسط، لذا كان من الضروري أن يحافظ على نفسه من القتل، فغاب بإذن الله تعالى، وهذا الخوف يذكرنا بخوف نبي الله موسى عليه السلام عندما خاف من القتل، قال تعالى: ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ (الشعراء: ٢١). وكذا يذكرنا بخوف الإمام الحسين عليه السلام عندما أرادوا قتله في المدينة المنورة فخاف وخرج إلى مكة.

١. الإمامة والتبصرة: ١١٨.



وقد يطرح سؤال، وهو: لماذا الإمام المعصوم أو الأنبياء يتصفون بصفة الخوف؟ أليس ذلك عيباً ومنقصة؟

والجواب: أن الخوف ظاهرة طبيعية عند بني البشر، فالإنسان يخاف من الشرور، فكيف إذا كان الشر عظيماً جداً، مثل القتل، وخصوصاً إذا كان الشخص لديه مشروع إلهي، كالرسالة أو الإمامة أو إقامة الدولة العادلة، نعم، الأنصاف بالجبن منقصة، وهو ضد الشجاعة، وهذه الصفة أي - الجبن - تتنافى مع العصمة، وهذا بحث آخر.

وهناك تساؤل آخر حاصله أن الخوف قد زال، فلماذا لا يظهر؟ والجواب واضح: فأى أمان هذا في الوقت الذي نجد أغلب البلدان - ومنها بلدان المسلمين - ينتشر فيها القتل والإرهاب على قدمٍ وساق، بحيث لا يدري الإنسان متى يلقى حتفه وعلى يد من؟ لذا فإن الخوف مستمر ولا يمكن القول بأن الوضع الآن آمن. والروايات التي تدل على أن من أسباب الغيبة، خوفه عليه السلام من القتل، عديدة، نذكر منها:

#### الرواية الأولى:

روى الشيخ الكليني عن زرارة بن أعين قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لابد للغلام من غيبة»، قلت: ولم؟ قال: «يخاف - وأوماً بيده إلى بطنه -...»<sup>(١)</sup>.

#### الرواية الثانية:

روى الشيخ الطوسي، عن زرارة، قال: إن للقائم غيبة قبل ظهوره، قلت: [و]لم؟ قال: يخاف القتل<sup>(٢)</sup>.

#### الرواية الثالثة:

١. الكافي ١/ ٣٤٢.

٢. الغيبة للشيخ الطوسي: ٣٣٢.

روى الشيخ الصدوق، عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «للقائم غيبة قبل قيامه»، قلت: ولم؟ قال: «يخاف على نفسه الذبح»<sup>(١)</sup>.

### الرواية الرابعة:

روى الشيخ الصدوق، عن يونس بن عبد الرحمن، قال: دخلت على موسى بن جعفر عليه السلام فقلت له: يا بن رسول الله، أنت القائم بالحق؟ فقال: «أنا القائم بالحق، ولكن القائم الذي يطهر الأرض من أعداء الله ويعكس ويملاها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، هو الخامس من ولدي، له غيبة يطول أمدها خوفاً على نفسه، يرتد فيها أقوام ويثبت فيها آخرون...»<sup>(٢)</sup>.

ولتتميم الفائدة نقل كلاماً للشيخ المفيد والشيخ الطوسي رحمهما الله حول هذا السبب، أي الخوف من الأعداء.

قال الشيخ المفيد رحمته الله: (أمّا تقيه من أعدائه فلا حاجة لي إلى الكلام فيها لظهور ذلك، وأمّا تقيه ممن لا يعرفه، فإنما قلت ذلك على غالب الظن وظاهر الحال وذلك أنه ليس يبعد أن لو ظهر لهم لكانوا بين أمور، إمّا أن يسفكوا دمه بأنفسهم لينالوا بذلك المنزلة عند المتغلب على الزمان ويجوزوا به المال والرياسة أو يسعوا به إلى من يحل هذا الفعل به أو يقبضوا عليه ويسلموه إليه، فيكون في ذلك عطبه، وفي عطبه وهلاكه عظيم الفساد)<sup>(٣)</sup>.

وقال رحمته الله أيضاً: (ثم كان من أمر المعتمد بعد وفاة أبي محمد عليه السلام ما لم يخف على أحد من حبسه لجواريه والمساءلة عن حالهن في الحمل واستبراء أمرهن، عندما اتفقت كلمة الإمامية على أن القائم هو ابن الحسن عليه السلام، فظن المعتمد أنه يظفر به فيقتله ويزيل طمعهم في ذلك، فلم يتمكن من مراده وبقي بعض

١. كمال الدين وتمام النعمة: ٤٨١.

٢. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٦١.

٣. الفصول المختارة: ص ١١١.

جوارى أبي محمد عليه السلام في الحبس أشهراً كثيرة...<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ الطوسي رحمته الله: (لا علة تمنع من ظهوره إلا خوفه على نفسه من القتل، لأنه لو كان غير ذلك لما ساع له الاستتار وكان يتحمل المشاق والأذى فإن منازل الأئمة وكذلك الأنبياء عليهم السلام إنما تعظم لتحملهم المشاق العظيمة في ذات الله تعالى).

فإن قيل: هلاً منع الله من قتله بما يحول بينه وبين من يريد قتله؟

قلنا: المنع الذي لا ينافي التكليف هو النهي عن خلافه، والأمر بوجوب أتباعه ونصرته والتزام الانقياد له وكل ذلك فعله تعالى، وأمّا الحيلولة بينهم وبينه فإنه ينافي التكليف وينقض الغرض [به] لأن الغرض بالتكليف استحقاق الثواب والحيلولة ينافي ذلك، وربما كان في الحيلولة والمنع من قتله بالقهر مفسدة للخلق فلا يحسن من الله فعلها<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: الامتحان والاختبار:

إن الامتحان والاختبار من السنن الإلهية الجارية على جميع بني البشر، قال تعالى: ﴿أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت: ٢). لذا كان هذا الاختبار الإلهي في الغيبة للإمام الثاني عشر عليه السلام لغرض اختبار الناس ليُعرف الصابر من القانط، وليميز المؤمن من غيره، وليعلم الثابت على دينه من المتزلزل، وقد وردت نصوص كثيرة تصرح بذلك، نذكر منها:

الرواية الأولى:

روى أبو محمد الحسن بن عيسى عن أبيه عيسى بن محمد بن علي عن أبيه محمد بن علي بن جعفر<sup>(٣)</sup>، قال: قال: «يا بني إذا فقد الخامس من ولد

١. الفصول المختارة: ص ٣٢٨.

٢. الغيبة للشيخ الطوسي: ص ٣٢٩.

٣. في بقية المصادر بزيادة: عن علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام.



السابع من الأئمة عليه السلام فالله الله في أديانكم، فإنه لا بد لصاحب هذا الأمر من غيبة يغيبها حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به.

يا بني إنما هي محنة من الله تعالى يمتحن بها خلقه ولو علم آباؤكم أصح من هذا الدين لا تتبعوه».

قال أبو الحسن: فقلت له: يا سيدي من الخامس من ولد السابع؟

قال: «يا بني عقولكم تصغر عن هذا، وأحلامكم تضيق عن حمله ولكن إياكم إن تفشوا بذكره»<sup>(١)</sup>.

#### الرواية الثانية:

روى الشيخ النعماني، عن أبي بصير، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام يقول: «والله لتميزن، والله لتمحصن، والله لتغربلن كما يغربل الزؤان»<sup>(٢)</sup> من القمح»<sup>(٣)</sup>.

ثالثاً: كي لا تقع في عنقه بيعة لظالم:

البيعة تعني أن يضع الإنسان المبايع يده في يد الشخص الذي يبايعه وتكون معقودة للولاية والنصرة، كالبيعة التي حصلت من المسلمين للنبي صلى الله عليه وآله حيث يبايعه عدة بيعات: بيعة العقبة الأولى، والعقبة الثانية، والرضوان.

وقد يبايع الإنسان من ليس له استحقاق كالبيعة التي حصلت للملوك الأمويين والعباسيين.

وقد ورد في النصوص الشريفة أن الإمام المهدي عليه السلام غاب لكي لا يعطي البيعة للظالمين، فالبيعة يجب أن تكون له عليه السلام، ولذا ذكر بعض النصوص في ذلك:

١. دلائل الإمامة: ٥٣٤.

٢. الزؤان: ما ينبت غالباً بين الحنطة.

٣. الغيبة للنعماني: ٢١٣.

### الرواية الأولى:

روى الشيخ علي بن بابويه القمي، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «يقوم القائم عليه السلام وليس لأحد في عنقه بيعة»<sup>(١)</sup>.

### الرواية الثانية:

روى الشيخ الصدوق بسنده عن علي بن الحسين سيد العابدين عليه السلام: «القائم منّا، تخفى ولادته على الناس حتى يقولوا: لم يولد بعد، ليخرج حين يخرج وليس لأحد في عنقه بيعة»<sup>(٢)</sup>.

### الرواية الثالثة:

روى الشيخ الصدوق: عن حنان بن سدير، عن أبيه سدير بن حكيم، عن أبيه عن أبي سعيد عقيصا قال: لما صالح الحسن بن علي عليه السلام معاوية بن أبي سفيان دخل عليه الناس، فلامه بعضهم على بيعته، فقال عليه السلام: «ويحكم، ما تدرون ما عملت، والله، الذي عملت خير لشيعتي مما طلعت عليه الشمس أو غربت، ألا تعلمون أنني إمامكم مفترض الطاعة عليكم وأحد سيدي شباب أهل الجنة بنص من رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ؟» قالوا: بلى، قال: «أما علمتم أن الخضر عليه السلام لما خرق السفينة وأقام الجدار وقتل الغلام، كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك، وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكمة وصواباً؟ أما علمتم أنه ما منّا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم الذي يصلي روح الله عيسى بن مريم عليه السلام خلفه، فإن الله تعالى يخفي ولادته، ويغيب شخصه لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج، ذلك التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيدة الإمام، يطيل الله عمره في غيبته، ثم يظهره بقدرته في صورة شاب دون أربعين سنة، ذلك ليعلم أن الله على كل شيء قدير»<sup>(٣)</sup>.

١. الإمامة والتبصرة: ١١٦.

٢. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٢٢.

٣. كمال الدين تمام النعمة: ٣١٦.

توجيه عبارة «ما منّا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة»:

ولعلّ سائلاً يسأل: ماذا تعني عبارة «ما منّا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة

لطاغية زمانه» الواردة في الرواية الثالثة؟

هل إن معناها أن كل الأئمة عليهم السلام قد بايعوا الطغاة؟

والجواب: أن الاحتمالات ثلاثة:

الاحتمال الأول: أن معنى البيعة هو عدم قيام المعصوم بمواجهة الطاغية مواجهة عسكرية وذلك لعدم توفر الظروف الموضوعية والشروط اللازمة للقيام.

الاحتمال الثاني: البيعة بمعنى الاعتراف الظاهري بخلافة الظالم وليس اعترافاً حقيقياً<sup>(١)</sup>.

الاحتمال الثالث: قد يكون معناها هنا كالمعنى اللغوي بمعنى المعاهدة، وهذا من الممكن أن يحصل كما كان يفعل الرسول صلى الله عليه وآله مع المشركين أو يعقد معاهدة للصلح كما فعل الإمام الحسن عليه السلام في صلحه مع معاوية.

ومن هنا نفهم أن الإمام المهدي عليه السلام لا يبايع الظالم، لا بيعة واقعية ولا بيعة ظاهرية أبداً، وقد يقول قائل: إذا كان في حكمة الله تعالى أن يغيب الإمام عليه السلام عن الظالمين فلا تبقى حاجة وموضوع للبيعة؟

والجواب: أن الله تعالى سيطول غيبة الإمام عليه السلام وذلك لغاية، وهي أنه لو ظهر في زمن غير مناسب فسوف تكون له بيعة ظاهرة، ولكي يتجنب ذلك طالت غيبته عليه السلام لهذا الغرض، وقد أوضحنا أن هذا السبب هو جزء العلة وليس هو علة تامة للغيبة، ولعله ينسجم مع طول الغيبة بقاء أكثر منه حدوثاً.

١. تا ظهور (باللغة الفارسية) / نجم الدين الطبرسي / ١ / ١٧.



رابعاً: سر من أسرار الله تعالى:

لا يخفى أن غيبة الإمام عليه السلام هي من الغيب الذي ينبغي الإيمان به، وإن لم نعرف ما هو وجه الحكمة فيه.

لذا ورد في الروايات أن الغيبة من الأسرار الإلهية التي خفيت عنا، ولا يمكن التعرف عليها إلا بعد الظهور للإمام عليه السلام.

وفي ذلك نقل بعض النصوص:

الرواية الأولى:

روى الشيخ الصدوق عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ علي بن أبي طالب عليه السلام إمام أمتي وخليفتي عليها من بعدي، ومن ولده القائم المنتظر الذي يملأ الله به الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، والذي بعثني بالحق بشيراً إنَّ الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعز من الكبريت الأحمر»، فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري فقال: يا رسول الله وللقائم من ولدك غيبة؟ قال: «إي وربي، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين، يا جابر إن هذا الأمر (أمر) من أمر الله وسر من سر الله، مطوي عن عباد الله، فإياك والشك فيه فإن الشك في أمر الله عز وجل كفر»<sup>(١)</sup>.

الرواية الثانية:

روى الشيخ الصدوق: حدثنا علي بن عبد الله الوراق قال: حدثنا سعد بن عبد الله، عن أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري قال: دخلت على أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن الخلف [من] بعده، فقال لي مبتدئاً: «يا أحمد بن إسحاق، إنَّ الله تبارك وتعالى لم يخل الأرض منذ خلق آدم عليه السلام ولا يخلها إلى أن تقوم الساعة من حجة الله على خلقه، به يدفع البلاء عن أهل الأرض، وبه ينزل الغيث، وبه يخرج بركات الأرض... يا أحمد بن

١. كالدين تمام النعمة: ٢٨٧.



إسحاق: هذا أمر من أمر الله، وسر من سر الله، وغيب من غيب الله، فخذ ما آتيتك واكتمه وكن من الشاكرين تكن معنا غداً في عليين»<sup>(١)</sup>.

### الرواية الثالثة:

روى الشيخ الصدوق عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يقول: «إن لصاحب هذا الأمر غيبة لا بد منها، يرتاب فيها كل مبطل»، فقلت: ولم جعلت فداك؟ قال: «لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم؟ قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ قال: «وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدمه من حجج الله تعالى ذكره، إن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره كما لم ينكشف وجه الحكمة فيما أتاه الخضر عليه السلام من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار لموسى عليه السلام إلى وقت افتراقهما. يا بن الفضل: إن هذا الأمر أمر من (أمر) الله تعالى وسر من سر الله، وغيب من غيب الله، ومتى علمنا أنه صلى الله عليه وآله حكيم صدقنا بأن أفعاله كلها حكمة وإن كان وجهها غير منكشف»<sup>(٢)</sup>.

### خامساً: الظلم والتجاوز على الأمة سبب لغيبة الإمام عليه السلام:

لا شك أن من أهم النعم التي أنعم الله تعالى بها على الإنسان هي نعمة وجود الإمام المعصوم، هذه النعمة التي طالما تحتاج إلى شكر ولكن كثيراً من الناس لم يؤدوا حقها.

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ما بال أقوام غيروا سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وعدلوا عن وصيته؟ لا يتخوفون أن ينزل بهم العذاب» ثم تلا هذه الآية «﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾» (إبراهيم: ٢٨)، ثم قال: «نحن النعمة التي أنعم الله بها على عباده، وبنا يفوز من فاز يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>.

١. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٨٤-٣٨٥.

٢. كمال الدين وتمام النعمة: ٤٨١-٤٨٢.

٣. الكافي: ١/٢١٧.

وفي خصوص الإمام المنتظر عليه السلام وردت النصوص أن غيابه عليه السلام هو سلب للنعمة بسبب ظلم الناس وتجاوزهم وطغيانهم، وإليك بعض النصوص:  
 الرواية الأولى: عن الفضل بن عمر، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «... واعلموا أن الأرض لا تخلو من حجة لله تعالى، ولكن الله سيعمي خلقه عنها بظلمهم وجورهم وإسرافهم على أنفسهم، ولو خلت الأرض ساعة واحدة من حجة لله لساخت بأهلها، ولكن الحجة يعرف الناس ولا يعرفونه، كما كان يوسف يعرف الناس وهم له منكرون»، ثم تلا: «﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤْنَ﴾ [يس: ٣٠]»<sup>(١)</sup>.

الرواية الثانية: روى الشيخ الكليني عن محمد بن الفرج قال: كتب إلي أبو جعفر عليه السلام: «إذا غضب الله تبارك وتعالى على خلقه نحنا عن جوارهم»<sup>(٢)</sup>.

الرواية الثالثة: روى الشيخ الطوسي عن الفضل بن عمر الجعفي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «... فإن أشد ما يكون غضب الله على أعدائه إذا افتقدوا حجته، فلم يظهر لهم، وقد علم أن أولياءه لا يرتابون، ولو علم أنهم يرتابون ما غيب (عنهم) حجته طرفة عين، ولا يكون ذلك إلا على رأس أشرار الناس»<sup>(٣)</sup>.

الرواية الرابعة: روى الشيخ الصدوق عن أحمد بن الحسين بن عمر بن محمد بن عبد الله عن مروان الأنباري قال: خرج من أبي جعفر عليه السلام: «إن الله إذا كره لنا جوار قوم نزعنا من بين أظهرهم»<sup>(٤)</sup>.

وقد يطرح هاهنا تساؤل، وهو: هل من المعقول أن تسلب النعمة عن

١. الغيبة للشيخ النعماني: ١٤٤.

٢. الكافي: ١/٣٤٣.

٣. الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٥٧.

٤. علل الشرائع: ١/٢٤٤.

المؤمنين؟ ألا يعد ذلك ظلماً؟

ويمكن الجواب: أن هذه النعم التي أنعم الله بها علينا، ومنها نعمة حضور الإمام عليه السلام هي في الحقيقة تفضل من الله تعالى ورحمة، فيمكن أن يرفعها تعالى لسبب، مثل ارتكاب الذنوب، وليس هي استحقاق حتى يوجب زوالها الظلم، فالذنوب والمعاصي ترفع النعم، فنحن نقرأ في دعاء كميل عليه السلام: «اللهم اغفر لي الذنوب التي تغير النعم»<sup>(١)</sup>.

ويقول الشيخ المازندراني: (إن الذنوب الظاهرة قد توجب سلب النعمة الواصلة على ما روى ما أنعم الله على عبد نعمة فسلبها إياها حتى يذنب ذنباً يستحق بذلك السلب ودل عليه أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١))<sup>(٢)</sup>.

وورد في تفسير الأمل: (وعليه فعندما ينسب الشر إلى الله فإنما يقصد به على الظاهر سلب النعمة، وهو بحد ذاته خير، فهو إما أن يكون للإيقاظ والتربية والتعليم وكبح حالات الغرور والطغيان والذاتية أو لمصالح أخرى)<sup>(٣)</sup>.

سادساً: تخلية أصلاب الكفار من جميع المؤمنين:

اقتضت مشيئة الله تعالى أن أناساً مؤمنين يلقبهم الله تعالى في أصلاب قوم كافرين، قال تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ (الأنعام: ٩٥) وقد ورد أن الإمام المهدي عليه السلام لا يظهر حتى يظهر آخر هؤلاء المؤمنين إلى الدنيا من أصلاب الكافرين إكراماً لهم، ومن الواضح أن هذا كما هو سبب للغيبة هو سبب لاستمرارها وطولها، ولنذكر نصاً ورد في ذلك:

١. مصباح المتهدد: ص ٨٤٤.

٢. شرح أصول الكافي: ١٥٢/٣.

٣. تفسير الأمل: ٤٨٣/٦.



روى الشيخ الصدوق: عن محمد بن أبي عمير، عن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ما بال أمير المؤمنين عليه السلام لم يقاتل مخالفه في الأول؟ قال: «لاية في كتاب الله تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ [الفتح: ٢٥]»، قال: قلت: وما يعني بتزاييلهم؟ قال: «ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين، وكذلك القائم عليه السلام لم يظهر أبداً حتى تخرج ودائع الله تعالى، فإذا خرجت ظهر على من ظهر من أعداء الله تعالى فقتلهم»<sup>(١)</sup>.

وهنا تساؤل، وهو: إذا كان الإمام عليه السلام لا يظهر إلا بعد تخلية المؤمنين من صلب الكفار، فهل تخلو الأرض منهم عند ظهوره؟

والجواب: أن الرواية التي صرّحت بسبب الغيبة تصرّح بأن الودائع المؤمنة تخرج، أي سوف لا يتولد مؤمن من كافر ولا تذكر أن الكفار أو المنافقين سيتوقف نسلهم، فممكن يتولدون ويكونون أعداءً للحجة عليه السلام، ولكن الله تعالى وعده بالنصرة عليهم.

#### سابعاً: إذاعة الأسرار:

من أسباب غيبته عليه السلام أنه لئلا يشتهر بين الناس ويُعرّف فيطلب، وهذا الاشتهار يحصل بسبب الناس فإنهم السبب في اشتهاره لذا غيّه الله تعالى، مما ورد في ذلك:

#### الرواية الأولى:

الشيخ الكليني عن معروف بن خربوذ عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إنما نحن كنجوم السماء، كلما غاب نجم طلع نجم، حتى إذا أشرتم بأصابعكم وملتم بأعناقكم غيّب الله عنكم نجمكم، فاستوت بنو عبد المطلب، فلم يعرف أي من أي، فإذا طلع نجمكم فاحمدوا ربكم»<sup>(٢)</sup>.

١. كمال الدين وتمام النعمة: ٦٤١.

٢. الكافي: ١/٣٣٨؛ الغيبة للنعماني: ١٥٨.

قال المازندراني: (فإذا لم يكن الإمام ظاهراً وجب أن يكون محتجباً بحجاب الغيبة، كالنجم المحتجب بالسحاب، أمّا في قوله: «حتّى أشرتُم بأصابعكم...»، الإشارة بالأصابع والميل بالأعناق كناية عن الشهرة والزيارة، وهما من أسباب غيبة الإمام ﷺ عن شيعته ليحفظ نفسه المعصومة ونفوسهم المحترمة عن شر الأعداء...)<sup>(١)</sup>.

#### الرواية الثانية:

روى الشيخ النعماني عن أبي الجارود، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «لا تزالون تمدون أعناقكم إلى الرجل منّا، تقولون: هو هذا، فيذهب الله به حتّى يبعث الله لهذا الأمر من لا تدرون وُلد أم لم يولد، خُلق أم لم يُخلَق»<sup>(٢)</sup>.  
ثامناً: إتمام الحجة بأن تكون دولة أهل البيت عليهم السلام آخر الدول، ومما روي في ذلك عدة روايات، منها:

#### الرواية الأولى:

روى الشيخ الطوسي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «دولتنا آخر الدول، ولن يبق أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا، لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا: إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله ﷻ: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]»<sup>(٣)</sup>.  
الرواية الثانية:

روى الشيخ النعماني عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «ما يكون هذا الأمر حتّى لا يبقى صنف من الناس إلا وقد ولوا على الناس حتّى لا يقول قائل: إننا لو ولينا لعدلنا، ثم يقوم القائم بالحق والعدل»<sup>(٤)</sup>.

١. شرح أصول الكافي: ٦/ ٢٥٩.

٢. الغيبة للنعماني: ١٨٩.

٣. الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٧٢.

٤. كتاب الغيبة للنعماني: ج ١، ص ٢٨٠، رقم الحديث ٥٣.

٣. المصدر السابق.



### الرواية الثالثة:

روى الصدوق عن محمد بن أبي عمير قال: كان الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يقول:

«لكل أناس دولة يرقبونها  
وتولتنا في آخر الدهر تظهر»<sup>(٣)</sup>  
تاسعاً: إجراء سنن الأنبياء عليهم السلام:

ورد في النصوص أن السنن الإلهية والقوانين التي جرت على الأنبياء السابقين ومنها الغيبة تجري على إمامنا المهدي عليه السلام، ولعل هذه العلة في طول العلل الأخرى، فمثلاً من السنن الإلهية أن موسى عليه السلام غاب عن قومه، وكذا الإمام المهدي عليه السلام، لكن وراء ذلك سبب وهو الخوف من القتل أو غير ذلك. ولنذكر نماذج من النصوص دالة على ذلك:

### الرواية الأولى:

روى الشيخ الصدوق عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن سنن الأنبياء عليهم السلام بما وقع بهم من الغيبات حادثة في القائم من أهل البيت، حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة»<sup>(١)</sup>.

### الرواية الثانية:

روى الرواندي عن أبي عبد الله عليه السلام: «للقائم منّا غيبة يطول أمدها». قيل: ولم ذلك؟ قال: «لأن الله تعالى أبى إلا أن تجري فيه سنن من الأنبياء في غيباتهم، فإنه لا بد له من استيفاء مدة الغيبات، قال الله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ٤]، أي سنن من كان قبلكم»<sup>(٢)</sup>.

### الرواية الثالثة:

روى الشيخ الصدوق عن الحسن بن محمد بن صالح البزاز قال: سمعت

١. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٤٥، والقذة: ريش السهم.

٢. الخرائج والجرائح: ٢/٩٥٥.

الحسن بن علي العسكري عليه السلام يقول: «إنَّ ابني هو القائم من بعدي وهو الذي يجري فيه سنن الأنبياء عليهم السلام بالتعمير والغيبة، حتَّى تقسو القلوب لطول الأمد، فلا يثبت على القول به إلا من كتب الله عز وجل في قلبه الإيمان وأيده بروح منه»<sup>(١)</sup>.

### نتيجة البحث:

من خلال استنطاق النصوص الشريفة المتمثلة بروايات لأهل البيت عليهم السلام تم إثبات تسعة أسباب أو علل لغيبة الإمام المهدي عليه السلام:  
 (الخوف، الامتحان، عدم بيعة الظالم، سلب النعمة، تخلية أصلاب الكفار من المؤمنين، إذاعة الأسرار، إتمام الحجة وإجراء سنن الأنبياء عليهم السلام).  
 والتاسع منها: وإن عددناه في عداد الأسباب إلا أنه في الحقيقة سبب غير معلوم لنا كونه سر من أسرار الله تعالى، وإنما عددناه لأجل ذكر الروايات له. وتم علاج بعض الإشكالات التي أثيرت ضد علة الخوف، كما وتم إعطاء تفسيرات للإشكال الذي يثار ضد العلة الثالثة.  
 وأيضاً من خلال البحث عن حقيقة الغيبة لغةً واصطلاحاً، ذكرنا محاولة لإيجاد ملائمة بين معنى الغيبة في الروايات التي ذكرت أكثر من معنى وبين المعنى المصطلح واللغوي.

١. كمال الدين وتمام النعمة: ٥٢٤.



**ALMAUOOD**

[www.m-mahdi.com/almauood](http://www.m-mahdi.com/almauood)

[almauood@m-mahdi.com](mailto:almauood@m-mahdi.com)



## آليات المحاججة اللغوية في توقيعات الإمام المهدي عليه السلام

### الروابط الحجاجية مثلاً

د. عبد الإله عبد الوهاب العرداوي

قسمنا البحث على شقين:

أولاً: الإطار النظري:

١ - فن التوقيعات الأدبية:

أ - التوقيعات لغة:

التوقيعات في اللغة مشتقة من التوقيع الذي هو بمعنى التأثير، يقال: وقع الدبر ظهر البعير إذا أثر فيه، وكذلك الموقع (كاتب التوقيع) يؤثر في الخطاب، أو الكتاب الذي كتب فيه حساً أو معنى<sup>(١)</sup> وقيل: إن التوقيع مشتق من الوقوع، لأنه سبب في وقوع الأمر الذي تضمنه، أو لأنه إيقاع الشيء المكتوب في الخطاب أو الطلب، فتوقيع كذا، معنى إيقاعه<sup>(٢)</sup> قال الخليل: التوقيع في الكتاب إلحاق فيه بعد الفراغ منه أو اشتقاقه من قولهم وقعت الحديقة بالمقعة، وهي المطرقة إذا ضربتها، وحمار موقع الظهر: إذا أصابته في ظهره دبرة، والوقية، نقرة في صخرة يجتمع فيها الماء وجمعها: وقائع فكأنه

١. ينظر لسان العرب ٤٠٦/٨ مادة (وقع) وتاج العروس ٥٢٥/١١، وزهر الأكم في الامثال والحكم:

٢/٢٢٠، وتاريخ آداب اللغة العربية: ٢٥.

٢. ينظر تاج العروس: ٥٢٢/١١، وزهر الأكم: ٢/٢٢٠.



سمي توقيعاً، لأنه تأشير في الكتاب أو لأنه سبب وقوع الأمر وإنفاذه، من أوقعت الأمر فوقه<sup>(١)</sup> وقال ابن الأنباري: (توقيع الكتاب في الكتاب المكتوب أن يجمل بين تضاعيف سطوره مقاصد الحاجة، ويحذف الفضول، وهو مأخوذ من توقيع الدبر ظهر البعير، فكأن الموقع في الكتاب يؤثر في الأمر الذي كتب الكتاب فيه ما يؤكد ويوجهه)<sup>(٢)</sup>.

### ب - التوقيع اصطلاحاً:

لقد اكتسبت التوقيعات في الإسلام معنى اصطلاحياً يرتبط بالمعنى اللغوي الذي ذكرناه سابقاً فأصبحت تستعمل لما يوقعه الكاتب على القضايا أو الطلبات المرفوعة إلى الخليفة أو السلطان أو الأمير فكان الكاتب يجلس بين يدي الخليفة في مجالس حكمه فإذا عرضت قضيته على السلطان أمر الكاتب أن يوقع بما يجب إجراؤه، وقد يكون الكاتب أحياناً السلطان نفسه<sup>(٣)</sup>. يقول البطليوسي في بيان التوقيع اصطلاحاً: (وأمّا التوقيع فإن العادة جرت أن يستعمل في كل كتاب يكتبه الملك أو من له أمر ونهي في أسفل الكتاب المرفوع إليه، أو على ظهره، أو في عرضه بإيجاب ما يسأل أو منعه، كقول الملك ينفذ هذا إن شاء الله، أو هذا صحيح وكما يكتب الملك على ظهر الكتاب، لترد على هذا ظلامته أو لينظر في خبر ذلك أو نحو ذلك).

وتطور مفهوم التوقيعات في العصر العباسي واكتسب دلالة أدبية فأصبحت تطلق على تلك الأقوال البليغة الموجزة المعبرة التي يكتبها المسؤول في الدولة أو يأمر بكتابتها على ما يرفع إليه من قضايا أو شكايات متضمنة ما ينبغي اتخاذه من إجراء نحو كل قضية أو مشكلة، وهي بهذا المفهوم أشبه ما تكون

١. الاقتضاب في شرح أدب الكاتب: ١/ ١٩٦.

٢. لسان العرب: ٨/ ٤٠٦ مادة وقع، وينظر تهذيب اللغة: ٣/ ٣٥-٣٦ مادة (وقع).

٣. ينظر: تاريخ آداب اللغة العربية: ٢٥.



بتوجيه المعاملات الرسمية في الوقت الحاضر<sup>(١)</sup>.

### ج - أنواع التوقيعات:

إن التوقيعات بمجملها لا تخرج عن الأنواع الآتية<sup>(٢)</sup>:

- ١ - قد يكون التوقيع آية قرآنية تناسب الموضوع الذي تضمنه الطلب أو استقلت عليه القضية.
- ٢ - قد يكون التوقيع بيت شعر.
- ٣ - قد يكون مثلاً سائراً.
- ٤ - وقد يكون حكمة.
- ٥ - وقد يكون غير ما ذكر.

### د - فن التوقيعات عبر العصور التاريخية:

١ - التوقيعات في العصر الجاهلي: التوقيع فن أدبي نشأ في أحضان الكتابة في التدوين وارتبط بهما، ولذلك لم يعرف العرب في الجاهلية التوقيعات الأدبية، بسبب أن الكتابة لم تكن شائعة بينهم، بل كان الذين يعرفون الكتابة في هذا العصر قلة نادرة فالأدب الجاهلي في مجمله كان شفاهياً وليس كتابياً<sup>(٣)</sup>.

### ٢ - التوقيعات في صدر الإسلام:

شاعت الكتابة في عصر صدر الإسلام وأصبح الذين يجيدونها يمثلون نسبة كبيرة، فضلاً عن استعمال الكتابة في تحبير الرسائل وتبليغ أوامر الخليفة وتوجيهاته إلى الولاة والقواد في مختلف أنحاء الدولة الإسلامية<sup>(٤)</sup>.

١. ينظر فن التوقيعات الأدبية في العصر الإسلامي والأموي والعباسي: بحث منشور على الانترنت على موقع مجلة الأديب العربي.

٢. ينظر المرجع نفسه: بحث منشور على الانترنت على موقع مجلة الأديب العربي.

٣. ينظر فن التوقيعات الأدبية في العصر الإسلامي والأموي والعباسي: بحث منشور على الانترنت على موقع مجلة الأديب العربي.

٤. ينظر المرجع نفسه بحث منشور على الانترنت على موقع مجلة الأديب العربي.

### ٣ - التوقيعات في العصر الأموي:

عدت التوقيعات في العصر الأموي فناً أدبياً بعد أن كثر استعمالها وشاعت إذ اعتاد كل خليفة أموي أو بعض الأمراء والولاة والقواد أن يوقّع على الرسائل التي ترد إليه بعد أن يطلع عليها ويعرف مضمونها<sup>(١)</sup> وقد وصلت نماذج كثيرة لتوقيعاتهم مبثوثة في المصادر القديمة.

### ٤ - التوقيعات في العصر العباسي:

أصاب التوقيعات الأدبية في العصر العباسي الذيوع والانتشار بسبب ازدهار الكتابة الفنية وتعدد أغراضها وحلّت محل الخطابة في كثير من شؤون الدولة وقضاياها، وأصبح الكاتب البليغ مطلباً من مطالب الدولة تحرص عليه وتبحث عنه لتسند إليه عمل تحرير المكاتبات وأصبح لا يحظى بالوزارة إلا ذوو الأقلام الراقية من الكُتّاب والبلغاء المترسلين كالبرامكة والفضل بن الربيع، والفضل والحسين ابني سهل وغيرهم من الكُتّاب الذين جمعوا بين الوزارة والكتابة الأدبية البليغة<sup>(٢)</sup>، كما أصبح للتوقيعات ديوان خاص سُمي بديوان التوقيعات أُسند العمل فيه إلى بلغاء الأدباء والكُتّاب ممن عُرف بالشهرة وبلاغة القول وشدة العارضة وحسن التأني للأموور والمعرفة بمقاصد الأحكام وتوجيه القضايا.

### هـ - معايير التوقيع الأدبي<sup>(٣)</sup>:

ليس كل توقيع يصلح أن يكون توقيعاً أدبياً، وإنما لابد للتوقيع من المعايير الآتية:

١. ينظر: فن التوقيعات الأدبية في العصر الإسلامي والأموي والعباسي: بحث منشور على الانترنت على موقع مجلة الأديب العربي.
٢. ينظر: المرجع نفسه بحث منشور على الانترنت على موقع مجلة الأديب العربي.
٣. ينظر: المرجع نفسه بحث منشور على الانترنت على موقع مجلة الأديب العربي.



١- الإيجاز: وهو أن تكون ألفاظه قليلة معدودة ذات معان غزيرة.

٢- البلاغة: وهو أن يكون التوقيع مناسباً للحالة أو القضية التي قيل فيها.

٣- الإقناع: وذلك أن يتضمن التوقيع من وضوح الحجة وسلامتها ما يحمل الخصم على التسليم ومن قوة المنطق وبراعته ما يقطع على صاحب الطلب عودة المراجعة.

التوقيعات عند آل البيت عليهم السلام:

برزت التوقيعات عند آل البيت عليهم السلام لاسيما ما ورد من توقيعات للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام؛ فمن توقيعاته ما وقّع به إلى طلحة بن عبيد الله «في بيته يُؤتى الحكم»<sup>(١)</sup>.

ووقع في كتاب سلمان الفارسي - وكان سأله كيف يُحاسب الناس يوم القيامة- «يحاسبون كما يرزقون»<sup>(٢)</sup> ووقع في كتاب أتاه من الأشتر النخعي فيه بعض ما يكره «مَنْ لَكَ بِأَخِيكَ كَلَهُ»<sup>(٣)</sup>.

ووقع في كتاب لصعصعة بن صوحان يسأله في شيء: «قيمة كل امرئ ما يحسن»<sup>(٤)</sup> وكتب إليه الحُضَيْن بن المنذر في صفين يذكر أن السيف قد أكثر في ربيعة، وبخاصة في أسرى منهم، فوقع إليه: «بقيّة السيفِ أنميّ عدداً»<sup>(٥)</sup>.

إن كلمة التوقيع ذكرت لأول مرة في روايات الإمام الكاظم عليه السلام حيث كتبها عليه السلام تحت أحد الكتب على نحو التذكير. وبهذا الشكل وهذا التركيب جاءت بعض الروايات عن الإمام الرضا عليه السلام<sup>(٦)</sup>، ولكن هذا الاصطلاح

١. التوقيع في الأصل مثل ينظر: المثل وقصته: جمهرة الأمثال: ١/٣٦٨، ومجمع الأمثال: ١٩/٢.

٢. العقد الفريد: ٤/٤١.

٣. م.ن: ٤/٤٢.

٤. م.ن: ٤/٤٢.

٥. م.ن: ٤/٤٢.

٦. الكافي: ٣/٥.

أصبح مختصاً فيما بعد بالتوقيعات الصادرة عن الإمام المهدي ﷺ حيث أصبح يطلق على ما جاء مكتوباً منه ﷺ إلى علماء الشيعة أو لم يكن مكتوباً، بل عن مشافهة<sup>(١)</sup>.

### توقيعات الإمام المهدي ﷺ:

نقلت كتب متفرقة التوقيعات الصادرة عن الإمام المهدي ﷺ في سنوات مختلفة، سواء ما كان منها في زمان سفارة عثمان بن سعيد العمري ﷺ أو زمان سفارة ابنه محمد العمري ﷺ، منها ما صدر عن الإمام المهدي ﷺ مشتملاً على الصلاة على النبي ﷺ وآل بيته ﷺ، أو في توثيق محمد بن جعفر الأسدي وكيل الإمام المهدي ﷺ، وقد صدر التوقيع إلى صالح بن أبي صالح أو غيرها.

كذا صدر توقيع منه عن طريق الحسين بن روح ﷺ وكان هذا التوقيع موجه إلى علي بن أحمد العقيقي من أجل مساعدة الحسين بن روح ﷺ من الضيق الذي كان فيه حيث كان عاملاً في ذلك الوقت عند محمد بن عثمان بن سعيد العمري ﷺ، كما هناك توقيعات عديدة صدرت منه ﷺ في زمان سفارة الحسين بن روح النوبختي ﷺ.

وفي نهاية الغيبة الصغرى صدر توقيع من الإمام المهدي ﷺ إلى علي بن محمد السمرى ﷺ آخر نواب الإمام المهدي ﷺ أخبره فيها أنه سيموت بعد ستة أيام وأن لا يوصي لأحد من بعده كوكيل خاص للإمام ﷺ فقد بدأت الغيبة الكبرى وكان هذا سنة ٣٢٨ أو سنة (٣٢٩ هـ).

وفي عصر الغيبة الكبرى صدر توقيعان من الإمام المهدي ﷺ إلى الشيخ المفيد وكان هذا في سنة (٤١٠ و ٤١٢ هـ). وهناك الكثير من التوقيعات لكنها غير معلومة التاريخ.

١. كتاب الغيبة: ٣ - ٩.



ومما تقدم يتضح أن التوقيع عنوان للخطاب الصادر عن أئمة أهل البيت عليهم السلام لشيعتهم ولا سيما من الإمام المهدي عليه السلام حيث كان يكتبه بخط يده لشيعته، والدليل على أنه صادر عن الإمام عليه السلام وجود إمضائه، والتوقيعات التي كانت تصدر عنه عليه السلام ترسل إلى نوابه المعتمدين في الغيبة الصغرى، وفي الغالب فإن هذه التوقيعات تحمل طابع الإعجاز وخرق العادة، وهي واحدة من دلائل إمامته عليه السلام.

والمراد من التوقيعات الصادرة عن الإمام المهدي عليه السلام لشيعته، بيان أمر من الأمور، أو جواب سؤال يرفع في رقعة إلى الإمام المهدي عليه السلام عن طريق سفرائه، أو أنه عليه السلام يرسل التوقيع دون سؤال من أحد. وأكثر التوقيعات صدرت في الغيبة الصغرى، وفي الأعم الأغلب تكون موجهة إلى سفرائه عليهم السلام أو أحد وكلائه. وهناك بعض التوقيعات صدرت عن الإمام عليه السلام في الغيبة الكبرى كما في التوقيعين الصادرين إلى الشيخ المفيد.

### ٣ - الروابط الحجاجية:

ارتبط مفهوم الروابط في عدة دراسات بالمباحث النحوية والدلالية من دون النظر إلى وظيفتها الحجاجية والتداولية، إذ عد بعض الدارسين (أن دورها لا يتجاوز الربط بين الجمل والقضايا أمّا بعدّها الحجاجي فقد برز مع ديكر و في إطار صياغته للتداولية المدججة وهي النظرية التداولية التي تشكل جزءاً من النظرية الدلالية)<sup>(١)</sup>، إذ لم يغفل ديكر و زميله في أثناء صياغتهما لـ (النظرية الحجاجية في اللغة) هذا الجانب المهم الذي يتمركز في أبنية اللغة بوصفها ظاهرة لغوية مهمة جداً لها ارتباط بطريقة مباشرة في توجيه الحجاج من خلال إحداث الانسجام داخل الخطاب والدفع باتجاه تحقيق الإقناع عبر استمالة المتلقي وتوجيهه نحو الغاية التي يريد المتكلم بمعنى أنها عناصر لغوية

١. معالم لدراسة تداولية حجاجية للخطاب الصحافي ١٩١.

تلعب دوراً أساسياً في اتساق النص وانسجامه، وربط أجزائه شكلاً ومضموناً من أجل تحقيق الوظيفة التوجيهية الحجاجية للملفوظات<sup>(١)</sup> وبحسب تصور ديكر وفقد أشار شكري المبخوت إلى تنوع أشكال الربط الحجاجي بقوله (إذا كانت الوجهة الحجاجية محددة بالبنية اللغوية، فإنها تبرز في مكونات ومستويات مختلفة من هذه البنية فبعض هذه المكونات يتعلق بمجموع الجملة أي هو عامل حجاجي في عبارة ديكر وفقيدها بعد أن يتم الإسناد فيها ومن هذا النوع نجد النفي والاستثناء المفرغ والشرط والجزاء وما إلى ذلك مما يغير قوة الجملة دون محتواها الخبري ونجد مكونات أخرى ذات خصائص معجمية محددة تؤثر في التعليق النحوي وتتوزع في مواضيع متنوعة من الجملة الحجاجية اللغوية، ومن هذه الوحدات المعجمية حروف الاستئناف بمختلف معانيها والأسوار (بعض، كل، جميع) وما اتصل بوظائف نحوية مخصوصة كحروف التقليل أو ما تخوض لوظيفة من الوظائف مثل (قط) أو (ابدا)<sup>(٢)</sup> ومن هنا ميز أبو بكر العزاوي بين الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية (فالروابط الحجاجية تربط بين قولين أو بين حجتين على الأصلح (أو أكثر) وتسد لكل قول دوراً محدداً داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة)<sup>(٣)</sup>.

كما فصل العزاوي القول في طبيعة هذه الروابط وقسمها على أقسام هي<sup>(٤)</sup>:

- الروابط المدرجة للحجج (حتى، بل، لكن، مع ذلك، لان)
- الروابط المدرجة للتائج (اذن، لهذا، بالتالي)
- الروابط التي تدرج حججاً قوية (حتى، بل، لكن، لاسيما)

١. ينظر رسائل الامام عليه السلام في نهج البلاغة - دراسة حجاجية: ٩٣ - ٩٤.

٢. ينظر: نظرية الحجج في اللغة العربية ضمن كتاب (أهم نظريات الحجج) ٣٧٧.

٣. الحجج في اللغة: ١٤.

٤. ينظر: المرجع نفسه: ٦٥.





- روابط التعارض الحجاجي (بل، لكن، مع ذلك)

- روابط التساوق الحجاجي (حتى، لاسيما)

من خلال ما سبق تبين أن الروابط اللغوية تسهم في انسجام الخطاب وتماسكه من خلال ربطها بين القيمة الحجاجية لقول ما وبين النتيجة أي الربط بين قضيتين وترتيب أجزاء القول ومنحها القوة المطلوبة بوصف هذه الأشياء حججاً في الخطاب<sup>(١)</sup>، لقد أثرت هذه الروابط تأثيراً كبيراً في أدلجة الحجاج في توقيعات الإمام المهدي عليه السلام بالخاصية الاقناعية والتأثيرية وهذا ما سنراه في الإطار التطبيقي.

ثانياً: الإطار التطبيقي:

يعد خطاب الإمام المهدي عليه السلام مدونة تراثية فكرية، فهو من أعرق النصوص الأدبية وأفصحها وهذا ديدن أئمة أهل البيت عليهم السلام ومنهم الإمام المهدي عليه السلام، ومن ذلك الخطاب الثر لتوقيعاته حيث بنيت على أسس تبليغية على وفق مقدمات خطابية تواصلية تحاور الناس عبر بوابة الإقناع والتأثير في المتلقي واعتماد استراتيجيات توجيه عقل المخاطب وروحه وضميره وتوقيعات الإمام المهدي عليه السلام يمكن مقاربتها حججياً من خلال دورها في إقناع الآخر والتأثير فيه، فقد توافرت في هذه التوقيعات مجموعة لا بأس بها من الروابط التي تميزت بفاعليتها الحجاجية وتوجيه دلالة المحاججة، لذلك سوف نعمل في هذه الأوراق البحثية إلى إعطاء صورة مكثفة لأهم الروابط الحجاجية التي ترد في هذه التوقيعات معتمدين في تقسيمها وفق ما يأتي<sup>(٢)</sup>:

١ - روابط التعارض الحجاجي

٢ - روابط التساوق الحجاجي

١. ينظر: رسائل الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة. دراسة حجاجية: ٩٨.

٢. رسائل الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة - دراسة حجاجية: ٩٨.

٣ - روابط التعليل الحجاجي

٤ - روابط العطف الحجاجي

أ - روابط التعارض الحجاجي / الرباط الحجاجي (لكن):

وهي من الأدوات النحوية التي حددها العلماء العرب لنفي كلام وإثبات غيره، ومن هذا المنطلق فإن هذه الأداة تقيم علاقة ربط بين قولين متناقضين أو متنافيين هو من الناحية الحجاجية ربط حجاجي تداولي بين المعطى والنتيجة<sup>(١)</sup> وتدل الخطاطة الحجاجية الموضحة التي قدمها أصحاب النظرية الحجاجية للأداة (لكن) إلى أن التلفظ بأقوال من نمط (أ لكن ب) يستلزم أمرين:

١ - إن المتكلم يقدم (أ) و(ب) بوصفها حجتين، الحجة الأولى موجهة نحو نتيجة معينة (ن)، والحجة الثانية موجهة نحو النتيجة المضادة لها أي (لا - ن).  
٢ - إن المتكلم يقدم الحجة الثانية بوصفها الحجة الأقوى وبوصفها توجه القول أو الخطاب برمته<sup>(٢)</sup>.

ومن هذه الخطاطة نجد أن وظيفة (لكن) ومثلها (بل) الحجاجيتين تعمل على قلب الفرضية بين ما يتقدم الرباط وما يتبعه فما يسبق الرباط (لكن) يتضمن حجة (أ)، (ظاهرة) تخدم نتيجة (ضمنية) متوقّعه (ن) وما بعد الرباط يتضمن حجة (ب) (ظاهرة) تخدم نتيجة (ضمنية) مضادة (لا - ن) للنتيجة السابقة (ن) وهنا يكون دور الرباط الحجاجي (لكن) في الربط بين قولين متنافيين من جانب وإعطاء الحجة الثانية التي تأتي بعده بالقوة اللازمة التي تجعلها أقوى من الحجة الأولى التي سبقت الرباط، ونتيجة لذلك فقد عمل الرباط على توجيه القول بجملة نحو النتيجة المضادة (لا - ن)<sup>(٣)</sup>.

١. رسائل الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة - دراسة حجاجية: ٩٩.

٢. ينظر: اللغة والحجاج: ٥٨.

٣. ينظر: رسائل الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة - دراسة حجاجية: ٩٩.



وقد ورد ذكرها - لكن - في توقيعات الإمام المهدي عليه السلام في قوله: «ولولا أن أمر الله لا يغلب، وسرّه لا يظهر ولا يلعن، لظهر لكم من حقنا ما تبتز منه عقولكم، ويزيل شكوككم، ولكن ما شاء الله كان، ولكل أجل كتاب»<sup>(١)</sup> الذي نلاحظ فيه الرابط الحجاجي (لكن) قد عمل تعارضاً حجاجياً بين ما تقدم وما تأخر عنه فالقسم الأول الذي سبق الرابط قد تضمن حجة تخدم نتيجة ضمنية (ن) من قبيل أن الإمام المهدي عليه السلام يخاطبهم - جماعة من الشيعة: «إن أمر الله لا يغلب، وسرّه لا يظهر ولا يلعن، وقد ظهر لكم من حقنا ما تبتز منه عقولكم، ويزيل شكوككم» أمّا القسم الثاني الذي جاء بعد الرابط فقد تضمن حجة تخدم نتيجة مضادة للنتيجة السابقة (لا - ن) أي تخدم نتيجة (ما شاء الله كان، ولكل أجل كتاب) فما أحدثه الرابط (لكن) هو استدراك ورفع ما يتوهم ثبوته، فحتمية مشيئة الله وكيونته تلقي بظلالها الحجاجية على النتيجة السابقة مما يكسبها أيضاً من التعارض الحجاجي الذي يوجه القول برمته إلى أبعاد غيبية يدركها آل البيت عليهم السلام.

#### ب - الرابط الحجاجي (بل):

ذكر الرماني في فحوى هذه الأداة (هي من الحروف الهوامل ومعناها الاضراب عن الأول والإيجاب للثاني)<sup>(٢)</sup> وعليه فهي من أدوات الربط التي تستعمل للإبطال والحجاج مثلها مثل (لكن) ولهذا الرابط حالان: الأول: أن يقع بعد مفرد.

الثاني: أن يقع بعده جملة ما فإن وقع بعده مفرد دخله حالان:

أ - إن تقدمه أمر أو إيجاب نحو (اضرب زيداً بل عمراً) و(قام زيد بل عمرو) فإنه يجعل ما قبله كالمسكوت عنه ولا يحكم عليه بشيء ويثبت الحكم لما بعده.

١. الاحتجاج: ٢/ ٢٧٧.

٢. معاني الحروف: ٧١.

ب - إن تقدمه نفي أو نهي نحو (ما قام زيد بل عمرو) و(لا تضرب زيداً بل عمراً) فإنه يكون لتقرير حكم الأول وجعل ضده لما بعده أي إثبات الثاني ونفي الأول.

أمّا إذا وقع بعد (بل) جملة فيكون معنى الاضراب:

أ - إمّا الإبطال نحو قوله تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (المؤمنون: ٧٠).

ب - وإمّا الانتقال من غرض إلى غرض<sup>(١)</sup> نحو قوله تعالى ﴿فَدَأْفَلَحَ مَنْ تَرَكَّى﴾ (١٦-١٤). و(الأعلى: ١٤-١٦).

ومما تقدم يتضح أن (بل) تعمل عمل (لكن) في المنحى الحجاجي الذي يصفها بالاستدراك والتوكيد والقصر والاضراب والإبطال<sup>(٢)</sup> ونجد حجاجية (بل) في قول الإمام المهدي عليه السلام: «يا هذا يرحمك الله إن الله لم يخلق الخلق عبثاً، ولا أهملهم سدى، بل خلقهم بقدرته، وجعل لهم أسماعاً وأبصاراً وقلوباً وألباً»<sup>(٣)</sup> أن (بل) الواردة في هذه المثال هي من النمط الحجاجي الذي أفاد التوكيد فقد توسطت بين حجتين فما تقدمها كان منفيماً مؤكداً بـ(لم) في حين جاءت الحجة التي تلتها مثبتة (خلقهم بقدرته، وجعل لهم أسماعاً وأبصاراً وقلوباً وألباً) وبذلك يكون الرابط قد أقام علاقة حجاجية بين نفي احتمال (أن الله سبحانه وتعالى قد خلق عبثاً وأهملهم سدى) وبين إثبات حقيقة أن خلقهم بقدرته، إذ أن (لم يخلق الخلق عبثاً) المنظور الظاهر لم يكن عبثاً، وإنما هي في المنظور الحجاجي المؤكد بنتيجة مضادة (لا - ن) أنه خلقهم بقدرته وجعل لهم أسماعاً و... وهذا كله يمثل الفضاء العلائقي الحجاجي بين العبد وربّه المرتكز على البنى المعرفية / العقدية / الروحية.

١. ينظر: اللغة والحجاج: ٦١.

٢. ينظر: رسائل الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة - دراسة حجاجية: ١٠٥.

٣. الاحتجاج: ٢/ ٢٨٠.



ومن حجاجية (بل) قوله ﷺ: «يا محمد بن علي تعالي الله وجل عما يصفون، سبحانه وبحمده، ليس نحن شركاؤه في علمه، بل لا يعلم الغيب غيره»<sup>(١)</sup> الذي يدور خطابه حول ماهية علم الغيب وبعده الانطولوجي الإلهي.

## ٢- روابط التساوق الحجاجي: الرابط الحجاجي (حتى):

يبرز الرابط الحجاجي (حتى) كعلامة حجاجية فارقة، ويكتسب هذا الرابط أهميته من علاقته الواضحة والقوية مع المعنى الضمني والمضمر، إذ أن دورها لا يقتصر على إضافة معلومة جديدة إلى سياق الجملة كما لو تقول: (جاء زيد) فتكون (حتى زيد جاء) إذا كان مجيء زيد غير متوقع، بل أن دور هذا الرابط يتمثل في إدراج حجة جديدة تردف الحجة التي تسبقها وتساوقها والحجتان تخدمان نتيجة واحدة لكن بدرجات متفاوتة من حيث القوة الحجاجية<sup>(٢)</sup> فتتساوق الحجتان في رفق النتيجة بالطاقة الحجاجية المؤثرة، ولكن تبقى الحجة التي يأتي بها الرابط (حتى) هي أقوى من الحجة التي سبقتها، أي أن يكون ما بعدها غاية لما قبلها، ولذا أقرّ ديكرو بأن (الحجة المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، أي أنها تخدم نتيجة واحدة والحجة التي ترد بعد هذا الرابط تكون هي الأقوى، لذلك فإن القول المشتمل على الأداة (حتى) لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي)<sup>(٣)</sup> وقد توافرت في كلام الإمام المهدي ﷺ الرابط حتى وهو في دلالات متعددة في مقام واحد فتستعمل للتعليل وللغاية، كما في قوله ﷺ: «إذا كان حق خرجت فيه وقضته، وإن كانت لها حاجة ولم يكن لها من ينظر فيها خرجت بها حتى تقضيها، ولا تبيت إلا في بيتها»<sup>(٤)</sup> فالرابط الحجاجي (حتى) في هذا المثال ينظر

١. الاحتجاج: ٢/ ٢٨٨.

٢. ينظر: اللغة والحجاج: ٢٧.

٣. الاحتجاج: ٢/ ٣٠٢.

٤. الاحتجاج: ٢/ ٢٧٧.

إليه من زاويتين من أجل تحقيق غايات إقناعية فمرة يقرأ من زاوية (سببية) أي أن ما قبلها علة وسبب وحجة لما بعدها فيكون مرادفاً لـ(كي) التعليلية فيكون المثال: «إذا كان حق خرجت فيه وقضته، وإن كانت لها حاجة ولم يكن لها من ينظر فيها خرجت بها كي تقضيها، ولا تبیت إلا في بيتها» وهنا يمكن أن نعد ما قبله حجة وما بعده نتيجة، فالإمام المهدي ﷺ قدّم حجته في خروج المرأة في قضاء حق لها وهي في عدتها.

فضلاً عن ذلك فقد تستعمل (حتى) للغاية فتكون مترادفة لـ(إلى) فحكم ما بعدها يكون مخالفاً لحكم ما قبلها فيتقرر الحكم قبل (حتى) في إفادة إمكان الخروج لقضاء حق يلزمها إذا لم يكن لها من ينظر إليها، أي تكون الحجة التي بعدها غاية لما قبلها، وهما في كل الأحوال يخدمان نتيجة واحدة، وتبقى الحجة التي ترد بعد (حتى) هي الأقوى حججياً.

وتكون مرادفة لـ(إلى) للغاية وبدلالاتها التوكيدية الإبلاغية كما في قوله ﷺ: «فلما قبضه الله إليه ظننتم أن الله أبطل دينه، وقطع السبب بينه وبين خلقه، كلا ما كان ذلك ولا يكون، حتى تقوم الساعة ويظهر أمر الله وهم كارهون»<sup>(١)</sup>.

### ٣ - روابط التعليل الحجاجي:

#### ١ - الرابط الحجاجي المتمثل بـ(لام التعليل):

من أدوات الربط التي تدخل على الفعل المضارع فيكون ما بعدها علة لما قبلها ويقال لهذا اللام: لام العلة ولام السبب، ولام كي، لان معنى التعليل فيها راجع إلى معنى الاختصاص فإن قلنا: (جئتكم للإكرام) دلّت اللام على أن المجيء مختص بالإكرام إذ الإكرام سببه دون غيره<sup>(٢)</sup> فهذا الرابط يستعمله الإمام المهدي ﷺ من أجل التعليل لفعله فهو نتيجة الدعوى التي يقصدها

١. م. ن: ٢/ ٢٧٧.

٢. ينظر الجني الداني في حروف المعاني: ١٠٩.



المرسل، فعليه (هي) من الروابط التي تربط بين النتيجة والحجة لدعم النتيجة وتبريرها، ومن ذلك قوله ﷺ: «لأننا من وراء حفظهم بالدعاء الذي لا يجلب عن ملك الأرض والسماء، فليطمئن بذلك من أوليائنا القلوب، وليثقوا بالكفاية منه»<sup>(١)</sup> ويمكن هنا تحليل هذه المتوالية الحجاجية التراتبية بـ(لام) التعليل كالاتي:

النتيجة: لأننا من وراء حفظهم بالدعاء الذي لا يجلب عن ملك الأرض والسماء.

الرابط الحجاجي: لام التعليل.

الحجة ١: فليطمئن بذلك من أوليائنا القلوب.

الحجة ٢: وليثقوا بالكفاية منه.

٢ - الرابط الحجاجي (لأن):

يعد هذا الرابط من أهم ألفاظ التعليل والتفسير وهو إلى جانب هذا يستعمل لتبرير الفعل كما يستعمل لتبرير عدمه<sup>(٢)</sup> وقد ورد هذا الرابط في توقيعات الإمام المهدي ﷺ لأن مقتضى الخطاب سواء أكان في الأمر أو الوعظ أو الدحض أو الدعوة يتطلب توجهاً تفسيرياً وتبريرياً من أجل التأثير والتوجيه والإقناع بالدعوى المقدمة، ومثال ذلك قوله ﷺ: «وما دخلهم من الشك والحيرة في ولاة أمرهم، فعمنا ذلك لكم لائنا، وساءنا فيكم لا فينا، لأن الله معنا فلا فاقة بنا لي غيره، والحق معنا فلن يوحشنا من قعد عنا»<sup>(٣)</sup> وهنا يمكن بيان الربط العلي بين النتيجة والحجج المقدمة بالترسيمة الآتية:

١. الاحتجاج: ٢/ ٣٢٥.

٢. ينظر: رسائل الإمام علي في نهج البلاغة - دراسة حجاجية: ١١٥.

٣. الاحتجاج: ٢/ ٢٧٨.

النتيجة: وما دخلهم من الشك والحيرة في ولاة أمرهم، فغمنا ذلك لكم لا لنا، وساءنا فيكم لا فينا.

الرابط الحجاجي: لأن.

الحجة ١: فلا فاقة بنا لي غيره.

الحجة ٢: والحق معنا فلن يوحشنا من قعد عنا.

٣ - روابط العطف الحجاجي:

تتنسق مجموعة من الحروف ببعده حجاجي مهم من خلال ربطها بين الحجج والتائج والتنسيق بينهما من أجل التعليل والتفسير والتبرير، ومن هذه الروابط احرف العطف (الواو، الفاء، ثم) إذ أنها تقوم بدور حجاجي كبير، فالملاحظ أنها تقوم بالربط بين قضيتين (حجتين) لنتيجة واحدة ووصفها سلماً حجاجياً يخضع هذه الحجج إلى تراتبية معينة بحسب قوتها في دعم النتيجة النهائية، فإنها تسهم أيضاً في بداعة المعنى المقصود ولا سيما إذا استعمل كل حرف واستغلت وظيفته في الموضوع المناسب فذلك يزيد من الإثبات على المعنى من جهة، ويلقي على الخطاب نوعاً من التنظيم والانسجام مرة أخرى<sup>(١)</sup> وفي هذا المورد سنحاول أن نبين عمل هذه الروابط في توقيعات الإمام المهدي عليه السلام، وبيان مستوى دعمها لعمل المحاجة.

أ - الرابط الحجاجي (ثم):

هي من حروف العطف التي تفيد التراخي والمهلة بين قضيتين متباعدتين، فضلاً عن إفادتها الترتيب بين الحجج، ومثالها قوله عليه السلام: «فمنهم من جعل النار عليه برداً وسلاماً واتخذة خليلاً، ومنهم من كلمه تكليماً وجعل عصاه شعباناً مبيناً، ومنهم من أحيى الموتى بإذن الله وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن

١. ينظر: الحجاج في كتاب المثل السائر (رسالة ماجستير): ٩٣.





الله، ومنهم من علّمه منطق الطير وأوتي من كل شيء، ثم بعث محمداً ﷺ رحمة للعالمين وتم به نعمته»<sup>(١)</sup> فالحجج التي أقامها الإمام المهدي ﷺ متتالية ومرتبة تتسق وتنسجم مع ما ينبغي أن يكون عليه ترتيب ومعجزهم، وقد أفادت (ثم) في إقامة هذه التراتبية في عرض الحجج وبحسب سياقاتها، وحققة (ثم) هنا دالة على التراخي والمهلة للربط بين المعطوف والمعطوف عليه، وهذه المهلة مرتبطة بالزمن الحقيقي الفعلي مقترناً بزمن نفسي مفعم بالأحاسيس التي تركز على الوعد والبشارة بالرحمة والنعمة.

ومنه قوله ﷺ: «وختم به أنبياءه وأرسله إلى الناس كافة، وأظهر من صدقه ما ظهر، وبيّن آياته وعلاماته ما بين، ثم قبضه ﷺ حميداً فقيداً سعيداً»<sup>(٢)</sup> فنلاحظ هنا أن الرابط (ثم) قد توسطت بين الأفعال للدلالة على التراخي وإعطاء المهلة، وكأن بين الأفعال المتناسقة تراخياً زمنياً مع إفادة الترتيب في إلقاء هذه الحجج.

#### ب - الرابط الحجاجي (الواو):

يشير هذا الرابط إلى وظيفة الجمع بين قضيتين (حجتين) ويستعمل حجاجياً بوصفه رابطاً عاطفياً على ترتيب الحجج ووصل بعضها ببعضها الآخر، بل يعمل على رص الحجج وتماسكها وتقويتها فضلاً عن التدرجية أو السلمية في ترتيب الحجج وعرضها<sup>(٣)</sup> ومن الشواهد في نص توقيعات الإمام المهدي ﷺ، قوله ﷺ: «أم بعلم، فما يعلم حقاً من باطل، ولا محكماً

١. الاحتجاج: ٢/ ٢٨٠.

٢. م. ن: ٢/ ٢٨٠.

٣. ينظر: رسائل الإمام علي في نهج البلاغة - دراسة حجاجية: ١٢٣.

من متشابه، ولا يعرف حد الصلاة ووقتها»<sup>(١)</sup> فالرابط الحجاجي (الواو) قام بالربط والوصل بين الحجج، وعمل أيضاً على ترتيبها بالشكل الذي يضمن تقوية النتيجة المطروحة ودعمها، وهي (أم بعلم) كما عمل على حصول الترادفية في النتيجة الواحدة وهذا الربط النسقي بين الحجج قد أضفى سلمية تدرجية باتجاه الحجة الأقوى بشكل عمودي.



«ن» أم بعلم  
ق ١ يعلم حقاً من باطل  
ق ٢ ولا محكماً من متشابه  
ق ٣ ولا يعرف حد الصلاة ووقتها

وهنا يتضح أن الحجة الأولى هي الحجة الأقوى مقارنة بالحجج التي سبقتها لخدمة النتيجة المعروضة لورودها في أعلى السلم الحجاجي.

ومن تمثلات (الواو) الحجاجية قوله ﷺ: «فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً»<sup>(٢)</sup>.

ويمكن بيان السلم الحجاجي في الآتي:



«ن» فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى  
ق ١ وذلك بعد طول الأمد  
ق ٢ وقسوة القلوب  
ق ٣ وامتلاء الأرض جوراً

فالحجج المترادفة قد اتسقت واتحدت باتجاه دعم النتيجة المطروحة وتقويتها بقوة الرابط (الواو) الذي أفاد التعليل والتبرير لمضمون النتيجة (لتسابقوا إلى

١. الاحتجاج: ٢/ ٢٨١.

٢. ن: ٢/ ٢٩٧.



رحمة الله ولتفاضل منازلكم في جنته) كما اشتغل الرابط على التراتبية وإدراج الحجج بشكل عمودي.

ومنه قوله ﷺ: «ثم بعث النبيين ﷺ مبشرين ومنذرين، يأمرهم بطاعته، وينهونهم عن معصيته، ويعرفونه ما جهلوه من أمر خالقهم ودينهم»<sup>(١)</sup> فهنا متوالية حجاجية نسقية تدعم النتيجة وتبرزها بقوة الرابط (الواو) الذي دل على التعليل والتبرير لمضمون النتيجة (الحمد لله أفضل ما حمده حامد إلى أبد الآبد) كما عمل الرابط على التدرجية والسلمية باتجاه الحجة الأقوى وبشكل عمودي.

«ن» بعث النبيين ﷺ مبشرين ومنذرين

ق ١ يأمرهم بطاعته

ق ٢ وينهونهم عن معصيته

ق ٣ ويعرفونه ما جهلوه من أمر خالقهم ودينهم



ومنه قوله ﷺ: «وجعل بينهم وبين إخوانهم وبنو عمهم والأدنين فالأدنين من ذوي أرحامهم فرقاً بيناً، تعرف به الحجة من المحجوج، والإمام من المأموم، بأن: عصمهم من الذنوب، وبرأهم من العيوب، وطهرهم من الدنس، ونزّهم من اللبس، وجعلهم خزائن علمه، ومستودع حكمته، وموضع سرّه، وأيدهم بالدلائل»<sup>(٢)</sup> فنلاحظ فيه تدرجية حجاجية تشد علائقها (الواو) الرابطة التي أفادت التعليل والتبرير لمضمون النتيجة (تعرف به الحجة من المحجوج، والإمام من المأموم).

١. الاحتجاج: ٢/ ٢٨٠.

٢. م. ن: ٢/ ٢٨٠.

«ن» تعرف به/ الفرق/ الحجة من المحجوج والإمام من المأموم



- ق ١ عصمهم من الذنوب
- ق ٢ وبرأهم من العيوب
- ق ٣ وطهرهم من الدنس
- ق ٤ ونزههم من اللبس
- ق ٥ خزائن علمه
- ق ٦ ومستودع حكمته
- ق ٧ وموضع سره
- ق ٨ وأيدهم بالدلائل

ج- الرابط الحجاجي (الفاء):

من حروف العطف التي تضطلع بمهمة حجاجية، إذ أنها تربط بين النتيجة والحجة من أجل التعليل والتفسير فهي أداة ربط تفيد التعليل والاستنتاج في الخطاب الحجاجي التداولي ومن ثم فهي تجمع بين قضيتين متباعدتين في الدلالة على التقارب بين الأحداث، فضلاً عن الدلالة على الترتيب والاتصال، وأكثر ورودها كون ما بعدها أو المعطوف متسبباً عما قبله<sup>(١)</sup> ومن أمثلتها قوله ﷺ: «يا علي بن محمد السمري أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الكبرى»<sup>(٢)</sup> فهنا نجد الرابط (الفاء) قد عمل على الترتيب والاتصال/ التسارع ببلوغ الغيبة الكبرى.

١. ينظر: رسائل الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة: دراسة حجاجية: ١٢٤٠.

٢. الاحتجاج: ٢٩٧/٢.

## الخاتمة:

- برزت التوقيعات كأحد الفنون الثرية التي اقتصرت على الادب العربي، وعليه كان لابد من مقاربتها لغة واصطلاحاً في المنظومة المعرفية
- ارتكز فن التوقيعات على مؤشرات تاريخية ولد من رحمها ثم نما وتطور.
- لكي يكون التوقيع أدبياً فلا بد له من معايير واضحة تحدد خصائصه الجمالية التي يمتاز بها والتي تبنى البحث تحديدها بدقة.
- اعتمد المنجز النصي في خطابه على الحجاج اللغوي بوصفه ظاهرة لغوية نجدتها في كل قول، وفي كل خطاب بحسب ديكرو.
- كشفت لنا المدونة عن بعض الآليات اللغوية الحجاجية من خلال الاعتناء بحروف الربط، وحسن اختيارها وأماكن تواجدها في النفس من أجل توجيه الكلام نحو آفاق واضحة يرومها الباحث منذ البداية وهذا ما يعرف بـ (الروابط الحجاجية)
- كان دور الروابط الحجاجية في سياق الكلام التأثير والاقناع وانتقاء مواضعها في الخطاب النصي من اجل هذه الغاية، وتوصيل المقاصد الحجاجية التي يريدتها، لذلك اعطى الامام المهدي ﷺ هذه الروابط اللغوية دوراً كبيراً في تأدية المعنى، وانسجام الكلام لتنحصر وظيفتها الحجاجية داخل اللغة مما يمنح الخطاب دفعاً قوياً ومؤثراً.



**ALMAOOD**

[www.m-mahdi.com/almaood](http://www.m-mahdi.com/almaood)

[almaood@m-mahdi.com](mailto:almaood@m-mahdi.com)



العدد (٩) جمادى الآخرة ١٤٤١ هـ / شباط ٢٠٢٠ م

# خلاصة البحوث

Abstracts

## حكم تسمية الإمام المهدي عليه السلام

الشيخ جاسم الوائلي

إنَّ من المسائل التي ينبغي التعرُّض لحكمها مسألة التصريح باسم الإمام المهدي عليه السلام.

والأقوال فيها ثلاثة:

الأول: الحرمة مطلقاً حتّى الظهور المبارك.

الثاني: الحرمة في حال الخوف عليه عليه السلام لا مطلقاً.

الثالث: الحرمة في زمان الغيبة الصغرى دون الكبرى.

ومنشأ اختلاف الأقوال، اختلاف الأخبار، اختلاف كلام الأعلام له، فينبغي استعراضها أولاً، ثم النظر في أسانيدها وفي دلالتها وكيفية الجمع بينها، وهذا ما نراه في تفاصيل هذا البحث.





## أسس الاعتقاد بوجود الإمام المهدي عليه السلام وآليات مقاومة إنكاره

مرتضى علي الحلي

إنَّ مِنْ أهِمِّ مَا يَنْبَغِي الْأَخْذَ بِهِ فِي الْإِيمَانِ بِالْأَصُولِ الْعَقَائِدِيَّةِ الْحَقَّةِ، وَمِنْهَا الْعَقْتَادُ بِوُجُودِ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ عليه السلام، وَبِقَائِهِ حَيًّا، وَمَا أُوكِلَ إِلَيْهِ مِنْ مَهْمَةِ إلهِيَّةٍ تَتَعَلَّقُ بِإِقَامَةِ دَوْلَةِ الْعَدْلِ بِصُورَةٍ تَامَةٍ فِي الْأَرْضِ هُوَ التَّمَكِينُ لِذَلِكَ وَالتَّقْرِيرُ ثَبُوتًا فِي عَقُولِنَا وَفِي مَعْرِفَتِنَا وَقُلُوبِنَا وَوَعَيْنِنَا، وَفَقْدُ تَرَابِطِيَّةِ التَّرَاتِبِ الْبِنَائِيِّ بَيْنَ الْأَصُولِ الدِّينِيَّةِ الْأَسَاسِيَّةِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، وَعَدَمُ الْفَصْلِ بَيْنَهَا، وَمِنْ الضَّرُورِيِّ أَنْ يَتَّسَمَ عَقْتَادُنَا بِسِمَاتٍ وَمُمَيَّزَاتٍ يَقِينِيَّةٍ، يَكُونُ لَهَا التَّأثيرُ الْبَالِغُ فِي حَرَكَاتِنَا وَوُجُهَاتِهِ الْحَيَاتِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ، وَإِذَا تَرَسَّخَتْ وَتَمَكَّنَتْ هَذِهِ السِّمَاتُ زَادَتْ فِي تَصَدِيقِنَا، تَصَدِيقًا نَأْمَنُ مَعَهُ مِنَ الْوَقُوعِ فِي الشُّبُهَاتِ وَالْأَبَاطِيلِ، الَّتِي تَسْتَهْدَفُ بُنَى هَذِهِ الْأَصُولِ. كَمَا يَحْصُلُ الْيَوْمَ مَعَ الْعَقِيدَةِ الْمَهْدُويَّةِ الشَّرِيفَةِ، حَيْثُ تَمَّ اسْتَهْدَافُهَا ثَقَافِيًّا وَسُلُوكِيًّا وَبِمُسْمِيَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَظَفَّتْ مَفْرَدَاتٍ وَمَسَائِلَ وَنُصُوصَ لَهَا عِلَاقَةٌ وَثِيقَةٌ بِالْعَقِيدَةِ وَالْمُعْتَقِدِ، لِتَحْقِيقِ مَآرِبِ فَاسِدَةٍ، وَأَمَامَ هَذِهِ التَّحْدِيَّاتِ الْعَقَائِدِيَّةِ يَجْدُرُ بِالْإِنْسَانِ الْمُؤْمِنِ تَمَكِينُ أُسُسِ الْعَقْتَادِ الْحَقَّةِ فِي نَفْسِهِ، وَمُوَاجَهَةُ مَا يُثَارُ مِنْ شُبُهَاتٍ وَأَبَاطِيلِ، وَالتِّي لَا تُبَدَّلُ الْوَاقِعَ الْحَقَّ، مَهْمَا انْحَسَرَ وَقَلَّ أَتْبَاعُهُ، وَأَنَّ وَجُودَ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ عليه السلام، هُوَ وَجُودٌ حَقٌّ وَمَنْوُطٌ بِوَاقِعٍ فَعَلِيٍّ رَاهِنٍ وَبَاقٍ، مِنْ حَيْثُ بَقَائِهِ حَيًّا، وَحَتْمِيَّةُ ظُهُورِهِ الشَّرِيفِ وَقِيَامِهِ يَقِينًا، وَلَمْ يَكُنْ فِي طَوْلِ عَمْرِهِ أَوْ حَقِيقَةُ وَجُودِهِ الْمُبَارَكِ، مَا يُجَالِفُ السَّنَنَ الْإلهِيَّةَ وَالتَّارِيخِيَّةَ وَالتَّجْرِيْبِيَّةَ، خَاصَّةً وَقَدْ اِرْتَبَطَ أَمْرُهُ بِحَكْمَةِ وَعَدْلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالتِّي لَا يَتَخَلَّفُ فِي تَحْقِيقِ مُرَادِهِ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ مِنْ بَعِيدٍ.



# المهدي المنتظر ﷺ حقيقة ثابتة شاء المرجفون أم أبوا

الشيخ خالد البغدادي

المهدي المنتظر حقيقة ثابتة صرّح الشيعة والسنة في كتبهم حيث قالوا بتواتر الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة، نعم هم قالوا إنه سيولد عند الظهور ونحن نقول بولادته منذ قرون، حيث شهد بالولادة علماء الأنساب والتواريخ، والروايات الكثيرة تحدثت بما لا يدع مجالاً للشك بأنه ولد في سنة ٢٥٥ هجرية، والروايات الواردة في هذه العقيدة تزيد على (٣٠٠٠) رواية. أمّا أن غيبته فقد تواترت عند الخاص والعام ولا تشكل مانعاً من الإيمان به والاعتقاد بإمامته، إذ لم تكن غيبته من عند نفسه إنما لأسباب عديدة لا نعلم بعضها وسيظهر ﷺ في آخر الزمان ليقيم القسط والعدل بعد أن تفشل البشرية في الوصول إلى تحقيق ذلك وقد استخلف على الأمة في غيبته الخاصة سفراء ونواب أربعة والكبرى فإن سفرائه العامين هم الفقهاء الأعلام في الأمة.



# جدلية إظهار ولادة الإمام الحجة عليه السلام وإخفائها

د. عبير بدر عبد الستار

واجه الأئمة عليهم السلام وخصوصاً الإمام الحسن العسكري عليه السلام تحدياً كبيراً في ولادة الإمام القائم عليه السلام، ففي الوقت الذي يتوجب عليهم إظهاره للأمة وتعريفها بإمامها الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، تعريفاً لا يبقى معه للبتس حجة، كانت الخشية على حياته توجب عليهم إخفاء أمر ولادته عن أعدائه وعن السلطة التي تنمرت وتكالتت في مراقبة الإمامين الهادي والعسكري عليهم السلام وقبلهما الإمام الجواد عليه السلام بغية التضيق عليهم بعد اقتراب موعد الولادة الموعودة في محاولة يائسة لإطفاء نور الله تعالى، وهذا ما أطلقنا عليه (جدلية) يتجاذب طرفاها إخفاء الولادة المباركة خشية على المولود ووجوب إذاعتها بين الناس، ويعرفنا الوقوف المتلبث ما بذله الإمامان العسكريان عليهم السلام من جهد بغية ضمان سلامة المولود المنتظر وإعلام الموالين بحصول ولادته عليه السلام على وجه اليقين الثابت، فضلاً عن الاقتراب الموضوعي من تلك الآلية المذهلة والتعرف عليها وتحليلها لاستشفاف أبعادها التي أنجحت مساعي الإمامين العسكريين عليهم السلام في هذه المهمة العظيمة التي أنيطت بهما.



## تأسيس الغياب المهدي وظهوره في ضوء الخطاب القرآني

### قراءة في الدلالة الرمزية

م. د. محمد جعفر العارضي

يؤسس البحث لمسألة فكرية مهمّة يقرؤها قراءة رمزية هي محور العلاقة بين ظاهرة (فترة الوحي) الإسلامي وآثارها في حيثيات السيرة النبوية العطرة من جهة، والعلاقة الرمزية لهذه الظاهرة بفكرة الغيبة المهديّة من جهة ثانية، من خلال التعاطي مع روح هذه العلاقة بما يمثل من تمهيد لغياب آخر يُستشرف على نحو رمزي يتجلّى في غياب الإمام المهدي عليه السلام.

ويؤسس أيضاً للعلاقة بين عناصر القسم القرآني وما كانت عليه ثنائية الضياء والظلمة في سورتي (الضحى) و(الشمس) المباركتين وارتباط ذلك بمفهوم (الشمس) بلحاظ رمزي إشاري، وتجليات ذلك في ضوء إنتاج (نفس) مختلفة تتعاطى مع ذلك لنتج حياة كونية مختلفة، بتخطّيها لحالة الغياب وإسلامها لحالة الظهور. وهذا ما نجد مصداقه الأسمى في الفكرة المهديّة ونهضتها الإصلاحية الكبرى. فضلاً عن ارتباط ذلك بحركة القسم القرآني في هذا السياق وفضائه التكاملي.

معنى ذلك أننا أمام قراءة فكرية تتوخى التوظيف الكوني، والمخرجات الرمزية، وكيفية توظيفها، واستثمارها لخلق معالجات معارفية كبرى تُقرأ فكرة الغياب قراءة رمزية بوصفها فكرة، وهدفاً، وأداة تديم مسيرة السيرة الإسلامية، من خلال إشاعة توظيف العناصر الكونية في إطار المنظومة الدلالية الإيحائية الكبرى؛ وصولاً إلى التأسيس القرآني الإيحائي لقضية غياب الإمام عليه السلام.



## أقوال بعض الفرق في الغيبة والرد عليها

أحمد عبد الله حميد العلياي

ما ورد في هذه الدراسة (وهي بحث مستل من أطروحة الدكتوراه الموسومة بالرواية المهدوية من خلال كتاب كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق - دراسة تحليلية مقارنة) يثبت من خلال ما طرحه مصنف كتاب كمال الدين الشيخ الصدوق ومن خلال طرح مجموعة من الإشكالات والاعتراضات على غيبة الإمام المهدي عليه السلام من قبل أصحاب بعض الفرق الإسلامية وبعض المشككين، وقد ردّ عليها الشيخ الصدوق رحمته الله، بالإضافة إلى ذلك تمت إضافة مجموعة من التحليلات والردود لإبطال حجج أصحاب هذه الفرق في الغيبة، وقد تناول قول الكيسانية في الغيبة وردها، وقول الناوسية في الغيبة وردها، وقول الواقفة على الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في الغيبة وردها، وقول الواقفة على الإمام الحسن العسكري عليه السلام في الغيبة وردها، وقول المعتزلة في الغيبة وردها، وقول الزيدية في الإمامة والغيبة وردها، بالإضافة إلى اعتراضات أخرى تم طرحها في ثنايا البحث والرد عليها.



## أسلوب الاستفهام في دعاء الندبة - دراسة أسلوبية

فائزة عبد الزهرة جامل

إن الإمام المهدي عليه السلام هو الوسيلة الوحيدة التي تستطيع إنقاذ البشرية مما تعاني، منه فقيام المشروع السماوي بعد سيد الأنبياء لا يكون إلا بالعترة المعصومين عليهم السلام، لقيام حكم الله عز وجل في الأرض، وتحقيق العدالة في عموم العالم.

ولا يخفى أن لقب خاتم الأوصياء لقب يشترك فيه كل من أمير المؤمنين عليه السلام والإمام الثاني عشر الإمام المهدي عليه السلام، كما ورد في الروايات، ونظراً لارتباط المشروع المهديوي بالمشروع النبوي وبالمشروع العلوي وبالمشروع الفاطمي وكذلك الحسيني والحسيني بل بجميع مشاريع الأئمة عليهم السلام، وجدت الباحثة ضالتها في دعاء الندبة وفي المقطع الذي تضمن مناجاة الإمام المهدي عليه السلام بتكرار أداة الاستفهام (أين المكانية) بشكل لافت للنظر، لذا كان عنوان البحث (أسلوب الاستفهام في دعاء الندبة - دراسة أسلوبية) فكان أن تضمن البحث مبحثين:

الأول: الأنماط الصورية للاستفهام في الدعاء، وتمثل:

١- اسم الاستفهام + اسم الفاعل، و٢- اسم الاستفهام + اسم المفعول.

أمّا المبحث الثاني فكان: الظواهر الأسلوبية - وتضمّن: أسلوب التكرار وأسلوب الحذف وغيرهما.

ومما لا شك فيه أن أحد معاني الندبة هو النداء - أي: نداء الحي للحي، فالداعي والنادب يستغيث بالإمام المهدي عليه السلام وهو حي يرزق يسمع الداعي إذا دعاه والنادب إذا ندبه، فالإمام هو المتقذ لما يعاني منه الناس الآن من مشاكل سياسية واقتصادية ودينية واجتماعية وقضائية وغيرها كثير، وهو المؤهل الوحيد والقادر على التغيير الشامل وليس هناك شخص قادر على إحداث هذا التغيير الذي يخرجننا فيه من كل المشاكل غير الإمام المهدي عليه السلام لأنه شخص إلهي مسدد وهو الوحيد الباقي إلى الآن ممن اصطفاهم الله تعالى، وسينضمُّ تحت لوائه كل من النبي عيسى والخضر عليهما السلام.



## قراءة في كتاب الغيبة للنعماني

محمد عبد المهدي سلمان الحلو

عقيدة المهدي المنتظر، من الأسس الدينية - التي تعتبر امتداداً واضحاً وبها لا يقبل الشك لعقيدة الإمامة، على مختلف الصعد - الإسلامية، وفي الفكر الشيعي بصورته الخاصة، على أن ذلك لا يعد تجاهلاً لهذه الفكرة عالمياً، فلا بد من وجود مصلح يأخذ بأيدي الناس والأمم إلى ما فيه الخير والصلاح، منقذاً للبشرية من حالة الفوضى والفساد إلى حالة الرشاد والصلاح، وتبعاً لهذه الأهمية ودورها في الفكر الإسلامي، نظّر المختصون من العلماء والخبراء قديمهم وحديثهم في الفرق والمذاهب لهذا الموضوع بما يسد عين الشمس، وكان نصيبنا من البحث، دراسة لأهم الكتب في الفكر الإسلامي الشيعي - الإمامي، ولأقدم المصنّفات لعالم من علماء القرن الرابع الهجري، وهو كتاب الغيبة للشيخ أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني الكاتب، المعروف بـ(ابن أبي زينب النعماني)، المتوفي سنة (٣٦٠هـ). وشملت الدراسة، محاولة الإحاطة بالجوانب المعرفية والعلمية في هذا الكتاب، وجاءت على مقدمة وفصلين، تضمن الأول منها قراءة تعريفية بالكتاب والمؤلف، حمل عنوان هوية الكتاب، وتوزعت على مبحثين: الأول منها شمل غاية الكتاب، والثاني منهجية البحث، في حين تضمن الفصل الثاني، بمباحثه الخمسة، والذي اكتسب عنواناً بـ(مضمون الكتاب)، دارت بين مبحث أول بعنوان: في مقدمة النص، والثاني نظرية الإمامة، والثالث نظرية الغيبة، واختص الرابع منها بنظرية الانتظار، والخامس بزمانية الظهور المقدس، وأهميته.



# المذهب التناسخي يعود بلباس الرجعة الروحية - القسم الثاني

الشيخ حميد الوائلي

إنَّ قضية الرجعة التي تحدّثت عنها بعض الآيات القرآنية والأحاديث المروية عن أهل البيت عليهم السلام ممّا تعتقد به الشيعة من بين الأُمَّة الإسلاميّة تُعدُّ عندهم من المسلّمات القطعية، فشأنها في ذلك شأن الكثير من القضايا العقائديّة والفقهية والتاريخية التي لا سبيل لإنكارها.

وفي الفترة الأخيرة ظهر تيّار يدّعي أنّ له في الرجعة قولاً غير ما تعارف عند أبناء المذهب، وهو ما عبّر عنه صاحب المقال بالرجعة الروحية، محاولاً من خلاله إثبات ارتباطه بالسما، باعتبار أنّ هذه الرجعة (أي الروحية) تُعتبر من عظام الأمور.

ويقع بحثنا حول هذا الموضوع والذي يمثّل القسم الثاني من هذا البحث حول عدد من المقالات التفصيلية التي يقول بها صاحب كتاب (الرجعة الروحية) وردها بشكل مفصّل، وهي عبارة عن خمسة مقالات يضاف إليها رد دعوى الرجعة الروحية للنبي عيسى عليه السلام ودابة الأرض وذكر خاتمة في بعض التناقضات التي وقع فيها مؤلف الكتاب.





# تحديات الغزو الثقافي لمجتمع (المنتظرين) في زمان الغيبة الكبرى

أ.م.د. وسام حسين جاسم العبيدي

تكمن إشكالية الخوض في موضوع الإمام المهدي عليه السلام في هذا الوقت بالذات في عدّة أسباب لم تغب عن أذهان كثير من الباحثين الذين تصدّوا لهذا الموضوع تحديداً، وفي النظر إلى تلك الأسباب بإجمال، نجدتها تنقسم إلى نوعين:  
الأول: إشكاليات داخلية: أي تلك الإشكاليات النابعة من صميم المآثور الإسلامي.

الآخر: إشكاليات خارجية: وهي تلك الإشكاليات النابعة من رحم الفكر غير الإسلامي، وهي على نوعين:

الأول: إشكاليات من أصحاب الأديان السماوية الأخرى الذين لا يلتزمون بمنظومة الدين الإسلامي العقديّة والفكرية، فهم بالنتيجة أحرار في رسم تطلّعات وأفكار تنسجم وانتفاءهم الفكري المختلف عن الدين الإسلامي.  
الآخر: إشكاليات من أصحاب الفكر اللاديني.

إنّ ما ذكرناه آنفاً يُشكّل تحدياً واضحاً لمجتمع المنتظرين.  
ولذلك ستتحرّك في هذا البحث عبر محاور نراها جديرة بالوقوف عندها، وهي:

- مفهوم الانتظار في ميزان العقل والشريعة.

- مفهوم الغزو الثقافي.

- أبرز تحديات الغزو الثقافي.

لنقوم من خلالها بتغطية الإجابة على الإشكالات المطروحة.



## أسباب غيبة الإمام المهدي عليه السلام

الشيخ علي الفياض

لا شك أن من الوسائل التي يستخدمها المشككون في عقيدتنا بالإمام المهدي عليه السلام هو الطعن في مبررات غيبته عليه السلام، ويتخذون هذا الطعن منشأً للتشكيك في المسائل المختلفة المتعلقة بالعقيدة المهدوية، كأصل وجوده وحياته وطول عمره وحقيقة اختفائه عليه السلام، وغير ذلك.

لذا نرى من اللازم إيضاح المبررات التي دعت الإمام المهدي عليه السلام أن يغيب، وأن لا يظهر إلا بعد قسوة القلوب وإذن الله تعالى في الظهور. فقد وردت عشرات النصوص التي توضح سبب الغيبة وبشكل صريح لا يقبل الشك.

ولابد من التساؤل هنا، وهو: هل ما ذكرته الروايات من أسباب الغيبة، هو من باب العلة الحقيقية التي يدور مدارها الحكم وجوداً وعدمياً، أو أن هذه الأسباب ذكرت من باب الحكمة والفائدة.

وقبل الإجابة عن هذا التساؤل ينبغي توضيح بعض الألفاظ والمصطلحات التي وردت في الروايات.

وأما الأسباب التي استقر أنها من الروايات، فهي إما حكم أو مصالح أو أجزاء للعلة، وليست هي العلة التامة، ولكن قد نفهم من السبب الرابع الذي يأتي ذكره، وهو أن الغيبة سر من أسرار الله تعالى، أن هذا السر يشير إلى العلة التامة وليس جزء العلة.



# آليات المحاججة اللغوية في توقيعات الإمام المهدي عليه السلام

## الروابط الحجاجية مثلاً

د. عبد الإله عبد الوهاب العرداوي

تعد التوقيعات إحدى الفنون الثرية التي اقتضت على الأدب العربي، فالمؤشرات التاريخية تشير إلى أنها ولد من رحمه ثم نمت وتطورت في عصور مختلفة، والقراءة المعرفية لنصوصها تحمل مظهرات أيديولوجية تكتنز حواضنها العلائقية بين المؤلف والمتلقي الحجاج في التوقيعات من المعايير الأساسية للتوقيع الأدبي الذي حاولنا في هذا البحث استكناه بعض آلياته متمثلة بـ (الروابط الحجاجية) من خلال مدونة تراثية عريقة تنتمي إلى نصوص آل البيت عليهم السلام وهي توقيعات الإمام المهدي عليه السلام وفي ضوء ذلك قسم البحث على شقين:

الأول: الإطار النظري وقد اشتغل على فقرات عدة الأولى: حاولت مقارنة التوقيعات الأدبية لغةً واصطلاحاً، والثانية: مهاد نظري للروابط الحجاجية. والثاني: الإطار التطبيقي وفيه خطوات اجرائية لمنهج الحجاج في نص التوقيع، وقسم على:

١ - روابط التعارض الحجاجي.

٢ - روابط التعليل الحجاجي.

٣ - روابط العطف الحجاجي.

ثم ختم البحث بخاتمة عرضت أهم نتائج البحث، وأخيراً ثبت المصادر والمراجع.



# المحتويات

|     |   |
|-----|---|
| ٥   | تمهيدنا: النص المهدي - قراءات معاصرة  |
| ١٣  | مشروعية التقليد في زمن الغيبة الكبرى - إجابات علمية لشبهات المنكرين -<br>الشيخ جاسم الوائلي   |
| ٦٥  | أسس الاعتقاد بوجود الإمام المهدي <small>عليه السلام</small> وإمامته وآليات مقاومة إنكاره -<br>مرتضى علي الحلبي  |
| ٩٣  | المهدي المنتظر <small>عليه السلام</small> حقيقة ثابتة شاء المرجفون أم أبوا - الشيخ خالد البغدادي  |
| ١٠٩ | جدلية إظهار ولادة الإمام الحجة <small>عليه السلام</small> وإعلانها - د. عيبر بدر عبد الستار   |
| ١٢٩ | تأسيس الغياب المهدي وظهوره في ضوء الخطاب القرآني - م. د. محمد جعفر العارضي  |
| ١٤٩ | أقوال بعض الفرق في الغيبة والرد عليها - أحمد عبد الله حميد العلياوي   |
| ١٨٧ | أسلوب الاستفهام في دعاء الندبة - فائزة عبد الزهرة جامل السكيني  |
| ٢٠٩ | قراءة في كتاب الغيبة للنعماني - محمد عبد المهدي سلمان الحلبي  |
| ٢٣٩ | المذهب التناسخي يعود بلباس الرجعة الروحية (الجزء الثاني) - الشيخ حميد الوائلي<br>تحديات الغزو الثقافي لمجتمع (المنتظرين) في زمان الغيبة الكبرى -                              |
| ٢٦١ | أ.م.د. وسام حسين جاسم العبيدي   |
| ٢٩٧ | أسباب غيبة الإمام المهدي <small>عليه السلام</small> - الشيخ علي الفياض<br>آليات الحجاج اللغوية في توقيعات الإمام المهدي <small>عليه السلام</small> - الروابط الحجاجية مثلاً - |
| ٣١٩ | د. عبد الإله عبد الوهاب العرداوي  |
| ٣٤١ | خلاصة البحوث  |







[www.m-mahdi.com/almauood](http://www.m-mahdi.com/almauood)

[almauood@m-mahdi.com](mailto:almauood@m-mahdi.com)

رقم الإصدار: ٢٤٥

الموسكوود

ALMAUOOD